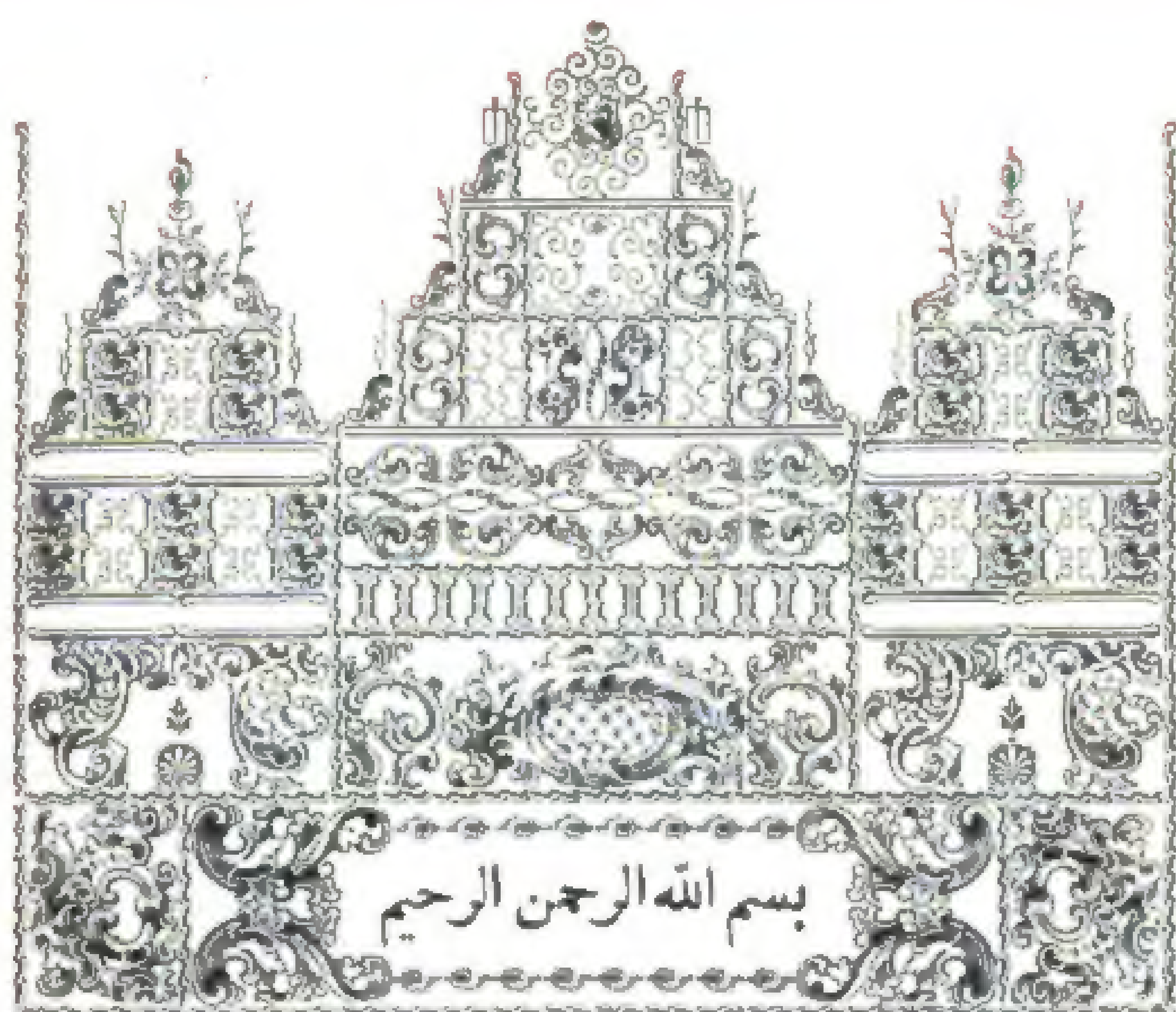
سياحة

الجناب الخديوى المعظم
(محمد توفيق)
فى
أقاليم مصر البحرية والقبلية



(طبعت)
بالمطبعة الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٠٨ هجرية و ١٨٩١
افرنجيه



الحمد لله على دوام توفيقه والهداية الى طريقه والصلاة والسلام على صفوته من خليقته ورحمته المهداة لأمته سيدنا محمد وآله وصحابته والتابعين سبيل سنته الى يوم الدين

(أما بعد) فيقول الفقير الى الله المخلص لمولاه عبد الكريم سلمان محرر الوقائع المصريه من المعلوم انه نشر فى الوقائع المصرية تفاصيل السياحة الخديوية فى أقاليم مصر البحرية والقبلية وقد استخلصنا ما نشر فيها وجمعناه كتابا جامعا لتلك التفاصيل شاملا لما كان للاهالين من الفرح الجليل وملاقاتهم الجناب العالى بما يجب من الاجلال والتبجيل مبينا عناية الذات الخديوية بشؤنهم واهتمامه بمشارفة أحوالهم حتى عاد بسلامة الله الى مقره الميمون بالعاصمة وما كان من أهليها وساكنيها من الاحتفال العظيم بقدمه المنيف فجاء والحمد لله كتابا عام النفع جميل الوضع سلس العبارة والاسلوب وافيا بالغرض المطلوب واسأل الله أن يديم ولى النعم الجناب الخديوى المعظم لرعيته عضدا قويا وساعدا عليا قرير العين بحضرات الانجال الكرام والآل الفخام آمين

سياحة
الجناب الخديوى المعظم
فى الوجه البحرى

رسم صاحب الامر أيده الله خطة مبارحته الاسكندرية الى مصر المحروسة فكان مما تعلقت به ارادته السنية أن يشارف فى هذا السفر الميمون بلاده البحرية و يستطلع أحوال أهليها وساكنيها حتى يقف بنفسه الشريفة على نتائج أعماله المنيفة فليست سياحته فيها ومسيره الى نواحيها لمجرد التنزه والرياضة ولكنها المقصد خيرى مبرور كما عود به رعيته من يوم ان جلس على أريكة الخديوية المصرية واستلم زمام الامر عليها أدامه الله وأبقاه

جرت عادة ولى نعمتنا حفظه الله أن يدخل السرور على عموم رعاياه فلم يدع لهم شأنا الا بنفسه تولاه وولاه وكلما سنحت الفرصة أنعم عليهم بمرآه فقصد أماكن اقامتهم وتفقد أطوار معيشتهم حتى أحبه الجميع وأخلصوا لذاته العلية جميل الولاء وأحلوا جنابه الكريم من قلوبهم محل الوالد الرؤوف بالابناء ومازال هذا دأبه الاسمى ودأبهم يجلب لهم المصلحة ويدرأ عنهم المضار ويوالى عليهم النعم ويسابق فى خيرهم الامم وهم يقومون لمقامه العظيم بالشكر الجليل والحمد والثناء الجزيل

ولما انتشر مرسوم السياحة الخديوية فى هذا العام تلقاه الناس بالبشر والسرور والفرح والحبور وتسابقوا الى اظهار ما أكنته صدورهم من خالص المودة وصادق العبودية وما انطوت عليه قلوبهم من المحبة والتجلة والاكبار فما كان أسعده عندهم من يوم سمعوا فيه بأن الجناب العالى حفظه الله سيشرف مواطنهم ويسعدهم بقبول ما أظهرته بواطنهم من علامات المسرة والابتهاج بقدومه الشريف وتشريفه المنيف

ومن ذلك اليوم أخذ الناس يعدون لمقدمه المبارك علائم الفرح وشارات السرور فأعدوا من الزينة أنواعا مستحسنة وأشكالا مستظرفة على هيآت حدها الكمال وغايتها الجلال وداموا كذلك الى ان بارح الجناب الكريم ثغر الاسكندرية فتسارع كل الاهلين القريبين من خطوط السكة الحديدية ومحاطها المقرر وقوف القطار الخديوى فيها والغير المقررة للوقوف مهللين داعين مظهرين بشرى المسرة وعلامات البهجة والحبور وهكذا كان الحال الى أن وصل جنابه العالى الى المحروسة بسلامة مولاه

ولما كان بعض البلاد مما يمكن القرب منه من الاسكندرية أن يشرفه الجناب العالى بمشارفته ويعود منه بالسلامة الى الاسكندرية فى يوم واحد توجهت الارادة العالية الى أن تكون زيارة ثلاث الاماكن كثغر رشيد وادفينا والمحمودية ودمنهور على جملة أيام يزور فى كل يوم منها احدى هذه المدن ثم يعود الى الاسكندرية باليمن والاجلال ولقد كان أول ماتوجه اليه النظر العالى هو ثغر رشيد فجعل حفظه الله مشارفته فاتحة هذه السياحة المباركة وهذا هو تنسيقها على وجه التفصيل

تشريف ولى النعم الجناب الخديوى الاعظم
ثغر رشيد

فى يوم السبت ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٩٠ قصد الجناب العالى الخديوى استطلاع أحوال ثغر رشيد فتحرك ركابه الشريف فى منتصف الساعة السابعة الافرنكية صباحا من محطة الباب الجديد باسكندريه على قطاره الخاص وبمعية جنابه العالى أرباب السعادة عبد الرحمن رشدى باشا واسماعيل كامل باشا وسالم باشا وباقى رجال المعية السنية واثنان من الياوران

فوصل بسلامة الله تعالى ثغر رشيد الساعه ٩ افرنكى وكان فى استقبال جنابه الكريم حضرات حسين بك شكرى محافظ المدينة والعلماء ورؤساء الطوائف الروحانية والاعيان والتجار وقسم من البوليس المشاة والفوارس وتلامذة المدرسة فأدى الجميع ما يليق لجنابه الفخيم من الاحتفال ومراسم التعظيم

ولما شرف المحطة أطلقت العساكر الطوبجية مدافع السلام اجلالا لقدومه الشريف وبعد أن حيا المنتظرين بأنسه والتفاته المعلوم ركب عربته الخصوصية واستصحب بمعيته العلية حضرة محافظ الثغر وطاف فى شوارع المدينة وانحائها وارتاح لما شاهده من حالة النظافة وما علم من توالى المحافظة على انتظام أحوال الصحة وكمالها فى شوارع الثغر ونواحيه كلها وزار مقام الاستاذ الشهير بسيدى الجلال المحلى وعاد بالعز والاجلال الى اليخت الخديوى زينة البحرين وقد كان أتى الى هذا الثغر بناء على الارادة السنية لهذه الغاية

وبعد الاستراحة هنيهة تشرف بالمثول بين يديه الكريمتين حضرات العلماء والرؤساء الروحانيين والاعيان والتجار وكان يلاطف كل فريق منهم بما جبلت عليه سجاياه الكريمة من البشاشة والايناس ويستفهم عن حالهم وأحوال جميع الاهالى والسكان وقد شكر فضل الجناب الخديوى العلماء والعمد والاعيان فى هذه المدينة وحسن التفاته اليها بهذه الزيارة العلية ورجوا أن يشملهم بعناوته الجليلة حتى يعوضوا ما فقدوه من بهجة هذا الثغر ويسترجعوا حالة رواجه وفوائده القديمة فوعدهم الجناب العالى بالمساعدة ودوام الالتفات

وقد صادف وجود حضرة حسين بك حسنى وكيل مديرية الغربية بذلك الثغر لقيامه بالمرور على الشواطئ المقابلة لرشيد التابعة لتلك المديرية فكان من المنتظرين قدوم الجناب العالى وتشرف بالمثول بين يديه فى البحث فسأله عن حالة تلك الشواطئ والمحافظة على النيل وغير ذلك من الاحوال

وقبل فى حضوره العالى بالوابور أيضا تلامذة المدرسة وأساتذتهم وسر من انتظامهم ونظافة ملبسهم

ثم فى الساعة العاشرة تحرك ركابه العالى من مينا الثغر الى جهة ادفينا فوصلها فى ساعتين وكان يستطلع الاحوال طول المسافة على جانبى النيل وينظر انتظام خضراء الجسور المرتبة على الجانبين من مديريتى الغربيه والبحيره وكلما مر على بلد قام أهلوها بواجب التعظيم والتحية رافعين أعلام السرور داعين بحفظ ذاته العلية على الدوام

وكان فى انتظار تشريفه الميمون فرقة من عساكر بوليس المشاة وبعض من الفرسان تحت قيادة محمد توفيق افندى حكمدار بوليس مديرية البحيره وجم غفير من الاهالى والاعيان وفى مقدمتهم مشايخ البلده وعمد البلاد المجاورة ومأمور مركز العطف ومفتش جفلك ادفينا فنزل جنابه العالى البر وشرف السراى وفى أثناء ذلك تشرف بالمثول بين يديه وتقبيل أعتابه كل من ذكروا من المأمورين والاهلين

وعاد باليمن والاقبال الى ثغر رشيد وأكمل سيره الى جهة البوغاز الى منتهى النيل ثم عاد والسعادة تخدمه الى ذلك الثغر منشرح الصدر بما شاهده من عظيم التفات المأمورين ونشاط العمد والاعيان الموكلين بأمور التحفظ على النيل

ولدى وصوله الى البر أطلقت المدافع تعظيماً لقدومه المنيف وبعد الاستراحة قليلا ركب عربته وطاف ثانية بالبلد الى ان كانت الساعة ٤ افرنكى مساء فتوجه بموكبه العالى الى محطة السكة الحديدية فأطلقت المدافع ايذاناً بالسفر كما هو المعتاد وركب القطار قاصداً ثغر الاسكندرية فوصلها بالسلامة والاجلال والمهابة فى الساعة ٦ س مساء

أما الاحتفالات ورفع رايات المسرات فقد كانت بمحاط السكة الحديدية من الاسكندرية الى رشيد فى أعلى درجة من البهجة والنظام خصوصاً محطة المندره فانها كان فيها جم غفير من أهاليها وأرباب الطرق رافعين شارات الفرح والمسرات مهللين بخير الدعوات وبحفظ ولى نعمتنا وحضرات الانجال الكرام على الدوام

تشريف ولى النعم المحمودية والعطف

فى منتصف الساعة السابعة الافرنكية من صباح يوم الاثنين المبارك الموافق ١٥ صفر الخير سنة ١٣٠٨ - ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٩٠ قصد الجناب العالى الخديوى مشارفة جهات المحمودية والعطف فتحرك ركابه المنيف من محطة الباب الجديد بقطره المخصوص ولما وصل الى كفر الدوار كان هناك فى انتظار هذا التشريف الميمون حضرة عبد الرحمن بك سامى مدير البحيره وجملة من المأمورين والعمد والمشايخ وأهالى تلك الجهة ومجاوريها ووكيل أبعادية سعادة باولينو باشا وموسيو بروسكوفتش مأمور زراعات سعادته أيضاً وكثير من العربان ومشايخهم وغيرهم وقسم من عساكر البوليس

ولما شرف ولى النعم قام الجميع بما هو الواجب عليهم لذاته الفخيمة من أداء مراسم الاحتفال بالسكينة والوقار مظهرين علائم الفرح والسرور فقابلهم جنابه السامى بما جبل عليه من البشاشة والايناس وحياهم بسلامه العالى وشملهم بكرمه المتوالى

وكانت تلك الجهة مزدانة بأنواع الزهور والرياحين تخفق عليها رايات الفرح والحبور وبعد أن تكرم جنابه العلى بالاستفسار عن أحوالهم شرف وابور الرفاص المسمى (شمون) من وابورات قومبانية رى البحيره الراسى فى ترعة المحمودية تاركاً من ذكروا لاهجة ألسنتهم بالثناء والدعوات الخيرية لحضرته الفخيمة الخديوية وحضرات الانجال الكرام

ثم استصحب حفظه الله رجال معيته الكرام وحضرة مدير البحيرة وسعادة نوغوص باشا نوبار وقد كان قدم من الاسكندرية بمعية الركاب العالى لهذا الغرض وسار بالعز والاجلال تصحبه السعادة والاقبال

وفى أثناء الطريق كانت العزب والاباعد والكفور التى على ضفتى المحمودية مزدانة بما ترتاح اليه النفوس وأهاليها وكبارهم وقوف مستعدين لاستقبال الجناب العالى الخديوى رافعين ألوية الشكر والثناء على منحهم بهذا التشريف المبارك وكان كلما مر على جهة يؤدى الجميع مايليق لحضرته السنية من التبجيل والتعظيم ويبسطون أكف الضراعة بدوام ولى النعم والانجال الكرام وجنابه السامى يلحظهم من عين العناية بما أوجب انشراح الصدور وخصوصا أهالى جهتى أبعاديات حضرات نوغوص بك حفيان وابراهيم بك برطوه فانهم أظهروا من السرور مالانهاية له وذبحوا الذبائح لله اكراما واعظاما لهذا القدوم الشريف

ولما وصل الى موضع تقابل ترعة الخطاطبه بالمحموديه كان هنالك قسم من عساكر البوليس وجم غفير من الاهالى والاعيان والمشايخ والعمد فقام الجميع بمراسم التعظيم واستمر الحال على هذا المنوال الى أن وصل بسلامة الله تعالى الى فم ترعة المحموديه

وقد كان فى الاستعداد لاستقبال حضرته العلية سعادة كولس باشا مفتش عموم بوليس الوجه البحرى وحضرة كلن بك وقد كانا حضرا بالوابور قاصدين ثغر رشيد لتفقد أحوال عساكر البوليس وحضرات نوحى افندى قومندان بوليس مديرية البحيره وناظر المحموديه والحوض والمأمورين وحضرات قاضى افندى والعلماء وجناب القمص ديمتريوس وسر تجار البندر والتجار والاعيان وجناب المسيو فاست مفتش قومبانية رى البحيره وجم غفير من الاهالى فأدوا جميعا مراسم التعظيم والتبجيل فرحين مستبشرين داعين للجناب العالى والانجال الكرام

وكان هنالك أيضا زينة فاخرة من أنواع الزهور والرياحين تبتهج لرؤيتها النفوس وكان اليخت الخديوى (زينة البحرين) راسيا حسب الامر فشرفه الجناب العالى وقبل بحضرته السنية حضرات من تقدم ذكرهم ولاطفهم واستفسر منهم جنابه العالى عن الاحوال وانصرفوا شاكرين مالاقوه من جميل الالتفات ومزيد العناية داعين لجنابه الفخيم

ثم تحرك الركاب العالى من فم المحموديه الساعه ١ ونصف قاصدا كفر الزيات للعود منه الى الاسكندريه بطريق السكة الحديدية ولما وصل محطتها الساعه ٤ كان القطار المخصوص مستعدا بالقرب من الشاطئ وهناك كل من حضرات اسكندر بك فهمى مأمور ادارة السكة الحديدية وجرجس بك ومأمور المركز وكثير من الاهالى والمشايخ والعمد والتجار والاعيان وغيرهم فى الانتظار وفرقة من البوليس فأدوا ما يليق بجنابه الرفيع من التحية والاجلال فقابلهم جنابه العلى بالبشاشة والايناس

ثم شرف القطار وقام بسلامة الله تعالى والساعه ٥ مساء وقد كانت المحاط التى فى الطريق من كفر الزيات الى اسكندرية مزدحمة بالمخلوقات فى انتظار قدومه الشريف خصوصا محطة دمنهور وقد وقف فيها برهة لاطف فى أثنائها الحضور من حضرات العلماء والمأمورين والاعيان والتجار والعمد والمشايخ وغيرهم وكلهم احتفلوا بهذا القدوم المبارك أجل احتفال وأطلقت المدافع تعظيما لتشريفه الشريف وكان الاحتفال بمثل ذلك أيضا بمحطة كفر الدوار والجناب العالى يحييهم بأنسه وكرمه الى أن وصل بسلامة الله تعالى ثغر الاسكندريه الساعه ٧ مساء أدام الله خديوينا الاعظم محفوفا بصنوف المجد والسعادة ممتعا بالانجال الكرام آمين

تشريف الجناب العالى الخديوى بندر دمنهور
فى يوم الخميس المبارك ٢ اكتوبر سنة ١٨٩٠

فى صبيحة ذلك اليوم اتجهت عناية ولى النعم مولانا الخديوى الاعظم الى تشريف دمنهور كما فطرت عليه طباعه الكريمة من التعطف على رعاياه واسعادهم آونة بعد آونة باشراق أنوار محياه فتحرك ركابه السامى من محطة ثغر الاسكندريه بقطره المخصوص فى الساعه واحدة عربيا فسار يكتنفه اليمن والسعد ويتقدمه الشكر والحمد حتى وصل الى محطة دمنهور فى الساعه اثنين ونصف فكانت مزدانة بابهج الزهور والرياحين تخفق لها رايات الانس والحبور وهناك حضرات عبد الرحمن بك سامى مدير البحيره ومأموريها وحضرات العلماء والاعيان والعمد والمشايخ ومن بالبندر من حضرات القناصل والرؤساء

الروحانيين والتجار من أجانب ووطنيين وجملة من الاهالى والعربان ومشايخهم مستعدين للاستقبال فأطلقت المدافع تبشيرا بهذا القدوم الميمون ثم قام الجميع بمراسم الاحتفال والاجلال اللائق بالمقام السامى المنيف تلوح على وجوههم علامات البهجة والسرور وقد نال الجميع من حسن التلطف وجميل الالتفات ما أوجب انطلاق الالسنة بمزيد الثناء والشكر على هذه العناية

ثم شرف جنابه العالى العربة وبمعيته السنية حضرة المدير المومأ اليه وسار ترمقه السلامة قاصدا زيارة الاستاذ الشيخ أبى الريش رضى الله عنه فازدحمت الطرق والشوارع بجماهير العالم على اختلاف صنوفها بين داع وشاكر ومتهلل وذاكر وبعد أداء الزيارة واغداق الصدقات واكتساب جزيل الثواب وجليل الدعوات قصد حفظه الله مشارفة ديوان المديرية والمحكمة الاهلية فشرفهما وتفقد سائر مشتملاتهما وسر خاطره الشريف من كمال انتظامهما ثم عاد باليمن والاقبال الى ايوانه العالى الذى كان مستعدا لتشريفه من قبل بالقرب من ديوان المديرية فتشرف بالمثول بين يدى جنابه الفخيم حضرات العلماء الاعلام ثم حضرات الرؤساء الروحانيين ثم حضرات القناصل ثم حضرات المدير والمأمورين ثم حضرات التجار أهالى وأورباويين ثم حضرات العمد والاعيان والمشايخ والوجوه ومشايخ العربان وغيرهم وكل من هؤلاء خرج يتهلل فرحا ونخرا لما ناله من التفات الجناب العالى وبعد الاستراحة نحو الساعة بالصيوان مال طبعه الكريم لتشريف اسبتالية البندر بقدومه السعيد فشرفها حفظه الله وأكسب المرضى شفاء تعطفه بالاستفسار عن صحتهم وتفقد حالتهم وقد سر جنابه العالى من نظافة الاسبتالية واعتناء مأموريها بحال المرضى وبارحها والقلوب داعية بخير الدعوات لذاته العلية والانجال الكرام

ومن هنالك شرف جنابه الانخم محطة السكة الحديدية وقد كانت الساعه س ٤ وبالجملة فان الاحتفال الذى أجرى بالبلدة وتزيين طرقها وشوارعها بالاعلام والازهار وأغصان الاشجار وازدحام عامة الاهالى لمشاهدة الطلعة البهية كان يفوق الوصف ولا تقوى على بيانه الاقلام هذا وبعد اجراء مراسم الوداع من سائر من وفدوا الى المحطة بكمال الابهة والاجلال أطلقت المدافع ايذانا بمبارحة جنابه الفخيم المدينة وعاد ولى النعم باليمن والسلامة الى الثغر الاسكندرى قبل الظهر ببضع دقائق والالسنة لاهجة بجزيل الدعوات للذات الفخيمة والانجال الكرام أدام الله خديوينا الاعظم مصدرا لاسداء المبرات آمين

هــذه هى البلاد القريبــة من الاسكندريه التى كان من الرأى العالى الموفق زيارتها كل واحدة على حدتها والعود منها فى يوم الزيارة الى المقر السامى المنيف بالاسكندريه أما السـياحة العظيمة التى تقررت من يوم مبارحة الجناب الرفيع الاسكندريه الى يوم تشريفه عاصمة البلاد فهى على ما يأتى من التفصيل

فى الساعة السابعة الافرنجية من صبيحة يوم الخميس ١٦ اكتوبر سنة ٩٠ قصد الجناب الخديوى المعظم مبارحة مدينة الاسكندريه فاعد لجنابه الفخيم قطار مخصوص فيه عربة صالون خاصة بجنابه العالى ومثلها للحرم المصون وعربة لموظفى المعية السنية واثنتان لرجال السراى العامرة وخدمها وكان القطار تحت قيادة حضرات اسكندر بك فهمى مأمور ادارة السكة الحديدية وكارليل بك مهندس الوابورات والمسيو كونور بك أحد مهندسى المصلحة

وقبل تشريف الركاب العالى المحطة بقليل شرفتها صاحبــة الدولة والعصمة الحرم المصون محفوفة بالحشم والاتباع أما طريق مرور الجناب العالى من السراى الى المحطة فكانت مزدحمــة بالوافدين من صنوف المخلوقات يتلقون التفات جنابه العالى و يبرهنون على ما لحضرته العلية فى أفئدتهم من المكانة السامية والمنزلة العالية وكانت المحطة مزدانة زينة فاخرة مجملة بالازهار والرياحين متوجة برنك (أرمة) الحكومة الخديوية تخفق فوقها الاعلام المصرية على نسق فائق ومنظر شائق وقد هرع اليها جموع الاسكندريين على اختلاف طبقاتهم وتباين جنسياتهم ليقوموا بواجب الوداع والتبجيل للجناب الفخيم وحين أقبل ركابه السعيد أدت فرق المشاة المصرية والجنود الانكليزية الرسوم العسكرية فأجابهم وفود الجموع بالتهليل وعلوا بأصوات التعظيم والتبجيل وكان الحال كذلك على رصيف المحطة فقد احتشد اليه كبار الموظفين وأعاظم الوجوه وسراة القوم بين وطنيين وأجنبيين فحياهــم الجنــاب الكريم بما جبل عليــه من الايناس ودعوا لمقامه الفخيم بالسلامة فى الحل والترحال

ثم سار القطار تصحبه الكرامة والاجلال و يقدمه العز والاقبال قاصدا دمنهور وقد تشرف بالجلوس مع الحضرة الفخيمة الخديوية أصحاب السعادة عبـد الرحمن رشـدى باشـا

سرتشريفاتي خديو والدكتور سالم باشا سالم طبيب الجناب الفخيم ويعقوب ارتين باشا مدير السكك الحديدية وجناب المستر فوستر مفتش رى القسم الثالث فرأمام كفر الدوار وأبو حمص وقد كانت محطتاهما مزدانة بأعلام المسرة والحبور ومجتمعا بهما الالوف من الاهالى وعندما لاح الركاب العالى بسط الجميع أكف الضراعة مبتهلين سائلين واهب العطايا المولى الجليل بأن يديم بقاء ولى النعم الخديو الاعظم متمعا بالانجال الكرام على ممر السنين والاعوام

هذا ولما وصل القطار بسلامة الله تعالى الى محطة دمنهور أطلقت المدافع تبشيرا بهذا القدوم الميمون وعزفت الموسيقى العسكرية المصرية بالنشيد الخديوى وقامت كوكبة من رجال البوليس وجملة من تلامذة المدرسة الاميرية بما هو مفروض عليهم من التبجيل والتكريم للذات العلية والناس على اختلافهم مظهرون علامات السرور بادية على وجوههم شارات الانس والحبور ثم بادر صاحب العزة عبد الرحمن بك سامى مدير البحيرة وتقدم نحو العربة الخديوية وكان ولى النعم حفظه الله واقفا فيها يتحف الجموع بسلامه العالى ويشملهم بعين عنايته والجميع يتسابقون للتيمن بطالعه الكريم بين داع لحضرته العلية وساع لمشاهدة طلعته البهية وشاكر لانعم جنابه العالى على هذا التشريف السعيد ولما حظى حضرة المدير بالمثول بين يديه الكريمتين وتشرف بتقبيل الأذيال الخديوية قدم لمقامه السامى حضرات محرز بك مندوب نظارة المالية والعلماء الاعلام والعمد والاعيان فتفضل عليه الجناب الخديوى الكريم ودعاه للتشرف بمعية جنابه الفخيم وقد كانت المحطة بهجة للقاصدين وقرة للناظرين مزينة بالازاهير اليانعة والاشكال الرائقة تعلوها الاعلام المنشورة والرياحين المنثورة

وبعد ان وقف القطار خمس دقائق سار على بركة الله تعالى بين جماهير الوفود المصطفين على جانبي الطريق فرحين مستبشرين مبتهجين مبتهلين بالدعوات الخيرية لجناب خديويهم الاعظم بقلوب خالصة ونفوس منشرحة ومازالوا كذلك حتى غاب القطار عن الابصار ولما صار على مقربة من محطة ايتاى البارود التزم المهل فى السير فتمكنت شرذمة من الاعراب من مصاحبته ممتطين متون الصافنات الجياد ورافقوه مسافة ميئين من الامتار وقد كان بتلك المحطة أثناء مروره الجم الغفير من الاهالى والمأمورين والمستخدمين وكلهم

ألسنة ناطقة بالدعاء للحضرة الفخيمة الخديوية شاكرون هذه المكارم العلية والشيم المرضية ثم اجتاز القطار جسر كفر الزيات وكان فيه من الزينة والاستعداد ما ينبئ بكمال اخلاص الجميع للذات الخديوية فانه توجت ناحيتاه بباقات الزهور وزينت بانواع الرياحين من منظوم ومنثور تتخللها الرايات والاعلام على أكمل وضع وأتم نظام

وفي نحو الساعة التاسعة ونصف شرف الركاب العالى كفر الزيات فابتدر لقاء الحضرة الفخيمة الخديوية سعادة فيضى باشا مدير الغربية وقبل يديه الكريمتين وقد مدت الابسطة وفرشت الطنافس من المحطة الى المكان الذى كان راسيا فيه اليخت الخديوى (زينة البحرين) تحت قيادة عزتلو على بك عبادة قومندان الركائب الخديوية وهذه الطريق تبلغ مائتى متر تقريبا وكانت مزدانة بصنوف الازاهير والرايات اعلانا بكامل الانس ومزيد المسرات يحدق بها من الجانبين جماعات من رجال البوليس فرسانا ورجالة يكادون لا يقوون على صد تسابق من كانوا يتقاطرون زرافات ووحدانا للتمتع بمشاهدة أمير البلاد وغوث العباد رافعين أصواتهم بالدعوات الخيرية لاهجين بالثناء الجزيل والشكر الجليل على ما أولاهم مولاهم من جميل نعمه وفائض كرمه

ثم سار الجناب الخديوى العالى بين صفوف الاهالى فجعل يعدهم بنظره الشريف وهم يتلقونه بكمال التعظيم ووافر التكريم حتى وصل الصيوان الذى أقامه لحضرته السنية حضرة احمد بك الشريف من كرام عشائر مديرية الغربية فاستراح فيه برهة من الزمان ثم تقدم سعادة المدير ومعه من حضر من ذوى الوجاهة والاعتبار لاداء واجبات تهنئة القدوم وجرت الرسوم التشريفية فنال الجميع من الرعاية وجميل الالتفات والسؤال عن أحوالهم ما أوجب انطلاق السنتهم بالثناء الوافر وانصرفوا شاكرين تلك الانعامات العميمة والاحسانات المستديمة وقبل مبارحة حضرته العلية بقليل تفضل جنابه الرفيع فتحادث هنيهة مع عظيم جماعة الفرنسيسكان ثم ألقى أحد التلامذة بين يدى جنابه العالى قصيدة عربية على تلحين النشيد الخديوى وبعد ذلك شرف جنابه السامى يخته العالى (فيض ربانى) محفوفا بصنوف المجد والاقبال وقد كانت فيه صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون فهتف الحاضرون جميعا بالدعاء لولى نعمتهم وانطلقوا يرددون عبارات الشكر وجميل الثناء على هذا التشريف الميمون

وتشرف بمعية الجناب الخديوى الرفيع باليخت الخديوى حضرات رجال المعية الملكيين والعسكريين وحضرات أصحاب السعادة يعقوب باشا أرتين ومديرى الغربية والبحيرة وجناب المستر فورستر ولما كانت الساعه ٩ و ٢٠ دقيقه اتجه القطار الخديوى الى دسوق لانتظار الجناب الرفيع بها وتوصيله الى دمياط وكان اليخت الخديوى فيض ربانى يتحرك أيضا فى هذه اللحظة لاسير بالجناب العالى وحاشيته وأنظار الوفود المودعين محدقة بهم من الشاطئ وأصواتهم تعلو بالدعاء لجنابه الكريم حتى قارب اليخت مدينة كفر الزيات وهنالك لاحت الاعلام خافقة على دور ساحل تلك المدينة اجلالا واكراما لمرور ولى النعم الافخم ثم بدا سكان القرى والمزارعون يتبعون سير اليخت وهم مصطفون على ضفة النيل ما بين مهلل ومكبر وفرسان البدو فيما بينهم على صهوات الجياد ويرمون بعياراتهم النارية فى الهواء بين زغاريط النساء ودق الطبول والاصداء كأنها تتنافس فى ترديد عبارات هذا الانشراح والحبور برؤية أمير القطر وعزيز البلاد ولا غرو فانما هذا لسان حال الاهلين نطق بما للجناب الخديوى الكريم فى أفئدة رعيته من عظيم الولاء ورفعة المقام وكان حفظه الله يقابل منهم ذلك بابداء علامات الرضا مسلما عليهم تارة بيده الكريمة أو مشيرا بمنديل

فما كان أجله منظرا تبتهج به النفوس ومرآى تقر به النواظر والنيل منبسط فى واديه ينعش كل ما يلاقيه من خليقة فتزهو وتترعرع على جوانبه عابروق الانظار

وأول قرية كبيرة على الفرع الغربى من النيل بعد كفر الزيات كانت ناحية نكله وهى تكاد تختفى عن العين وراء الخمائل الملتفة التى تزدان بها ضفتا النيل من هنالك الى بلدة شبراخيت أما منظرها فى غاية الجمال وقد كان على أجمل ما يكون حين مرور الجناب الخديوى المعظم فكانت ترى كأنها ربوة قائمة وسط مياه النيل ودورها المشيدة كأنها ربوة بيضاء فى القبة الزرقاء وقد غشى أطارفها عدد لا يحصى من الناس مختلفى الازياء والاشكال

فلما مر بهم اليخت الخديوى كان الجميع صوتا واحدا فى التهليل والدعاء للجناب العالى وكذلك كان الحال فى شبراخيت وغيرها من البلاد التى على شاطئ النيل وفى منتصف الساعة الثانية عشرة مدت المائدة الخديوية على ظهر الوابور فتشرف بتناول الطعام

مع الحضرة الخديوية سعادتلو المستر تشريشاني خديوى وطبيب الجناب العالى وكل من حضرات مدير البحيرة والغربيـة ولما كان الاهالون لا يفترون عن اظهار ما شملهم من السرور بتشريف ولى النعم كان جنابه الكريم كثيرا ما يقوم عن المائدة لابداء علائم رضائه عنهم جبرا لخاطرهم

وبعـد الظهر بنحو ٢٠ دقيقة حل فيض ربانى وخلفه وابور زينة البحرين ببلدة دسوق وكان مرساه على مرفأ صناعى أقيم بإزائه قوس نصر يؤدى الى طريق يكتنفهما من الجانبين أقواس من الاغصان والرياحين تنتهى بقوس نصر آخر الى محطة السكة الحديديه فركب حينئذ الحرم الخديوى المصون فى احدى عربات السراى الى المحطة وابتـدأت اذ ذاك تشريفة الجناب الخديوى المعظم بوابور فيض ربانى فتشرف بمقابلة جنابه الرفيع صاحب السعادة عثمان باشا ماهر وحضرة بروبك مفتش عموم مصلحة الاراضى الاميريه وحضرات العلماء والمشايخ والعمد وأعيان البلدة ووجوهها يقدمهم واحدا فواحدا الى الحضرة الفخيمة الخديوية سعادة فيضى باشا مدير الغربيـه ولما انتهت التشريفة فى نحو الساعه ١ و ١٥ دقيقـه تفضـل الجناب الخديوى بالنزول الى البر فقام بتأدية فروض السـلام العسكريه لجنابه الرفيع فرقتان بين فرسان ومشاة من البوليس وعزفت الموسيقى العسكريه بالسـلام الخديوى بين ضجيج الاهلين بالدعوات وهتافهم بالتهانى لامير القطر وعزيز البلاد

ثم ركب أعزه الله عربة وبمعيته سعادة مدير الغربيه وسار تحفه مظاهر الاجلال وتحيط به مجالى الاعزاز والاكرام حتى وصل الى جامع سيدى الاستاذ الشيخ ابراهيم الدسوقى الذى جدد بأمر جنابه الكريم ولم يكن تم بناؤه حين تشريف جنابه الرفيع هـذه البلدة فى سنة ١٨٧٨ ولما انتهت هذه الزيارة المباركة ركب الجناب الخديوى المعظم فى مثل ما جاء به من الاجلال الى محطة السكة الحديدية وقد وصل ازدحام الجماهير الى درجة بحيث كاد يصعب على حرس الجناب العالى تمهيد السبيل لمرور العربة المقلة لجنابه الفخيم

وفى منتصف الساعة الثانية بارح الجناب الخـديوى المعظم مدينـة دسوق بعـد أن أذن لحضرة مدير البحيره وجناب المستر فورستر بالعودة الى أشغالهما مستصحبا بمعيته حضرات صاحبى السـعادة فيضى باشا وعثمان باشا ماهر وجناب المستر جارستن مفتش رى

القسم الثانى وحضرة برتو بك وسار القطار الخديوى تحدوه السلامة مارا بأراضى تفتيش قلين وقد كان المزارعون يشتغلون بجنى الاقطان وبعد هنيهة وصل بالسلامة الى قلين فقام بتأدية فروض السلام فرقة من بوليس المركز وكانت المحطة مزدانة بأغصان البرتقال والليمون وعليها الثمر وبجانبها الرياحين والزهور مرتبة بشكل يروق الانظار ويسر الخواطر وقد ازدحمت بها الناس من كل فج بعيد آتين لتقديم رسوم الاكرام والاجلال للجناب الخديوى العلى الشان

وفى أثناء ترجل الركاب العالى بقلين قدم سعادة عثمان باشا ماهر للجناب الخديوى المعظم كلا من حضرة عابدين بك وتوفيق افندى من مفتشى مصلحة الاراضى الاميرية وقدم سعادة مدير الغربية حضرة ابراهيم بك مفتش زراعة حضرة صاحب السعادة حيدر باشا يكن فتفضل جنابه العالى بالاستفهام منهم عن حالة المحصول وبعض تفاصيل زراعية أخرى وعن محاصيل القطن على الخصوص ثم خرجوا من لدن جنابه العالى داعين له بالعز وطول البقاء وكذلك لما وصل الركاب العالى الى محلة روح تفضل جنابه الكريم بالاستعلام عن أحوال الزراعة من سعادة على باشا حلمى مفتش تفتيش العباط التابع لمصلحة الاراضى الاميرية وحضرات بسيونى بك وعبد الرحمن بك من أعيان ذلك المركز أما زينة محطة السكة الحديدية بمحلة روح فلم تكن أقل بهجة واتقانا منها فى محطة قلين وكانت كلتاهما لا تفضل الاخرى بالنظر الى كثرة ازدحام الوفود وتسارعهم الى اظهار شعائر الولاء والعبودية للجناب الخديوى الرفيع

أما المحطة الثالثة التى حل بها الركاب العالى بعد ذلك فهى المحلة الكبرى وكان العمد والاعيان ووجوه البلدة والمركز مصطفين على رصيفها فلما وقف القطار الخديوى نحو الساعه ٣ و ١٠ دقائق بعد الظهر رفع الجميع أصواتهم مهنئين الحضرة الفخيمة الخديوية بسلامة الوصول فتفضل الجناب العالى برد التحية واستخبر منهم عن أحوال أرضهم واقاليمهم وما يبتغونه من الحاجات والرغائب جريا على ما اقتضاه طبعه الكريم وخلقه القويم حفظه الله ثم شرف جنابه العالى الصالون الذى أعد لمقامه الرفيع وقد وضعت به صورته الكريمة فى دائرة من الورد والنسرين وبعد ذلك تفضل بالتحدث هنيهة مع حضرة

صاحب السعادة عبد القادر باشا حلمى ثم ركب القطار بين دعاء المودعين وهتاف الاهالى قاصدا محطة سمنود فوصلها بالسلامة فى الساعه ٣ و ٢٥ دقيقه وبعد أن وقف الركاب الخديوى بها نحو بضع دقائق خصصها الجناب الفخيم للاستراحة فى صيوان الشيخ غنيم البدوى أحد عمد المركز والاستفهام عن أحوال البلاد سار بالعز والاجلال الى طلخا فوقف بها كذلك هنيهة قابل فيها حضرات العمد والمشايخ وتحدث مع سعادة الياس باشا أخى المرحوم خيرى باشا ومنها تحرك الركاب الخديوى قاصدا رأس الخليج وهى آخر المحاط التى وقف بها القطار الخديوى قبل دمياط وفى كل منها لم يصادف جنابه العالى سوى قلوب تألفت على الطاعة وامتلأت بالولاء والاخلاص وأبت الا اظهار ما بها من شعائر الاجلال والاكرام لولى النعم عزيز مصر الافخم وكان الوصول بالسلامة الى محطة دمياط فى الساعه ٥ و ٢٥ دقيقة قبيل الغروب بقليل

وفى نحو منتصف الساعة السادسة أشرقت على محطة دمياط شمس الحضرة الخديوية فكستها من أنوارها حلة بهية وأطلقت المدافع تبشيرا بقدوم صاحب البلاد وانطلقت الناس فرحين مستبشرين مقبلين من كل واد وعزفت الموسيقى بألحانها الشجية واصطفت الجنود لأداء فرائض التعظيم للذات العلية وتسارع محافظ المدينة عزتلو محمد وجيهى بك وصاحبا السعادة ابراهيم رشدى باشا محافظ عموم القنال والكونتر أميرال فريدريكو باشا وتمثلوا بين يدى حضرته السنية فشمل الجميع بما اقتضته مكارمه الوفية وسار يقدمه اليمن والاقبال ويحفه المجد والاجلال وسط السرج المضيئة بسناه والاعلام المجللة بحلاه والاغصان المورقة بمرآه حتى شرف بعجلته العالى (فيض ظافر) بين ضجيج الاهالى مبتهجين بهذا الولاء العظيم باسطين أكف الضراعة ببقاء جنابه الفخيم

وبعد أن استراح برهة من الزمن تحرك ركابه المنيف وشرف الجانب الايمن تجاه دار المحافظة ورسا على مقربة منه يخت آخر يقل رجال بطانة الجناب العالى ثم مدت المائدة الخديوية ودعى لتناول طعام العشاء عليها كل من حضرات مدير الغربيـة ومحافظ عموم القنال والكونتر أميرال ومحافظ دمياط فأكلوا هنيئا مريئا وكانت اذ ذاك الساعة الثامنة فأديت رسوم التشريفات على الوجه الاكمل وهرع الى اليخت الخديوى وفود المهنئين

من علماء أعلام وذوات كرام وقناصل الدول العظام وكبار الموظفين واستمر الحال على هذا المنوال الى منتهى الساعة العاشرة وقد شمل الجناب العالى الجميع بجلائل التعطف وأنالهم مزيد الرعاية وانصرفوا من لدنه منشرحين متجاذبين عبارات الثناء على ما أولاهم بمولاهم من محض احسانه وسابغ العرفان

أما المدينة فكان فيها من أنواع الزينة وأشكال الزخرفة وأساليب التجمل وضروب التبرج ما يزرى بالقلائد فى نحور الولائد فانها كانت مشرقة بالانوار اللامعة مزدهية بالاضواء الساطعة تخفق فوقها الاعلام المصرية البديعة الالوان وتنعكس أشعتها على صفحات الماء فتمثلها للناظر حبالا من الياقوت والمرجان وقد أنير كثير من المساجد والمآذن وزينت دار المحافظة والركائب الخديوية والسفن الراسية بالمينا واقتبست من كمالات الحضرة الفخيمة الخديوية ما زادها بهجة وجلالا وقام الجم الاكبر من عظماء الثغر وأعيانه باحياء تلك الليلة فى دورهم حتى مطلع الفجر نخص بالذكر منهم حضرة المحافظ والاستاذ الفاضل الشيخ الملايلى وجناب الوجيه سليم عصورى وأصحاب العزة محمد بك الصعيدى وحسن بك فؤاد وكامل بك وبالجملة فقد أظهر كافة الاهالى من الهمة والغيرة فى توفير دواعى السرور واظهار علامات الانس وشارات الحبور ما أوجب مزيد المنونية منهم للحضرة الفخيمة الخديوية أدامها الله

وفى أوائل الساعة التاسعة من يوم الجمعة دعا ولى النعم دواعى الرأفة والمرحمة لزيارة مستشفى الثغر فركب حفظه الله عربته المخصوصة وأجلس عن يساره حضرة المحافظ وكان فى انتظار جنابه السامى حضرات مفتش صحة المدينة وحكيمباشى المستشفى فلما أقبل ركابه السعيد ابتدروا لقاء حضرته العلية بما يجب من الاعظام ثم تقدم جنابه العالى تصحبه الصحة والعافية وتفقد محال المرضى ومنح من فيها من جميل الالتفات وعظيم المواساة وجليل الملاطفات ما أنعش قلوبهم وخفف عنهم ما نزل بهم ثم استطلع جنابه الافخم مشتملات المستشفى فتشرف محل العيادات وقاعة العمليات وشارف المعمل الكيماوى ولم يدع شيأ من الاشياء الا وقد استفسر عنه وعلم كنهه شأن شمائل حضرته السنية التى لا تنكر ومزايا جنابه السامى التى لا تزال تشكر على الدوام

وبعد ذلك بارح جنابه العالى المكان قرير العين باسم الثغر مما رآه من العناية والاهتمام
ومارآه من النظام وباهر الاحكام وسار موكبه الشريف بين صفوف الاهالى الذين كانوا
يتقاطرون من جميع النواحى محتفلين بجنابه العالى حتى شرف المدرسة الاميرية فقابلته
تلامذتها بالتهليل والترحيب وظهر من بينهم نجيب من الفرقة الاولى شنف الاسماع بمقال
عربى ضمنه شكر المنعم بهذا التشريف الميمون ثم تفضل عليه الجناب السامى وأملاه بذاته
الشريفة عبارة عربية كلفه بتبيين وجه الاعراب فيها وبعد ذلك سأله فى اللغة الفرنساوية
وانتقل الى فرقة أخرى فألقى أحد نجبائها بين يدى جنابه الكريم شيأ من آى القرآن الحكيم
وهكذا أخذ ينتقل حفظه الله من فرقة الى أخرى حتى انتهى الى الفرقة الاخيرة فقام ناشئ
منها وتلا أمام حضرته العلية جملا باللغة العربية فسر الجناب العالى من سديد اجابة
التلامذة واستقرب الى مقامه السامى حضرة ابراهيم افندى توفيق ناظر المدرسة وأسدى
اليه جليل شكره وعاطر ثنائه على مابذله من الهمة فى تحسين طرق التعليم وتقريره على
الوجه القويم فقامت التلامذة ورفعوا أيدى الدعوات لجميعها بحفظ الذات العلية متعة
بالدولة والاجلال مسرورة ببلوغ الآمال وكانت اذ ذاك الساعة التاسعة ونصف
فتوجه الجناب العالى الفخيم وبمعيته محافظ الثغر الى زيارة ضريح الاستاذ أبى المعاطى
وسار فى موكب يأخذ كماله بمجامع القلوب وقد أحدقت جماهير الناس بالعربية من كل جانب
يتهالون بالدعوات الخيرية ويشاهدون أنوار الطلعة البهية ويتسابقون الى تقديم
مراسم العبودية حتى ازدحم الطريق على اتساعه بالوافدين وأخذت عربة جنابه الكريم
تسير بين صفوفهم الهوينا ليكمل لهم الحظ بمشاهدة جنابه الفخيم وكانت الاماكن مزدانة
من الجانبين بالرايات والازهار على شكل يسر الخاطر ويقر الناظر

وبعد الزيارة عاد جنابه السامى وجموع الاهالى بين واقف بمل‌ء الوقار ومحتفل بموكبه
العالى بغاية السكينة والاعتبار فشرف دار المحافظة وتفقد أقلامها ووقف على نظام سير
الاعمال فيها ثم وجه المسير باليمن والاعزاز نحو البيت الخديوى فتناول به طعام الغداء
وكانت قد قربت صلاة الجمعة وأظهر الجناب العالى ارتياحه الى أداء فريضتها بمسجد الاستاذ
السيد محمد البدرى فتوافد اليه حضرات العلماء الاعلام وأعاظم الوجوه والاعيان وكبار
الموظفين وصنوف الاهالى وكانت الطريق الموصلة الى المسجد مزدحمة بمن لا يحصون

عدا من المخلوقات تلوح على سيماهم علائم الفرح والانشراح باسطين أكف الضراعة والابتهال بدوام بقاء الجناب الفخيم موفقا للصلاح والاصلاح ممتعا بأنجاله الكرام

ولما أشرقت شمس طلعته البهية قام له الجميع بما هو اللائق لذاته العلية من التبجيل والتعظيم الى أن وصل المسجد فقابله جموع المصلين بمزيد التكريم والتفخيم ثم أذن الظهر وصعد الخطيب المنبر وهو حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد البسيونى امام ولى النعم فخطب خطبة كان مدارها الحث على ما يكسب الاجر مع بيان فضائل هذا الشهر العظيم الذى ظهرت فيه الى الوجود أنوار سيد الكائنات وأشرف المخلوقات عليه الصلاة والسلام وظهر تأثيرها فى وجوه المصلين حتى خشعت القلوب وعلت الاصوات بالصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام ثم أقيمت الصلاة على الوجه الاكمل وختمت بالادعية المقبولة المرضية وقد خلعت الخلع وفرقت الاحسانات الخديوية على المستحقين ثم تشرف جنابه العالى عربته المخصوصة وعاد الى مقره المنيف فى مثل ما جاء فيه من الاحتفال

وبعد هذا تحرك الزورق الخديوى قاصدا محطة السكة الحديدية وكان القطار المخصوص المعد لتوصيل جنابه الكريم الى بلقاس فى الانتظار وقد تشرف مع حضرته العلية كل من حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى والدكتور سالم باشا ويعقوب باشا ارتين وماهر باشا ومدير الغربية وبرو بك ومحافظ دمياط

وقد توقف الركاب العالى قليلا برأس الخليج ثم وصل فى الساعة ٢ و ٣٥ دقيقة الى محطة بلقاس وعلى مدى بعيد منها كانت السكة الحديدية قد غشيها سكان القرى والارياف وفرسان البدو بينهم يترجون عن حبورهم بتشريف الجناب العالى بطلقات البنادق وتسابق الجياد

أما محطة بلقاس فكانت فى أبهى حلة من الزينة والرونق وقد أعد بها طريق طوله نحو العشرة أمتار مفروش بالرمل وعليه الطنافس والبسط وهو يوصل الى الصيوان المعد لتشريف الجناب الخديوى المعظم وكانت تكتنف الطريق من الجانبين أعمدة من الخشب تخفق عليها الاعلام المصرية وتتواصل فيما بينها بأكاليل الزهور وأقواس من أغصان الشجر بأقصى ذلك قوس نصر شاهق أقامته مصلحة الاراضى الاميرية اجلالا للجناب العالى وكانت دور المدينة ومنازلها مزدانة كلها بأعلام الحبور والسرور وقد امتلأت

النوافذ والشرفات بالناس أما عدد الذين خرجوا للقاء الحضرة الخديوية ببلقاس فكان
على الاقل نحوا من العشرين ألف نسمة فلما تفضل الجناب الكريم بالنزول من العربة
هلل الجميع بصوت واحد وهتفوا بالدعاء والتهانى للجناب العالى وعساكر البوليس على
الجانبين يؤدون فروض السلام العسكرى الى أن وصل جنابه الرفيع الصيوان الخديوى
ولا يخفى ان مدينة بلقاس هى التى وضع أساسها ورفع منارها ساكن الجنان المرحوم
محمد على باشا الكبير وقد بلغت من العمارية بهمته الرفيعة ما جعلها الآن مسكنا لاكثر
من ١٢٠٠٠ نسمة من المصريين غير أنها من ذلك العهد لم تحظ بزورة أحد من خلفائه حتى
شرفها الجناب الرفيع حفظه الله ولا ريب ان السبب فى ذلك راجع الى ما كانت عليه هذه
البلدة من بعد الشقة وطول المسافة قبل اتصالها بخط شربين الذى لم يتم الا فى العام الماضى
بعناية جنابه الكريم

هذا وبعد أن تشرف بمقابلة الجناب العالى بالصيوان الخديوى حضرات العلماء والعمد
والمشايخ ووجوه البلاد وأعيانها ركب جنابه المنيف جوادا كريما وسار فى مثل أمواج
البحر من الخلائق التى لا يحصى عددها وتجول بضع دقائق فى شوارع البلدة بين هتاف
القوم وضجيجهم بالدعاء ومن الغريب ان جنابه العالى كان راكبا يومئذ فى ذات السرج
الذى كان يركب فيه جده ساكن الجنان المرحوم محمد على باشا الكبير وفى نهاية تلك الزيارة
السنية تفضل الجناب العالى حفظه الله باجابة التماس كل من حضرات أبى الفتوح بك
ومحمد افندى ومحمود أبى أحمد واسماعيل احمد وشاهين فرج الذين هم من أعيان تلك
البلاد بتشريف صواوينهم التى نصبت على طريق المحطة وقد كان أحسنها زينة وأعمها أثاثا
صيوان حضرة أبى الفتوح بك

ولما كانت الساعة ٣ و ٥٠ دقيقة بارح القطار الخديوى مدينة بلقاس تتبعه أهلوها بالدعوات
والبركات وبعد هنيهة من المسير توقف قليلا بقرية بسنديلة وفى الساعة ٤ و ٢٥ دقيقة توقف
ثانية فى شربين وتشرف حينئذ بمقابلة الجناب العالى سعادة اسماعيل باشا زهدى الذى كان
محافظ دمياط سابقا فتفضل الجناب السامى بالتحدث معه بضع دقائق ثم تحرك الركاب
العالى مطردا مسيره حتى وافى محطة رأس الخليج فكان فى استقبال الاهلين للجناب السامى
ما لا تفى الاقلام بوصفه من عظيم الاحتفال والاحتشاد وعلائم السرور والحبور

وفى الساعة ٥ و ٣٥ دقيقة عاد الجناب الخديوى العالى بالسلامة الى دمياط ومن ثمت شرف اليخت الخديوى (فيض ظافر) وكانت اذ ذاك الساعة السادسة والمدينة تباهى يومها أسمها بهجة ونضارة ونظاما

وعند كمال الساعة السادسة من صبيحة اليوم الثانى أطلقت المدافع ايذانا بقيام الركاب العالى فتقاطرت أمام دار المحافظة وفود القوم وغادروا لذيذ النوم وقاموا بما هو الواجب عليهم من مراسم الوداع للحضرة الخديويه ورفعوا أصواتهم جميعا بالدعوات الخيريه فتفضل عليهم ولى النعم وشملهم بما اقتضته مكارمه السنية وأمدهم بنظره الشريف شكرا منه على هذه الاريحية ثم سار اليخت على بركة الله قاصدا بندر المنصورة والسلامه تحدوه والقلوب سائرة وراءه فرحا وانشراحا وتترنم بجميل الثناء بهجة وارتياحا وقد تشرف بمعية الحضرة العلية كل من سعادة مدير الغربيه وحضرات المستر جارستن مفتش رى القسم الثانى والمستر كليفتون القائم بأعمال رى القسم الاول

وقد اجتاز الركاب المنيف بكثير من القرى والضياع المزينة اجلالا لمقامه السامى بأجمل الاشكال وأحسن الاوضاع ثم عاج بقرية فارسكور فهرع أهلوها وقد عمهم السرور وعلتهم سمات الفرح والحبور وكرروا الدعوات الخيرية للحضرة الخديوية بألسنة أعربت عما هم عليه من صدق نيتهم وحسن طويتهم لولى نعمتهم

ومن جملة النواحى التى مر عليها اليخت الخديوى ولم يقف بها رأس الخليج وكفر سليمان وميت أبو غالب وشربين وطلخا وشرباص وقد كان لصاحب الديار فى تلك النواحى والامصار من مراسم الاحتفاء وعلائم الولاء وشارات الابتهاج ودلائل المسرات ما يستجلب كمال الاعتقاد من كل راء بكمال الاخلاص الجميع لجنابه العالى فانك أين اتجهت وحيث سرت وأى أرض حللت لا ترى سوى نفوس أبية قد أبت الا مكاشفة مولاها بجميل ما حباها وقلوب منشرحة قد اجتمعت على اظهار ما أكنته من الطاعة والامتثال وما انطوت عليه من الاخلاص والاجلال وثغور باسمة ناطقة بالشكر الجليل والحمد والثناء الجزيل

وفى أوائل الساعة الثالثة أشرقت أنوار الحضرة الفخيمة الخديوية على بندر المنصوره فأطلقت المدافع تبشيرا بهذا القدوم الميمون وتسارعت جموع الاهلين فرحين مبتهجين

واصطفوا وقوفاً على الساحل فى احتفال عظيم وفى مقدمتهم تلامذة المدارس الاميرية وفرق من رجال البوليس فرساناً ومشاة مستعدين للقيام بما يجب من التعظيم والتكريم للحضرة العلية وقد قام جماعة من الاماجد بتهيئة صيوان نظيم وزينت المدينة بأفخر أنواع الزينة وأبهاها وكللت بأحسن الرايات وأزهاها وازدحمت الطرق بصنوف المخلوقات يتبادلون عبارات البشر والمسرات وبمجرد مرسى الركاب الشريف أدت الجنود ماهو الواجب عليها من المراسم العسكريه وهتفت الوفود بالادعية المرضية وتهللت الوجوه بالفرح والاستبشار والجناب الاسمى واقف على أعلى اليخت يتحف الجميع بجميل التفاته ويتحفهم بسلامه العالى ثم أجريت الرسوم التشريفية فتسابقت أفواج العلماء والفضاصل والرؤساء الروحانيين ورجال الحاكم والاعيان وكان الجناب العالى حفظه الله يلاقى كل فريق من الوافدين بما جبل عليه طبعه الكريم من البشر والايناس حتى لم يخرج واحد منهم من بين يديه الكريمتين الا شاكراً حسن الافضال داعياً لذاته الفخيمة بدوام الاقبال وبقاء الاجلال

وفى نحو الساعة الرابعة دعت جنابه الرفيع مكارم أخلاقه ونادأه كرم اعراقه الى زيارة مستشفى البندر فركب حفظه الله عربته المخصوصة مستصحباً سعادة المدير وسار محفوفاً برجال معيته الكرام وعموم الاهلين بين مصطفين وساعين على الاقدام حتى شرف بسلامة الله المستشفى فخف لاستقباله كل من حضرات عبد الرزاق افندى مديره ومحمد افندى قاسم حكيمباشى مديرية الدقهلية ومثلا بين يدى حضرته العلية ثم شارف جنابه الاسمى جميع الاماكن واستطلع مافيها فانشرحت لزيارته النفوس وزالت عن المرضى الامراض والبؤوس ونطقوا بالدعوات الخيرية لجنابه الفخيم بفؤاد خالص وقلب سليم

وقبل أن يبارح المكان تفضل أدامه الله فأقبل على ذلك المدير ومنحه مزيد الرعاية وجميل الالتفات وأظهر لحضرته كمال مسروريته وعظيم ممنونيته وبعد ذلك سار موكبه العالى وقصد تشريف المدارس الاميرية بين ضجيج الاهلين الذين كانوا يتمتعون بمشاهدة طلعته البهية فابتدأ بزيارة مدرسة الصنائع والفنون وأخذ يستفسر بذاته الشريفة عن اساليب التعليم فكان تارة يستثنى الاساتذة وحيناً يسبر غور التلامذة ولقد تفقد معامل سبك الحديد والنحاس وشاهد أعمال النجارة وصناعة الابنوس واطلع على الحجرة الجامعة

لصنوف الاشياء التى قامت بصنعها التلامذة فسر جنابه السامى مما عاينه فيها من الظرافة والاتقان وما حوته من الرقة وبراعة الاحسان ثم بارحها حفظه الله الى المدرسة الاميرية وقد كان جميع التلامذة وقوفا بغاية الانتظام ليقوموا للذات العلية بفرائض الاحترام فلما أقبل جنابه الرفيع حيوه بالواجب وبالدعوات الخيرية ثم دار بين الطلبة الامتحان فأجاب كل بما حازبه الفخر بين الاقران ولم يكتف ولى النعم أعزه الله بالاسئلة التى كانت تختارها الاساتذة بل كثيرا ما كان يناقش بذاته الشريفة التلامذة شأنه حفظه الله فى رعاية ما فيه الاصلح والانجح لزيادة نمو العلم وتقدم العرفان

وقد قام أحد التلامذة المتقدمين ومثل بين يدى جنابه الكريم وأنشد قصيدة غراء تضمنت بعض الاعمال العظيمة التى قام بها ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الاكبر جد العائلة العلوية الفخيمة فارتاح لسماعها الجناب العلى الشان وأبدى له وجه الاستحسان وشكره على براعته فى حسن الالقاء وحثه على مداومة السعى وراء ما يكسبه الحمد والثناء وبعد ذلك زار جنابه السامى المحكمة الاهلية وديوان المديرية وتفقد جميع الاقلام واستقصى ما جريات الاحوال وتحرى بذاته الشريفة سير الاعمال ثم عاد الى البخت فى أوائل الساعة السابعة محفوفا بصنوف المجد والاقبال وجموع الاهالى يتقاطرون من كل جانب محتفلين بجنابه العالى أى احتفال

أما منظر المدينة وقد مدّ الليل سرادقه فكان من أحسن ما حاكته يد التزيين وأبهج ما رأته عيون الناظرين وأجل ما نعقته ألسنة الكائنين فان الاضواء كانت تسطع من كل جانب فوق المآذن والدور وكانت السفن تختال على أمواج الماء وعليها أمواج من النور وقد زاد هذا المنظر بهاء وجلا رواء ما قامت به مصلحة الاراضى الاميرية وجناب المسيو رالى على الساحل المقابل من طلخا فقد كان جنة قطوفها دانية تتخللها الانوار الزاهية وتكتنفها الاعلام الباهية على وضع يسر النواظر ويشرح الخواطر ولقد امتاز المسيو رالى من بين الجميع فانه لم يقتصر على اضاءة داره بل كان أضاف ذلك بوابوره حيث كانت السوارى والمداخن والجوانب مزينة بالمصابيح المنيرة محلاة بالازاهير اليانعة تخفق فوقها رايات السرور على شكل عجيب وطراز غريب بحيث كان الوابور وهو سائر لا ينقضى منه عجب لناظر وقد استمرت السفن والذهبيات تباهى الشموس بألعابها النارية

وتطاول الشهب بمقذوفاتها البرقية حتى حسدت الارض السماء واقتبست منها الضياء وبالجملة فانها كانت ليلة مضيئة مشرقة بهجة بوجود الجناب العالى برهن فيها الجميع على ما للجناب الرفيع حفظه الله في القلوب من المنزلة العالية والمكانة السامية وقاموا بما يجب لحضرته العلية من الاكبار والاجلال نخص بالذكر منهم سعادة المدير وحضرات عبد العزيز بك مصطفى وحسين بك حسني وعلى بك القريعي وابراهيم بك أدهم ويوسف بك عزيز ومحمود بك محرم وشريف بك عمر ومحمد افندي كامل وبدراوى بك عاشور ودائرة دولتلو البرنس حليم باشا ومصلحة الصحة والمدرسة الاميرية والمحاكم الاهلية والمختلطة ومركز تفتيش الاراضي الاميرية بطنطا ولقد أمضى الجناب الخديوى المعظم ثلث الليلة بالركاب العالى المنيف وركبت صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون في نحو الساعة التاسعة عربة خديوية وشارفت ما كان بالمدينة من أنواع الزينة والزخرفة فأكسبتها أضعاف ما كانت عليه من الرونق والوقار وكستها ثوبا جديدا من البهجة والفخار

وفي منتصف الساعة السادسة من صبيحة اليوم التالى ركب الجناب الرفيع عربته المخصوصة وعن يساره صاحب السعادة عبد الرحمن رشدي باشا سر تشريفاتي جنابه العالى وسار بين هتاف الاهلين وتهليل الوافدين قاصدا تشريف جهة البحر الصغير على مسيرة كيلومتر من المدينة حيث كان عازما على أن يركب متن البخار الى المنزلة وقد كانت مصلحة البوسطة هيأت لذلك أحد وابوراتها فأعدت فيه من فاخر الامتعة وعظيم المهمات ما يليق بالمقام السامي وفرشت سطحه بالابسطة الثمينة وأنارته بالنور الكهربائي

وفي نحو الساعة العاشرة وفد الجناب العالى فتسابق للقياه سعادة المدير وحضرات سابا باشا مدير عموم مصلحة البوسطة وكولس باشا مفتش بوليس الوجه البحري والمستر جارستين فحياهم الجناب الفخيم بما جبل عليه طبعه الكريم ثم دعا كلا من سعادة المدير وسعادة سابا باشا وجناب المستر جارستين لمرافقة جنابه السامي وسار الوابور على بركة المتعال تصحبه السلامة والاجلال ويقدمه الاعزاز والكمال أما البحر الصغير فكثير التواريج التعاريج وقد أجمعت الثقات المدققون وقال العلماء المحققون انه ليس كما يذهب اليه البعض ترعة من النيل وانما هو فرع منه قديم وهو الآن أصل للترعة المنصورية تستمد منه

ماءها وتصرف ما زاد عن حاجتها الى ترعة الساحل فالرياح التوفيق ويبلغ طوله مائة وستة وثلاثين كيلومترا وليس بضفتيه استواء خصوصا الجانب الايسر منه وترى من الجانبين أشجارا من التوت والجميز تكاد تحجب القرى عن العين تحت لفيف أغصانها وتحفيها وراء اشتباك أفنانها وهذا البحر يختلف ما ينفق منه بين مليونى متر مكعب فى زمن التحريق وستة ملايين فى زمن الفيضان وقد اشتهرت الاطيان التى يرويها بالخصب وعرفت بجودة التربة والنماء وامتازت عن غيرها من أطيان هذا الاقليم

وفى أثناء السير كانت أهالى البلاد التى يصادفها تشريف الركاب العالى وعمدها ومشايخها ونساؤها وقوفا على الساحلين فرحين مبتهجين داعين شاكرين لولى النعم على هذه العناية التى تبسمت لها ثغور المدائن وأشرقت أنوارها على المواطن واستمر الحال على هذا المنوال بين تهليل الرجال وزغاريط النساء وتصفيق الولدان حتى كان الوصول الى محلة دمنه فأمر الجناب العالى بوقوف الوابور وشرف البلدة فى نحو الساعة السابعة فقابله ساكنوها بغاية السكينة والوقار وقاموا جميعا بما هو مفروض عليهم للذات العلية ورفعوا أصواتهم بالدعوات الخيرية وقد كان مرسى الوابور أمام محل لحلاجة القطن تابع لتفتيش الدائرة السنية وكانت الطريق الواصلة بينهما مزدانة بباقات الزهور يحدق بها من الجانبين جماهير من الاهالى لا يفترون عن اظهار ما شاعهم من الفرح والسرور

وبعد ان تكرم الجناب العالى بقبول من تمثل بين يديه الكريمتين قصد فريه كرنس فوافاها بسلامة الله قبيل الساعة الثامنة ولما أشرق عليها قام رجال البوليس فأدوا ما يجب عليهم من مراسم التعظيم لجنابه العالى الفخيم ثم تفضل حفظه الله فاستعلم من مأمور المركز عن حالة المحصول وبعد ذلك بارحها منشرح الصدر الى جالية والاهالى على اختلافهم باسطون أكف الضراعة ببقاء حضرته العلية أدامه الله ذخرا لرعاياه

وفى نحو الساعة الحادية عشرة شرف الجناب الاسمى البلدة فقابله من بها من العمد والاعيان والمشايخ وساروا بين يدى جنابه الرفيع حتى وصل الصيوان الذى أعده لمقامه السامى حضرة الشيخ مصطفى عبد اللطيف وهنالك أديت رسوم التشريفات على حسب العادة المألوفة ونال كل من حظى بمقابلة جنابه الفخيم من حسن الالتفات وجليل التعطفات ما فرض عليهم جميل الشكر للذات العلية ثم أخذ حفظه الله فى الاستنباء

والاستقراء منهم عن أحوال البلاد ومصالح العباد وانصرفوا من لدنه شاكرين هذه المنن الجسام داعين لحضرته السنية بدوام البقاء متمتعا بالانجال الكرام

وبعد ذلك تحرك ركابه السعيد نحو البصراط فوافاها قبيل الساعة الثانية عشرة وفي الحال شرف جنابه الرفيع صيوان حضرة شلبي بك شاهين فمكث به برهة من الزمن أتحف الحاضرين بجزيل نعمه وفائض كرمه ثم بارحها الى المطريه فشرفها في أوائل الساعة الاولى وكان بها من الجانبين جموع مجتمعة من الناس تلوح عليهم علائم الانشراح فتهللت أصواتهم وهتفت بالدعاء قلوبهم وداموا على هذا الحال حتى أشرقت طلعته السنية بصيوان حضرة الوجيه محمود جلبي طوبار فمكث به هنيهة من الزمان أمدد فيها بنظره الشريف ثم سار محفوفا برجال معيته الكرام فشرف مقر حضرة محمد افندي محمود عمدة المطريه واذ ذاك تقدم سعادة مدير الدقهلية وقدم لمقامه السامي حضرات العلماء الاعلام والذوات الكرام والعمد والاعيان وكبار موظفي الحكومة الفخام فتقبلهم الجناب العالي بوجه طلق وثغر بسام ومنحهم من جلائل التعطف ما سر خاطرهم وشرح أفئدتهم وأطلق ألسنتهم بصالح الدعوات

وفي نحو الساعة الاولى يمم ركابه الشريف مدينة المنصورة فهرعت من كل جانب صنوف الاهلين لتوديع جنابه الفخيم وهؤلاء الناس مضى عليهم فوق الخمسين سنة وهم لم يعرفوا أميرهم وحاكمهم الا بالاسم وذلك لانه لم يسبق لاحد من الخديويين تشريف أمكنتهم من عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير وانه ليصعب علينا أن نصف ما كان عليه الناس من التهليل والتكبير وزيادة الفرح عما كان في مقدمة الوابور من الانوار الكهربائية وقد وصل جنابه العالي المنصورة في الساعة العاشرة مساء وكانت كالليلة التي قبلها بهجة وزينة برا وبحرا والناس في مثل ليلتهم الاولى من الفرح والسرور

أما يوم الاثنين الذي خصصه الجناب الخديوي المعظم لتشريف مدينة الزقازيق فكان من أبهى وأزهى أيام السياحة الخديوية في الوجه البحري فلقد كان استقبال جنابه المعظم بتخت اقليم الشرقية مما تعجز الاقلام عن حق وصفه ولا يغني فيه السمع عن العيان فمهما تفنن الكاتب قصر عن الحقيقة في الوصف وكان الوصف منها مكان الشك من اليقين

ومن رأى مقدم الجناب العالى الى الزقازيق وسمع ضجة الخلائق بالتهليل أيقن أن حمل منها وعاين اندفاع الجموع كالسيل المنهمر خلف ركابه العالى التمس لنا العذر فى العجز على انه لابد لنا من بيان أن استقبال الجناب الخديوى المعظم فى مدينة الزقازيق على ما كان عليه من الابهة والرونق لا ينبغى أن يكون موهماً أن مظاهر السرور والحبور التى أظهرها الاهلون للجناب العالى كانت فى بقية مدن الشرقية وقراها أقل منها فى تحت ذلك الاقليم فحقيقة الامر أن الزقازيق انما كانت ميداناً أوسع من غيره وأنسب لظهور مظاهر الانس والحبور على الاهلين بالقدوم المنيف هذا وكثيراً ما شوهد على ضفاف النيل وشواطئ البحر الصغير أثناء المرور بصغار القرى من مجالى السرور ومظاهر الحبور بجناب أمير البلاد الا انه لا يبقى بالمخيلة على كثرته وتنوعه وليس السبب الا أنها كانت صادرة عن أناس قلائل أما فى الزقازيق فكان صدورها من مائة ألف فؤاد دفعة واحدة فلا فرق من حيث الجوهر بين استقبال وآخر فى كل الاماكن التى تفضل الجناب العالى بتشريفها من يوم مبارحته الاسكندرية لان ما أبداه الاهلون من عواطف الشكر على تشريف الجناب المعظم بلدانهم لم يختلف فى المدن عنه فى الارياف ولا فى مراكز الاقسام عنه فى أصاغر القرى وان مكانة الجناب السامى حفظه الله هى هى فى قلوب رعيته من أى صنف وأى طبقة كانوا وان كان الامر يختلف فى العرضيات

بارح القطار الخديوى المقل للجناب العالى المنصورة فى منتصف الساعة الثانية صباحا وركب فيه بمعية الحضرة الفخيمة الخديوية صاحبا السعادة يعقوب باشا آرتين وكولس باشا وحضرات على بك آصف مدير الشرقيه والمستر جارستن وخفف السير قليلا امام السنبلاوين وكانت مزدانة بالاغصان والزهور والاعلام وبها عدد من عساكر البوليس قامت باداء الفروض العسكرية واصطفت على رصيفها المحطة جماهير الناس يهللون ويضجون بالدعاء للذات الكريمة الخديوية ومازال الحال كذلك فى كل من المحاط الثمان التى مر بها الركاب العالى والجناب الخديوى المعظم يلقى الاسئلة من حين الى آخر على جناب المستر جارستن مستعلما حفظه الله عن أحوال الرى فى ذلك الاقليم وما تم من التسهيلات فى طرق توزيع المياه وغير ذلك حتى كانت الساعه ٨ والدقيقه ١٥ فاطلقت المدافع ايذانا بحلول الركاب العالى بمحطة الزقازيق ثم عزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى والناس يصيحون

فليعش الخديو المعظم وكاتب البوليس يهتفون (افندمز چوق يشا) والجناب العالى مبارح صالون القطار بتلقاء حضرات صاحبي السعادة جرين باشا مدير المصالح الصحية وسليمان باشا أباظه من أعضاء شورى القوانين وكانت المحطة مفعمة بالزينات والحلى ما بين اعلام متعاقدة تضم طغراء الجناب الخديوى المعظم وبين باقات من أغصان النخل متواصلة بأقواس من الزهور والرياحين وما كاد يتجاوز الجناب العالى حرم المحطة حتى تلقته ضجة ارتج لها الجو من تهليل الجماهير وزغاريط النساء ثم ركب باليمن والاسعاد والى جانبه الرفيع حضرة مدير الشرقية وهنا تعجز الاقلام عن وصف منظر المدينة مما يلى المحطة الى داخليتها حين مسير الموكب الخديوى فانما سار فى بحر خضم تتلاقى فيه الامواج من الخلائق لا تحصى ولا تعد وشرفات الدور ونوافذ البيوت وأعاليها قد امتلأت كلها بمثل الغمام من الناظرين حتى تعذر المرور فعلا بل صار المسير فى الشوارع العمومية قريبا من المحال لشدة الزحام

وبقى الناس كذلك لا تخمد عزيمتهم لحظة واحدة مدة السبع ساعات التى أمضاها الجناب العالى بمدينتهم ولم يكتفوا بتزيين مبانيها ورفع الاعلام عليها بل ابتكروا تزيين جوها فمدت شركة الملاحة الروسية الى مدخنة وابورها الشاهقة وأصعدت الى قمتها شخصين أحدهما يحرك بيديه العلم المصرى والثانى ينثر الورد والرياحين فى طريق الجناب الخديوى المعظم وعلى مقربة من تلك المدخنة تحوم فى الجو قبة هوائية تلمع بما يزرى بالدرارى من الاضواء والانوار

ولم يسر الجناب الخديوى من المحطة الى المستشفى مباشرة كما كان المقرر بل عطف الى الطريق الزراعية المبتدأة من الزقازيق لمشارفتها أولا وبجوار الركاب العالى أمام المستشفى ضربت الجنود اجلالا لهذا التشريف السعيد وتلقى الجناب العالى من العربة صاحب السعادة جرين باشا ثم قدم لجنابه الرفيع كلا من مدير المستشفى وحكيمباشى المديرية وكما أن الجناب العالى عنى بمثل هذا المحل فى دمياط والمنصورة أظهر كذلك مزيد العناية به فى الزقازيق فزار أولا قاعات المرضى وهى خمس منها واحدة للنساء بها خمسون سريرا ثم زار حفظه الله المطبخ وقد ذكر سعادة جرين باشا لجنابه العالى ان هذا المستشفى دون غيره فى القطر المصرى يقوم بتهيئة الطعام فيه نساء لا رجال ثم شرف أيضا معمل الصيدلة ثم قاعة

الجراحة وقبل مبارحة المستشفى تفضل جنابه السامى فأعرب لسعادة مدير الصحة عن سروره وامتنانه مما رأى من نظافة المكان وحسن النظام فيه

كان مكتب التنظيم قريبا من المستشفى فقصده الجناب العالى بالزيارة أيضا ثم سار موكبه السنى بين جماهير المهللين والمكبرين حتى وافى ديوان المديرية فى منتصف الساعة العاشرة صباحا وبعدها بخمس عشرة دقيقة ابتدأت التشريفات الخديوية على الترتيب المعتاد واستمرت الى نهاية الساعة الحادية عشرة وبعد ذلك شرف الجناب العالى المحكمة الاهلية فى الجهة اليسرى من سراى المديرية فقام باداء رسوم الاستقبال لجنابه السامى حضرة رئيسها احمد الله بك وتشرف بمعية حضرته العلية الى حجرة الرئاسة التى فيها صورة قضاة المحكمة وكان جنابه الرفيع قد لمح قبل ذلك الصورة المعلقة بقاعة المحكمة العمومية ثم شرف حجرة حضرة الوكيل وحضرات القضاة وأودة المشورة ثم قلم السكرتارية فاطلع الجناب الكريم على كيفية مسك دفاترها ثم قلم كتبة النيابة فنظر حفظه الله فى جداول القضايا الجنائية وغيرها من الدفاتر وتفضل بالاستفهام من حضرة رئيس النيابة عن جملة من أعمالها ثم شرف حجرة رئيس النيابة وغرف الوكلاء ثم قلم الخزينة ونظر فيه الى دفاتر الحسابات ثم أقلام الكتبة والدفترخانة وقلم كتاب القضايا الجنائية والمدنية ومحكمة القضايا الجزئية والمخالفات وقاعة الجلسات المدنية والجنائية وحجرة قاضى التحقيق وبالجملة لم يدع كبيرا أو صغيرا من الامور الا تفقده بعنايته الكريمة شأن الساهر على خير الرعية ورفاهيتها

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة شرف جنابه الرفيع محل تفتيش رى القسم الثانى فقام بتأدية فروض التعظيم والاجلال لمقامه المنيف حضرة المستر جارستن مفتش هذا القسم وجناب احمد بك سعيد باشمهندس مديرية الشرقية ومن ثم تفضل جنابه الكريم بزيارة المحكمة الشرعية والاطلاع على دفاترها ثم قلم البوليس وكان سعادة كوليس باشا مفتش عموم البوليس بالوجه البحرى هو القائم بأداء رسوم الاستقبال للحضرة الفخيمة الخديوية هنالك فشرف جنابه الرفيع مايصح تسميته بمتحف البوليس وهى القاعة المخصصة لعرض صور الاشقياء وأهل الشبهات من المديرية ومن ثمت شرف قلم التفتيش ثم خزينة المديرية المجاورة له وقد تفقد الجناب المعظم دفاتر التسلم وحساباته كما اقتضته عنايته الجليلة

وتشرف أيضا محل حضرة باشكاتب المديريه وأقلام كتابها وكان اذذاك وقت الظهر فعاد الجناب العالى أعزه الله الى سراى المديريه وفى منتصف الساعة الاولى بعد الظهر مدت المائدة الخديويه فى ايوان الذى كانت به التشريفة السنية فى صباح اليوم وتفضل الجناب الخديوى الكريم فدعا اليها مع سعادة السر تشريفاتى خديوى كلا من حضرات أصحاب السعادة يعقوب باشا أرتين وجرين باشا وكولس باشا ومديرى الدقهليه والشرقيه وجناب المستر جارستن وحضرة رئيس المحكمة الاهلية

وبعد ان استراح الجناب الخديوى المعظم نحو نصف ساعة من الزمن عقب تناول الغداء تعلقت ارادته السنية بزيارة المدرسة الاميرية فشرفها وبمعية جنابه الرفيع حضرة مدير الشرقيه ولما كانت الترميمات المهمة التى شرع فى اجرائها بمحل المدرسة لم تتم اقتضى الحال جمع التلامذة كلهم فى محل واحد عوضا عن توزيعهم بالمكاتب حسب المعتاد وقد أخذ الجناب الخديوى المعظم فى السؤال عن أهمية الاعمال اللازم اجراؤها وماتم منها ثم شرع حفظه الله فى امتحان أربعة من الطلبة بذاته جريا على مااقتضاه كرم طباعه فاختبرهم فى اللغتين العربية والانجليزية وفى العلوم الرياضية والجغرافية فسر جنابه الكريم بما رأى من نجابتهم وسداد أجوبتهم ثم سار فى موكبه الباهر وجماهير الاهلين تتبعه مهللة بالدعاء والتعظيم والاجلال مارا بحلقة الاقطان فجسر بحر مويس فرحبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم فالشارع الموصل الى محطة السكة الحديديه وقد كانت الساعه ٣ والدقيقه ١٥ فأطلقت المدافع ايذانا بقيام الركاب العالى الى مدينة المنصوره ولاشك أن تذكار هذا التشريف الخديوى الجليل سيبقى أثرا محمودا لايمحيه كرور الزمان من أذهان أهل الزقازيق واقليم الشرقية وسيذكرونه فيشكرونه لجناب ولى النعم المعظم حفظه الله وأبقاه

هذا وان وقوف القطار الخديوى حينئذ لم يكن مقررا فى جدول السياحة السنية غير أنه لما جبل عليه الجناب العالى من الشفقة والرأفة برعاياه وما تعلقت به ارادته السنية من شمولهم جميعا بالمساواة بينهم بلطفه وكرم عطاياه فقد صدر أمره الكريم بتوقيف القطار بمحطة أبى كبير وهى الثانية بعد الزقازيق ومقام أحد الخدمة الصادقين أعنى سعادة محمد صدقى باشا الذى كان رئيس ياوران الجناب العالى فأنعم بهامن منة عظيمة ومنحة جليلة

ومازال الاحتفال يحف بالركاب العالى من محطة الى أخرى بين الزقازيق والمنصورة حتى ختم بها ذلك اليوم السعيد فى مثل ما بدئ به من الحبور والانس والسرور

وفى الساعة التاسعة من المساء ركب الجناب الخديوى المعظم والى جانبه سعادة المدير للتنزه قليلا فى شوارع المدينة وكانت كلها أنوارا ساطعة احتفالا بتشريفه الجليل ثم تفضل جنابه العالى بالنزول فى زورق ومشارفة ما أعده أهل المدينة من الزينة البحرية وفى أثناء هذه النزهة تكرم جنابه السامى بزيارة حضرة بدوى بك عاشور مفتش عموم الدائرة الخاصة وجناب المسيو رالى وحضرة وكيل مصلحة الاراضى الاميرية وقد كان احتفالهم بالزينة فى طلخا وعلى النيل من أجل وأبهى ما رآه الناظرون ولما كانت الساعة العاشرة والدقيقة ٣٠ عاد الجناب الخديوى المعظم الى اليخت الخديوى بالعز والاجلال

وفى أوائل الساعة السابعة من صبيحة يوم الثلاثاء عزم الجناب الخديوى الفخيم على مبارحة المنصورة الى السنبلاوين فركب حفظه الله عربته المخصوصة وعن يساره سعادة المدير وقصد المحطة فى موكب يعلوه الوقار ويكتنفه الاجلال محفوفا بكوكبة من رجال البوليس ممتطين متون الجياد وعلى جانبى الطريق صنوف الجنود وألوف الوفود وجموع الاهلين وجماعات المودعين يتسابقون مهللين مكبرين للتمتع بمشاهدة محياه الكريم ويتسارعون من كل جانب مزدحمين محتفلين بعربة جنابه الفخيم ومازال هذا شأنهم وذلك ديدنهم حتى أشرقت على المحطة أنوار الطلعة البهيه فأطلقت المدافع قياما برسوم الوداع للحضرة العليه وترنمت الموسيقى بالاناشيد الشجيه وأدت مشاة البوليس فرائض التعظيم العسكرية وهتفت الخلائق بصالح الدعوات لاميرها وتنافست الاصداء فى ترديدها ونال الحظوة بمعية الجناب العالى كل من أصحاب السعادة عبد الرحمن رشدى باشا والدكتور سالم باشا ويعقوب أرتين باشا وكولس باشا ومدير الدقهليه وجناب المستر جارستين وسار القطار تطالعه البشرى ويقدمه الاقبال وتحدوه الكرامة والجلال حتى واجه بعد قليل محطة البقلية وكانت اذ ذاك بهجة الناظر وقرة الخاطر مصطفة فى جوانبها الزهور تتمايل فوقها رايات الانس والحبور فلم يقف بها الركاب العالى وجاوزها الى السنبلاوين فأتاها بعد منتصف الساعة السابعة وقد كان بها من لا

يحصون عددا من الاهالى تلوح فى أسارير وجوههم شارات الانشراح وتبدو عليهم علائم الارتياح فحين أقبل الجناب الكريم قاموا بما يجب لحضرته العلية من التكريم وتم الوافر حا واستبشارا بجنابه الفخيم فحياهم حفظه الله بما أحياهم وأنالهم من جليل التفاته وعظيم عنايته ما شرح صدورهم وكمل حبورهم

وبعد ذلك شرف جنابه السامى صيوان عمدة تلك الناحية فأوردهم موارد كرمه وأفاض عليه سجال نعمه وتفاوض معه الحديث عن أحوال المركز وشؤونه ثم تفضل فسار بين جماهير الناس يعاملهم بما عهد فى طبعه الشريف من البشر والايناس وهم يتلقونه بكمال التفخيم ومزيد التعظيم حتى امتطى جنابه الرفيع متن سابح كريم وساروا أمامه شرذمة من فرسان البوليس يمهدون الطريق وحوله طبيب حضرته العلية وسعادة كواس باشا ومدير الدقهلية وجناب المستر جارستين واثنان من الياوران الكرام وجملة من رجال المعية السنية ملكيين وعسكريين وخلفهم جماعة من الحرس الخديوى يتبعهم عشائر الاعراب يتبخترون على صهوات الجياد ويسحبون مطارف الخيلاء فرحا بما نالهم من الشرف بمعية أمير البلاد وقد كانت الشمس اذ ذاك فى أول النهار وعليل النسيم يلوى باغصان الاشجار وندى الصباح يفتح أكمام الازهار فما كان أحلاها فرصة سنحت وما أبهجها ساعة سمحت وما أبهاها أويقات استراح فيها الجناب العالى من اعباء ما فرضه على نفسه الشريفة من يوم ان بارح ثغر الاسكندرية متفقدا أحوال الرعية ولقد أظهر حفظه الله لجميع من كان فى معية جنابه السامى من جميل المعاملة وعظيم المجاملة ولطيف المؤانسة ورقيق المحادثة ما استأثر به قلوبهم وأسر نفوسهم وشرح خواطرهم حتى لم تبق يد الا ارتفعت بالدعاء الصالح لجنابه الفخيم ولم يبق لسان الا انطلق بشكر جنابه الكريم وقد كان الجناب الاسمى تارة يركض بجواده وحينا يسير الهوينا اذا اجتاز خلال القرى أو صادف فى الطريق جموع الاهالى فرحين مبتهجين داعين لجنابه العالى ولم يقف موكبه السعيد الا فى قرية المنشيه وهى على مقربة من أبعادية صاحب الدولة البرنس حليم باشا وقد نحرت فيها الذبائح اكراما لحضرته العلية

وفى أواثل الساعة العاشرة شرف جنابه الرفيع قرية منية سمنود وقد كانت صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون على اليخت الخديوى فيض ربانى تقابله أهلوها بالتهليل

والترحيب مظهرين كمال المسرات لاهجين لجنابه العالى بالدعوات الصالحات وقد كان جناب المسيو (الكسندر كونستنيدس) أحد كبار الموسرين بتلك الناحية قام باعداد زينة بهية اجلالا لقدوم حضرته السنية فحلى مداخل بستان داره بيانع الازهار ضروبا وصنوفا وزين ساحته بباقات الرياحين أشكالا وصنوفا ورفع من فوقها الاعلام المصرية البديعة الالوان وجعل فى داخل البستان صيوانا معدا لاستقبال الجناب العلى الشان وفرش نواحيه بالبسط الفاخرة وجلل جوانبه بالازاهير العاطرة وأحضر فيه من صنوف المرطبات وأنواع المأكولات ما تتوق اليه النفوس وتشتهيه الارواح

ولما جاء البشير باقبال الحضرة الفخيمة الخديوية هرع رب الدار وتلاه جناب المسيو سينادينو وجناب المسيو جوسيو مدير بنك الانجلو اجسبان وأخذوا يتسابقون الى لقاء جنابه العالى كأنهم فى رهان فلما مثلوا بين يدى حضرته العلية حياهم بما جبلت عليه مكارمه الوفية وسار بين هتاف المهنئين ودعاء الاهلين حتى شرف الصيوان فاستراح فيه برهة من الزمان ألان فيها الجانب وسهل الخطاب وقابل من حظى بشرف المثول بغاية البشاشة والترحاب ثم بارح حفظه الله رب الضيافة وأم بحيته العالى وقد كانت البلدة على أجمل هيئة وأكمل زينة تتهادى فوق دورها الرايات وتتعطر أرجاؤها بأكاليل الرياحين والباقات والناس على اختلافهم لا يفترون عن اظهار الولاء لحضرة أميرهم وقد شرف جنابه الرفيع وهو قاصد اليخت صيوان حضرة السيد بك العتربى وقد كان أنذاك فى تلك الناحية حضرات الكونت (ليدن) قنصل جنرال الدولة ألمانيا الجديد والمسيو (دونو) المفوض السياسى للحكومة الفرنساوية ومعه جناب المسيو (دوسكو) والويكونت (درسى) فعندما اتصل بعلمهم تشريف صاحب الديار بتلك النواحى والامصار قصدوا المكان الذى رسى فيه الركاب الشريف واستقبلوا الجناب العالى بما يجب لحضرته من الاجلال والتكريم

وبعد الساعة العاشرة بقليل تحرك اليخت الخديوى فيض ظافر قاصدا التوجه الى بنها وبمعية الجناب الرفيع كل من سعادة كولس باشا ومديرى الشرقية والدقهلية وجناب المستر جارستين فامتلأت ضفتا النيل بطبقات الناس يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم بالدعوات الخيرية مبتهلين الى الله بدوام بقاء الحضرة العلية على توالى الازمان

وفى ضحوة الساعة الحادية عشرة مر اليخت أمام قرية أبوصير وبها معمل حلاجة القطن لجناب المسيو زروفودا كى وقد كان مزدانا بالرايات والاعلام فحين شاهد رجاله اليخت الخديوى أطلقوا البارود فى الهواء وتهللوا فرحا وسرورا بحضرته السنية ثم عاج بقرية ميت غمر وبارحها بعد قليل الى زفتى وقد كان لجنابه العالى فى تينك الناحيتين من الاحتفاء وتقديم مراسم الولاء ما لا يفى بوصفه البيان ولا يقوى على شرحه القلم واللسان فقد كانت العلماء والوجهاء وأشراف القوم وكبار الموظفين يفدون زمرا زمرا يزاحم بعضهم البعض على هذه المنصة العلية ويتسابقون الى لثم الاذيال الخديوية ويتباهون بعميم كرمه ويتفاخرون فى كيفية الثناء على جزيل نعمه وكانت الاعلام تخفق من الجانبين والرايات تزهو بالوانها على السفن الراسية بالضفتين والاهلون فرحون يتبادلون عبارات السرور ويتجاذبون أسباب الانس والحبور

وبعد منتصف الساعة الخامسة أطلقت المدافع تبشيرا بتشريف الركاب المنيف مدينة بنها فخف فى الحال عزتلو أمين بك عبد الله مدير القليوبية وقصد مرسى اليخت فتشرف بمقابلة الحضرة الخديوية وعاد بمعية جنابه السامى وقد كانت الامكنة بهجة للناظرين مزدانة بباقات الازاهير والرياحين على شكل فائق ومنظر رائق وكانت ساحتها تتلألأ بالانوار الساطعة وتزهو بالأضواء اللامعة وقد شيد على مقربة منها صيوان بهيج أقامه أعيان المدينة وأعاظم أهلها وكان فيه كثير من الخلائق يهتفون بالدعاء لمولى النعم فحين أقبل عليهم جنابه الفخيم حياهم بصدر رحب وقلب سليم وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى العالى وركب حفظه الله عربته المخصوصة وعن يساره حضرة المدير وسار قاصدا المحكمة الاهلية بين جموع الاهالى وقد ذبحت الذبائح اكراما لحضرته العلية ووزعت لحومها على الفقراء والمساكين

أما المدينة فحدث ولا حرج عما كان بها من الزينة والبهجة فقد كانت كلها تسطع نورا وتتألق ضياء ممرة وحبورا وقد أنيرت ذهبية لجناب المسيو سوارس وزينت بالمصابيح وكللت بالازاهير وكان بها آلات الطرب تترنم بالالحان الشجية وتشنف الاسماع بنغماتها البهية

وعند مقدم الجناب الخديوى العالى بسراى المحكمة تسابق لاستقباله حضرات حامد بك محمود رئيس المحكمة ومحرز افندى وكيل النيابة ثم تقدم جنابه السامى فتشرف الاقلام وتفقد الدفاتر واستفسر عن سير الاعمال فسر جنابه الرفيع مما شاهده من النظام وعاينه من الترتيب والاحكام وعاد باليمن والاقبال الى محطته العالى فتناول طعام العشاء وبعد ذلك أجريت الرسوم التشريفية فهرعت وفود المهنئين ونالوا من فيضه العميم ما أطلق ألسنتهم بالدعاء لجنابه الفخيم وخرجوا من لدنه فرحين منشرحين باسطين أكف الضراعة للمولى الكريم ببقاء الجناب الخديوى مصدرا للنعم موردا للكرم

وفى نحو الساعة العاشرة ركب جنابه العالى عربته المخصوصة وعن يساره حضرة المدير وزار ساحة المولد النبوى الشريف وطاف جهات المدينة وأخطاطها ثم عاد عند كمال الساعة الحادية عشرة الى مقره المنيف يتحف الجموع بنظره الشريف ويحييهم بسلامه العالى شأنه الجليل الذى جبل عليه وطبعه الكريم الذى عرف به ومال اليه

وفى الساعة السابعة من صبيحة يوم الاربعاء ٢٢ اكتوبر تحرك القطار المخصوص من بنها مقلا الجناب الخديوى المعظم وحضرة دولتلو عصمتلو الحرم الخديوى المصون فمر فى طريقه على بركة السبع وكانت محطتها مزدانة بالاعلام وأغصان الشجر وبعد سير أربعين دقيقة وصل بالسلامة الى مدينة طنطا وقد ازدحم ظاهرها بالوفود للقيام بمراسم التعظيم والاجلال للجناب الرفيع وكانت عساكر البوليس مصطفة على المحطة تؤدى فروض السلام العسكرى والموسيقى تنعش القلوب بنغمات النشيد الخديوى وطلقات المدافع تبشر الاهلين بتشريف الجناب الخديوى المعظم فمشى جنابه العالى وبين يديه حضرات صاحبى السعادة مدير عموم الاوقاف ومدير الغربيه بين تحميد داع وتهليل مهنئ حتى وصل الى العربة الخديويه فعلاها وسار حرسه الله فى كوكبة من فرسان البوليس والى جانبه سعادة المدير قاصدا جامع سيدى الاستاذ الشيخ احمد البدوى فتلقى جنابه السامى به حضرة العلامة الفاضل الشيخ محمد القصبى شيخ هذا الجامع الاحمدى المنيف

غير أن شدة الزحام بالطرق التى كان يمر بها الموكب الخديوى السنى قد كادت تمنع سير العربة الخديويه مع جهد الفرسان والحرس المحدق بها فلم تر العين فى أثناء ذلك سوى مظاهر الحبور ومجالى السرور ولم تشاهد من طوائف الاهلين الا فرحا بتشريف العزيز أدامه الله

وبعد أن قضى هذه الزيارة المباركة عرج ركابه العالى الى جهة خان يعقوب ويبلغ طوله نحو ٩٥ مترا فاحتفل أغنياء التجار فيه باستقبال الجناب السامى بما لاق بمقامه المنيف ففرشوا ظواهر حوانيتهم وسقوفها بنفائس الاقمشة وغوالى الطنافس والبسط والنسيج من المخمل والحرير المزركش مما يكاد يخطف برونقه وبهجته الابصار ويدهش الانظار وقد تعطف الجناب الكريم قبل مبارحة الخان بزيارة منزل حضرة احمد بك كامل من كبار أغنياء المدينة ثم قصد شارع البورصة لزيارة المستشفى والمدرسة الاميريه هنالك

ومما يستحق المقابلة بالشكر والامتنان لولى النعم الافخم انه حفظه الله كان فى هذه السياحة الجليلة لا يدخل بلدة أو مدينة الا ويتوجه برغبته السنية لزيارة أماكن المرضى من رعاياه ومحال تربية أبنائهم قبل كل شئ سواهما وهو دليل ساطع على ما تكنه ذاته الكريمة من شريف النيات ونبيل المقاصد نحو الامة المصرية الذى هو مصدر خيرها وينبوع سعدها ورفاهتها وقد قام بواجبات الاستقبال لجنابه الرفيع بمستشفى طنطا حضرة صاحب السعادة جرين باشا يصحبه يعقوب افندى ورددا الحكيم وحضرة مصطفى افندى شكرى مفتش صحة الغربية وان مستشفى مدينة طنطا اذا لم يكن الاول فى القطر باعتبار السعة والكبر فهو الاول بلا مراء فى نظافته وحسن مائه وهوائه ونظامه واحكامه وهو على مقربة من مركز المديرية منفرد عن بقية اماكن المدينة وتحف به حديقة أنيقة تقرب مساحتها من الفدانين تسرح بجود موقعها الشفاء للناقهين وتغرى برقة نسيمها البرء بالمصابين ويسع هذا المستشفى نحو ٧٥ مريضا وهو منقسم الى تسعة أماكن سبعة للرجال واثنين للنساء وبه نيف وسبعون سريرا للمرضى وقد حظى سعادة جرين باشا من الجناب العالى أثناء هذه الزيارة بما فوق الحسبان من جميل التهانى وعبارات الامتنان والرضاء عن هذا العمل المبرور

ولما كانت الساعه ٨ والدقيقه ٤٥ شرف الجناب الخديوى المعظم مدرسة طنطا الاميرية وهى على مسافة ٦٠ مترا من المستشفى فاحتفل باستقبال جنابه الرفيع حضرة ناظرها احمد افندى نجيب ولم يدع الجناب العالى مكتبا من المكاتب الا زاره ولا درسا من الدروس الا حضر امتحانه جريا على ما عود الناس من مكارم أخلاقه وجميل سجاياه

ثم تفضل جنابه الكريم عقب هذه الزيارة بتشريف ديوان المديرية وقد كان كأنه يخافق أعلامه يهتز طربا لهذا القدوم الجليل ونصب بقرب مدخله صيوان بديع النقش

كامل الحسن أعده حضرة محمد بك جوده عمدة برمه اجلالا واكراما للحضرة الخديويه الفخيمة فاجتاز الجناب الخديوى المعظم ساحة السراى الاولى وبها أقلام المديرية وعند مدخل الساحة الثانية تلقى جنابه العالى من العربة كل من حضرات يوسف بك شوقى رئيس المحكمة الاهلية وحسن بك عاصم رئيس نيابتها ثم سار ابين يدى جنابه الكريم فى ممشى مسقوف الى دار المحكمة الاهلية لابتدائية فزار الجناب العالى جميع أماكنها مستعلما من حضرات موظفيها عن سير الاعمال القضائية وعدد القضايا الحقوقية والجنائية ناظرا فى دفاتر ها بذاته الكريمة متفحصا حساباتها ودقائق أشغالها بما يشفى العليل ويروى الغليل حتى كان منتصف الساعة الحادية عشرة فعطف جنابه السامى الى القسم الثانى من السراى وهو محل اقامة المدير وباقى أقلام المديرية وكان حفظه الله يسير راجلا بين صفين من عساكر البوليس يهتفون (افندمز چوق یشا) حتى استقر بمجلسه السامى

وفى نحو الساعة الحادية عشرة ابتدأت التشريفة السنية فتشرف بمقابلة جنابه العالى أولا حضرات العلماء الاعلام ثم الرؤساء الروحانيين ثم القناصل فموظفو الحكومة فأعيان المدينة ووجوهها ولاقوا جميعا من لدن جنابه الفخيم جميل الالتفات وعظيم الرعاية ثم مدت المائدة الخديوية فى الحجرة المجاورة فتفضل الجناب العالى ودعا للغداء بمعيته السنية كلا من أصحاب السعادة يعقوب باشا أرتين ومحمد باشا مجدى مدير عموم الاوقاف وجرين باشا وكولس باشا ومدير الغربيه ورئيس المحكمة الاهلية

وفى الساعة الثانية بعد الظهر بارح الجناب الخديوى المعظم مدينة طنطا فى مثل ما جاء به من التهليل والدعاء والاعزاز والاجلال قاصدا مدينة شبين الكوم تخت اقليم المنوفيه وهى على بعد ١٧ ميلا ونصف من طنطا وقبل قيام القطار الخديوى منها أعرب الجناب العالى عن وافر ارتياحه وانشراحه ببناء القنطرة الجديدة على جسر السكة الحديدية قبل حرم المحطة بدلا من الممر القديم الذى طالما اعترض المارة بالعوارض والاخطار وقد كان يمر منه فى اليوم الواحد نحو ٢٧٠٠٠ شخص ونحو ١٧٠٠٠ رأس من الحيوانات المختلفة

هذا وقد اغتنمت أيضا دولتلو عصمتلوا الحرم الخديوى المصون فرصة تشريفها مدينة طنطا فركبت فى الساعة الثامنة صباحا احدى عربات السراى وسارت بموكبها الجليل للتبرك بزيارة ضريح الاستاذ السيد البدوى اقتداء بالجناب الخديوى العلى الشان

وسار القطار المخصوص المقل للحضرة الفخيمة الخديوية من مدينة طنطا نحو ٤٠ دقيقة حتى وصل بالسلامة الى شبين الكوم بعد أن تباطأ قليلاً أمام محطتى تلا والبتانون تلطفا من الجناب الخديوى المعظم عن كان بهما من الوفود الطالبين للتيمن بمشاهدة وجهه الكريم

ولما دخل القطار الخديوى محطة شبين أطلقت المدافع ايذانا بسلامة الوصول وهلل الناس لقدوم ولى النعم الافخم وكانت عساكر البوليس وتلامذة المدارس مصطفين على رصيف المحطة وسعادتلو احمد باشا شكرى مدير المنوفيه يتلقى الجناب العالى من سالون القطار ثم ركب العربة الخديوية والى جانبه سعادة المدير قاصدا ديوان المديرية

وقد كان لشبين وقت قدوم الجناب العالى اليها ما كان بالزقازيق يوم تشريفه اياها فكانت العين لا ترى دارا الا والعلم المصرى يخفق عليها ولا قيد شبر من الارض الا وقد شغله الزحام وافواج الناس تظهر من كل فج هاتفة فليعش الجناب الخديوى المعظم وذلك بين ضجيج ودعاء وتهليل وتكبير لا يفتر لحظة من الزمن حتى وصل الموكب الخديوى الى سراى المديرية فشرف الجناب العالى حجرة سعادة المدير وبعد أن استراح بها هنيهة خرج فى نحو منتصف الساعة الخامسة لزيارة محل المأمورية القضائية التابعة لمحكمة بنها وهى على مقربة من سراى المديرية فتفقد حفظه الله جميع أعمالها القضائية والكتابية على ما اقتضته عنايته الساهرة على كل ما يعود بالفائدة على البلاد والعباد ولما أتم جنابه العالى زيارته حتى أعلن رغبته السنية فى تشريف المستشفى وكان بمعية جنابه الكريم كل من صاحبى السعادة مدير المنوفية وجرين باشا فقام بتأدية فروض الاستقبال على باب المستشفى حضرات محمود علوى افندى حكيمه وابراهيم بك السبكى مفتش صحة المديرية وزار الجناب العالى جميع حجر المحل من أودة الاستشارة وقاعة الجراحة وحجرة الاجزخانة ومحلات المرضى متفقدا كلا منهم بما جبلت عليه طباعه الكريمة من الشفقة والرفق برعيته أما أماكن هذا المستشفى فتسع نحو ثلاثين مريضا وثلثاها للذكور والباقى للاناث

وبعد أن تفقد الجناب الخديوى المعظم محل المطبخ والحمام بارح المستشفى قاصدا دار المدرسة الاميرية وبمعية جنابه الكريم سعادة مدير المنوفية فوافاها فى منتصف الساعة

الخامسة وقد قام بتأدية فروض الاستقبال للجناب العالى حضرة مدير المدرسة حسن افندى حلمى وتفضل الجناب الخديوى حسب عادته المألوفة بزيارة جميع المكاتب وامتحان من أراد من التلامذة وتلا نجيب منهم على مسامع حضرته العلية قطعة من الشعر الفرنساوى فأعجب الجناب العالى بفصاحة الغلام ورشاقة لفظه وهنأه على ذلك معربا لحضرة ناظر المدرسة عن انشراحه وسروره مما رأى ثم تكرم جنابه العالى بمثل ذلك مرة أخرى عند مشاهدته أربعة من الصبيان يتقنون الالعاب الرياضية فى ملعب المدرسة

وفى منتصف الساعة السادسة مساء عاد الجناب الخديوى المعظم الى سراى المديريه فتناول طعام العشاء وابتدأت التشريفة السنية حسب المعتاد واستمرت الى قرب الساعة العاشرة وحينئذ تفضل جنابه العالى بالخروج لرؤية شوارع البلدة وزينتها وكانت كلها أنوارا ساطعة تضارع بنهارها فى الليلة الماضية ومن أجمل ما رأته العين فى شبين تلك الليلة زينة ديوان المديرية وضفتى بحر شبين وقد وصل بينهما بجسر من المراكب كله أنوار تلمع وذلك لمرور الجناب العالى به الى ميت خلف ثم زينة الطريق الموصلة الى ميت خلف وزينة ذهبية الخواجه سراندو سمارانوس وكانت تخطف الابصار بانوارها المختلفة الالوان والاشكال والالعاب النارية تتصاعد منها الى الجو حتى الصباح ثم زينة الدور التى فى سوق المدينة وبعض انحائها وقد تجول الجناب الخديوى العالى فى عربة خديويه وبمعيته سعادة احمد باشا نشأت فى جميع انحاء المدينة المزينة ثم شرف الصيوان الذى أعده أعيان المدينة برهة من الزمن

وبعد هذا بارح جنابه العالى شبين الكوم فى الساعة الحادية عشرة قاصدا زيارة أملاك دولتلو عصمتلو الحرم الخديوى المصون بجهة ميت خلف فسار تحف جنابه العالى كوكبة من فرسان البوليس فعبر بحر شبين على الجسر الذى سبقت الاشارة اليه ثم سلك الموكب الخديوى الطريق التى أنشئت حديثا الى ميت خلف وكانت كلها منارة بمصابيح الغاز موضوعة على مسافات قصيرة وقبل بضع دقائق من وصول حضرة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون الى تفتيش املاكها كان الجناب العالى قد وصلها باليمن والاقبال وفى صباح الخميس ٢٢ اكتوبر عاد الجناب الخديوى المعظم بالسلامة الى شبين الكوم وبمعيته سعادة احمد باشا نشأت وكان فى انتظار الجناب العالى على مقربة من رأس الجسر

الذى أنشئ على بحر شبين اثنان من وابورات البوستة أولهما الاقبال وهو معد لركوبة الجناب الخديوى المعظم والثانى واسمه راسم معد لركوب الحاشية الخديوية وقد وضع جناب الخواجه سوارس وابورا ثالثا له تحت أمر الجناب العالى غير أنه لم تمس الحاجة اليه

فلما نزل الجناب الخديوى المعظم من العربة تلقته بالسلام فرقتان من مشاة البوليس وفرسانها وأطلقت المدافع ايذانا ببارحته شبين الكوم أما الاقبال الذى أقل جنابه العالى فمن الوابورات الصغيرة الحجم وقد انتخب دون غيره من المراكب الكبيرة لسهولة مروره من الهويس وكان يستخدم عادة لنقل البريد فيما بين شبين الكوم والقناطر الخيرية وقد تفضل الجناب العالى فدعا الى معيته بهذا الوابور كلا من أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى والدكتور سالم باشا وسابا باشا مدير عموم البريد المصرى وأحمد باشا نشأت وجناب المستر كليفتون المفتش المؤقت لقسم الثانى من مصلحة الرى وكان الاقبال مزدانا بالاعلام وعلى جوانبه مغرآت الحضرة الخديوية الفخيمة تكتنفها الرايات الوطنية

وكان الضباب حينئذ فى درجة من التلبد والكثافة بحيث يخال للناظر عدم امكان الملاحة خطوة واحدة فى النهر غير أن الاقبال تحرك للسير غير مبال بهذه الموانع فلم يكد ينفصل عن ضفة النهر حتى اصطدم صدمة عنيفة بمراكب ذلك الجسر الصناعى وذهبية الموسيو اناستازيا الراسية بالقرب منها والظاهر أن هذه الحركة انما حدثت عن غلط أو سوء فهم فى ادارة الوابور فقلبت المائدة والكراسى التى كانت على ظهره فهرع لمساعدته رجال الذهبية وكان سعادة كولس باشا على البر مشاهدا ما حصل فألقى بنفسه الى احدى مراكب الجسر وتبعه عدد عظيم من رجال البوليس حضروا على الفور لاعانة الوابور الخديوى فحاولوا تخليص مؤخره من بين مركبين كانا قد اشتبكا به ومنع اصطدامه مرة أخرى بالذهبية التى كانت تدفعه نحوها قوة التيار فحدث عن تخلص مؤخر الوابور بغتة ان مال بجانبه بسرعة غريبة على جانب الذهبية وكان على حرف هذا الجانب منه بعض النوتيه يقومون بهذه الحركات فانحاش واحد منهم بين جانب الوابور والذهبية فكان على قاب قوسين أو أدنى من التلف فأسرع الجناب الخديوى المعظم وهم همة الشجاع فى النظر وانتشل هذا المسكين الى ظهر الوابور فى أقرب من لمح البصر

وبعد نحو ربع ساعة تخاص الوابور الخديوى وسار يقوده الوابور الثانى مسافة نحو مائة من الامتار الى الامام ثم ألقى المراسى منتظراً صفاء الجو الى نحو منتصف الساعة الثامنة صباحا وهنالك أطلق الربان عنان البخار فسار الاقبال يشق عباب اليم براكبه العزيز والسلامة تحدوه وأصوات الالوف من الوفود تتبعه مهنئة ناطقين فليعش الجناب الخديوى المعظم مادامت الايام

وكان المحل الاول الذى توقف الركاب العالى به بعد مبارحة شبين الكوم يعرف بكفر المصيلحه وموقعه على الضفة اليسرى لبحر شبين وكان الشاطئ جميعه مزدانا بالاعلام والرايات والناس عليه كالجراد المنتشر يهتفون بالدعوات والبركات لامير القطر المعظم والجناب الخديوى يقابل ذلك منهم بالسلام بيده الكريمة وماز الوا على ذلك حتى غاب الوابور الخديوى عن أبصارهم وأصواتهم لم تغب عنه بالدعوات الصالحات

وكان سير الوابور الآن بين مروج سندسيه تميس بأوراق القلقاس الجميلة تحت سماء خضراء من أشجار التوت وقد بدت للعين قرية الباجور فى طلعة بهية تزدان ظاهرها بالاعلام وجموع الناس بينها ترفع الاصوات بالدعاء والتهليل مشيرين الى الفلك الخديوى الذى اهتزت به أعطاف النيل وكانت اذ ذاك الساعة التاسعة فتفضل الجناب الخديوى وأمر بوقوف الوابور قليلا حذاء هذه القرية تعطفا وترفقا بأميال سكانها وكذلك كان الحال عند المرور بهو يس القرينين فنزل الجناب العالى الى البر على طارقة مزينة بالاعلام تكتنفها أغصان النخل والشجر أعدت خلف الهويس وتلقى جنابه الرفيع بها حضرة مأمور مركز مليج ومعاون بوليسه ومهندسه يتقدمهم سعادة أحمد باشا نشأت وقد قام بفروض السلام العسكرى فرقة من بوليس المركز وكانت القنطرة والهويس تخفق عليهما الاعلام والرايات وقد فرش بساط يطرزه من الجانبين شريط من الزهور والرياحين من أول القنطرة الى آخرها فاجتازها الجناب الخديوى راجلا بين تهليل وتكبير مما لا يحصى عدده من الوفود وفى أثناء ذلك كان الوابور الخديوى قد اجتاز أيضا مسافة الهويس وقبل أن يرقى اليه الجناب العالى جاء نظره الكريم على كتابة قد نقشت على احدى قوائم القنطرة فاذا هى ناطقة بان هذا العمل المبرور قد تم فى عهد جده الشهير المرحوم محمد على باشا الكبير وذلك فى سنة ١٢٦٠ هجريه على يد المهندس لينان ده بلفوند

وكانت المرة الثالثة لوقوف الوابور الخديوى نحو الساعة ١٠ والدقيقة ٢٠ على فم الترعة الباجورية حيث أراد الجناب العالى مشارفة القنطرة والهويس اللذين انشئا حديثا لهذه الترعة ولا يخفى ان الترعة الصغيرة المعروفة بالسرساوية تبتدئ من هذا المكان أيضا وقد أعد لنزول الجناب الكريم الى البرطرقة يعلوها قوس نصر قد تزين بالازاهير وأوراق الشجر على شكل لطيف ونظام بديع فتلقى جنابه السامى بها حضرات الخواجات يني وديمترى كالى من كبار المزارعين بالمنوفيه قدمهم للجناب الخديوى سعادة مدير المديرية وقد مد من هذه الطرقة بساط نفيس يوصل الى مدخل صيوان جميل نصب على شاطئ الترعة يشارف منه الرائى قنطرة الباجورية وفمى الترعتين وكان ممر الجناب الخديوى المعظم مزدحما بما يجل عن الحصر من الوافدين والمهنئين والجميع يهتفون فى ذهابه وايابه بجميل الدعاء وعبارات العبودية والولاء ثم سار الاقبال باليمن والاقبال يرافقه من الشاطئ فرسان البدو يحيونه بطلقات البنادق بين زغاريط النساء ودوى الطبول وأصوات القوم هاتفة فليحى افندينا المعظم الى أن وصل بالسلامة الى فم الترعة الفرعونية فى منتصف الساعة الحادية عشرة فألقى مرساه امام طرقة قامت عليها أقواس النصر تؤدى الى ممشى يحفه من الجانبين كثير من بدائع الزهور وغرائب النبات وينتهى الى قمة الجسر بقوس نصر آخر وقد شرف الجناب العالى هذا المكان فاحتفل باستقبال جنابه المنيف حضرة الموسيو مكس لافيرون مع حضرة مأمور المركز وقبل عودة جنابه السامى الى الوابور أقبلت زعفرانه ابنة الملتزم وهى ما بين السابعة والثامنة من العمر وبيدها باقة جميلة من الزهور فقدمتها الى الجناب العالى مع تحية منها له أنضر وأبهى من الزهر فقبل الجناب الرفيع ذلك منها بما طبع عليه من البشاشة وحسن المجاملة مع كل رعاياه

ولم يقف الركاب الخديوى قبل وصوله الى القناطر الخيرية الاقليلا على محطة هويس النعناعية وكان ذلك نحو الظهر والقنطرة مزدانة كلها بالاعلام والرايات وقد غشى جسور الترعة على مسافة طويلة ألوف مؤلفة من الجماهير يهللون ويكبرون لمقدم أميرهم وولى نعمتهم المعظم فمر الجناب الخديوى بقنطرة الهويس ومن ثمت الى وابوره الاقبال وكان بمعيته السنية حضرة مأمور مركز سبك التابعة له تلك الجهة وفى أمام القنطرة فم النعناعية التى عليها مدارى المنوفيه والغربيه

ولم يزل موكب الحضرة الفخيمة الخديويه مكان احتفاء واحتفال من الاهلين عموما وخصوصا أمام معمل الموسيو زنجاداه حتى أطلقت المدافع بالقناطر الخيريه ايذانا بحلول الركاب العالى بها نحو الساعة ٢ والدقيقة ٢٠ فألفيت المراسى حذاء طرقة تبعد نحو ٢٠٠ متر عن هويس رياح المنوفيه وقد زينت بما يروق العين ويسر الخاطر

وعند نزول جنابه الرفيع الى البر تلقاه كل من حضرات المستر فورستر رئيس القسم الثالث من تفانيش الرى والموسيو لبرنور مدير القناطر الخيريه يحف به خدمة مصلحته فقابلهم الجناب العالى بما جبل عليه من التلطف والبشاشه ثم ركب عربة دكوفيل قاصدا مركز ادارة القناطر وكان بمعية جنابه العالى كل من صاحب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى وجناب المستر فورستر وهنالك اطلع الجناب الخديوى المعظم على الصور الشمسية التى رسم فيها جميع ما أنشئ فى القناطر الخيريه من الاعمال من عهد الشروع فى ترميمها الى نهايته والمستر فورستر يقوم بالجواب على ما يلقيه الجناب العالى عليه من الاسئلة بشأنها وفى ختام هذه الزيارة السنية ركب الجناب الخديوى فى العربة التى أتى بها قاصدا اليخت الخديوى (فيض ظافر) ركوبة حضرة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون وحاشيتها وكان الجميع يهللون ويكبرون أثناء سير الجناب العالى اليه

وقد نصبت ادارة مصلحة التوفيقيه بين فرع دمياط والرياح التوفيقى قوس نصر فى غاية الابداع والاتقان ينتهى بشكل صورة الحرف الاول من اسم الجناب العالى بل كانت جهات القناطر الخيريه بأجمعها سواء فيما يلى فرع دمياط أو رشيد مزدانة كلها بأبدع وألطف ما يميل اليه الذوق السليم

وبعد وصول الجناب الخديوى المعظم الى وابور فيض ربانى بيضع دقائق قدم المستر فورستر باسم حضرة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون بالاصالة عن نفسه والنيابة عن بقية خدمة القناطر مجموعة من مثل الصور الشمسية التى رآها الجناب العالى ومعها باقة عظيمة من الزهور على مخدة من المخمل الاحمر عليها أوائل حروف اسم دولتها فقبلت حفظها الله هذه الهدية مبلغة امتنانها لمرسليها على لسان حضرة أغاباشى الحرم الخديوى الكريم

وفى الساعة الرابعة بارح الجناب العالى الوابور وبمعيته حضرة صاحب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى فى عربة خديوية قاصدا محطة السكة الحديدية وكان القطار الخديوى فى انتظار جنابه العالى وقبل أن يركب جنابه الرفيع القطار تفضل بتشريف الصيوان الذى أقامه الشيخ سلامه شديد العربى وقد قدمه حضرة مدير القليوبية لجنابه الفخيم

ثم أطلقت المدافع ايذانا بسفر الجناب العالى وصاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون الى مصر فسار القطار تحفه الانوار وفى الساعة ٤ و ٤٢ دقيقة وصل القطار الى محطة قليوب وقد كانت مجللة بالزينة على شكل لطيف واجتمع اليها كثير من الوفود وعدد لا يحصى من الاهلين يحيون الجناب العالى ويظهرون لذاته العلية ماعندهم من شعائر المحبة والولاء ثم اجتازها الى محطة مصر وحصل فيها من الزينة والاحتفال ماسيأتى الكلام عليه

وقبل أن نختم هذه السياحة المبرورة نقول انه كان فى معية الجناب العالى فيها أحد المصورين الماهرين وهو سعادة محمد صادق باشا من أقدم من خدموا الحكومة السنية بالصدق والاخلاص وكان يأخذ صور المشاهد المهمة فى تلك السياحة ويصورها على ماهى عليه وبالجملة فقد كانت هذه السياحة المباركة كلها فوائد وعوائد وفرح وسرور على عموم الاهالى لا يمكن للقلم أن يأتى على وصفها على ما كانت عليه فكم أدخلت المسرات والافراح وأزالت الاوصاب والاتراح وجعلت القلوب فى ابتهاج دائم والنفوس فى هناء ملازم أدام الله صاحبها القرير العين مصدراً لكل خير وحفظ لحضرته العلية حضرات الآل وكرام الانجال آمين

تشريف الجناب الخديوى المعظم محروسة مصر والمولد النبوى المنيف

كان معارسماً الجناب العالى حفظه الله خطة لسياحته ان الوصول الى مصر فى منتصف الساعة الثانية عشرة من يوم الخميس التاسع من شهر ربيع الاول سنة ٣٠٨ (٢٣ اكتوبر سنة ٩٠) فزينت محطة العاصمة فى ذلك اليوم زينة بهجة كاملة وفرشت بالبسط الثمينة ورفعت عليها الاعلام وحول ذلك رنك (أرمة) الحكومة المصرية وجىء بالعساكر المصرية

والانكليزية فرسانا ومشاة ومعهم أعلامهم والموسيقات وصفوا فى رحبتها صنوفا صفوفا منظمة وأشكالا متنوعة وهرع اليها بعد العصر جميع سراة الناس وأماجدهم وفى مقدمتهم حضرات البرنسات الفخام والنظار الكرام والعلماء الاعلام وأكابر الذوات ومعاشر الموظفين ووكلاء الدول وأعيان الاهلين والاجانب فكانت المحطة على أجمل ما يكون من كمال المنظر والرواء أما شوارع العاصمة فقد كانت قرة الناظر وبهاء الخاطر من حيث الزينة بالرايات والاعلام والرياحين والازهار وكانت جوانبها ممتلئة بطبقات القوم ينتظرون تشرفهم بطلعة الجناب العالى أعزه الله

جاء الوقت المعين لوصول الجناب الفخيم فظهر للعين قطاره المخصوص تصاحبه المكرامة ويحدوه الجلال فتسارع المنتظرون الى موقفه بالسكينة والوقار فأقبل عليهم الجناب الرفيع يحييهم بما عهد فى طبعه الشريف من البشر والايناس فقابلوا ذاته الفخيمة بكامل التعظيم والاكبار وهنالك أطلقت المدافع من جهات العاصمة اعلاما بقدومه المبارك وصدحت الموسيقات العسكريه بالسلام الخديوى المخصوص وهتف اللسان بالدعاء المقبول لولى النعم وأنجاله الكرام

وبعد مضى بضع دقائق كانت كلها فرحا وسرورا بقدوم أمير البلاد وتهنئة بوصوله سالما بارح جنابه الكريم الجمع الى العربة الخديويه فركبها ومرت فى موكب حافل بين صفوف العساكر وهم يهتفون بالدعاء لجنابه الرفيع ثم ركبت بعده صاحبة الدولة والعصمة والصيانة الحرم المصون فى موكب بهيج وتتابعت عربات من كانوا فى المحطة لتقديم التهنئة بسلامة الوصول ووصلا الى سراى عابدين العامرة باليمن والاقبال

أقبل الليل فاستعاض أهل العاصمة وسكانها بأضواء الزينة ضوء النهار فلم يخل شارع من تلك الانوار أقامها الناس فرحا وسرورا بقدوم الجناب الفخيم وأحكموا صنعها وأجادوا وضعها وتنافسوا فى اتقانها فكانت العاصمة كلها نورا على نور وسرورا على سرور والمسلمون أحيوا ليلتهم بالقرآن المجيد والذكر الحميد وغيرهم أحيوها بسماع المطربات من الاغانى الشائقة وألحان الآلات وبات الكل فى هناء فرحين يزور بعضهم بعضا فى مواطنهم مهنئين كأن ليلتهم من أيام المواسم والاعياد

ولما كانت الساعة الثانية العربية من صبيحة يوم الجمعة الآخر توافد الناس الى سراى عابدين العامرة ليهنئوا الجناب الخديوى المعظم بسلامة الوصول وكانت العساكر فرسانا ورجالة قد اصطفوا أمامها بانتظام عسكرى مهيب فكانت هذه نعمت الحظوة للوافدين على اختلافهم فى الرتب والدرجات لم يحرم فريق منهم من حسن الالتفات ولم تخرج كل درجة من بين يديه الكريمتين الاشاكرة داعية لمقامه المنيف بدوام المجد والتأييد ولم يزل الحال حال سلام وهناء ومجاملة وولاء وشكران ودعاء الى أن قربت صلاة الجمعة فكملت تشريفات التسليم وتهيأ الجناب الكريم الى أداء فريضتها فى جامع عابدين فأداها على عادته المقبولة وعاد الى السراى العامرة للاستراحة فى مقرها العالى المنيف

وفى نحو الساعة الثامنة العربية من يوم السبت المبارك توجه الجناب العالى الى ساحة المولد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام فى موكبه الحافل وقصد صيوان حضرة الحسيب النسيب الشيخ البكرى نقيب الاشراف وكان هنالك جمع عظيم من السادة العلماء وغيرهم من الذوات الامجاد وكبار الحكومة السنيه والوجهاء وانتظم موكب مشايخ الطرق ومروا أمام جنابه العالى يذكرون الله ويصلون على نبيه المختار وخلعت الخلع المعتاد خلعها على ذويها من مشايخ الطرق والسجاجيد وتليت الادعية الخيرية للمقام الشاهانى الاكبر ولجنابه الفخيم بدوام النصر والتأييد ثم عاد جنابه الكريم الى عابدين بالعز والاجلال

وفى أوائل الساعة الثالثة العربية من ليلة الاحد المباركة عاود جنابه العالى صيوان حضرة الاستاذ البكرى فى موكب جليل وبمعية جنابه الكريم صاحب السعادة ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى وكان فى الصيوان من لا يحصون عددا من أفاضل العلماء وكبار الذوات وأعاظم الموظفين وأكارم الوجوه والاعيان فى مقدمتهم حضرات النظار الكرام وقد تلقوا جنابه الفخيم بما يجب لذاته العلية من الاجلال والاحترام ولما استقر بمقامه المنيف الجلوس امتلأ المجلس مهابة وجلالا ووقارا وكمالا ثم شرع حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد البسيونى امام جنابه الكريم فى قراءة الانباء والاخبار الواردة فى شأن مولد النبى عليه الصلاة والسلام فأتمها بغاية الوضوح والايجاز واختتمها بالدعاء المقبول لجلالة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين السلطان الغازى ﴿ عبد الحميد خان ﴾ نصره الله

والجناب العالى ولى النعم الخديوى المعظم ورجال الحكومة الكرام ولجميع الحاضرين ثم تلا مشاهير القراء بعض آيات من القرآن المجيد ودارت أكواب الشربات على كل من فى المجلس فشربوا هنيأ و بارح الجناب الخديوى المعظم الجمع الى صيوانه العالى بساحة المولد الشريف فتبعه اليه غالب الحاضرين وجلسوا فى حضرته العالية يؤانسهم بلطفه المعهود ويوليهم من كرمه المشهود وكلهم فرحون مبتهجون شاكرون داعون لجنابه الكريم ولم يستقر بهم الجلوس حتى أطلقت الالعاب النارية فى ساحة المولد تأخذ بمجامع النفوس انشراحا وتولى العين بمناظرها أفراحا كانت فى غاية الاتقان جامعة لكثير من مختلفات الالوان لكنها كلها متناسبة فى العيان وأشكالها كثيرة العدد والمرائى لا يصل اليها الوصف بالبيان وبعد نحو الساعة بارح الجناب العالى المولد قرير العين منشرح الصدر أدام الله توفيقه لما يحبه و يرضاه

وفى صبيحة يوم الاحد قصد الجناب العالى المسجد الحسينى على ساكنه الرحمة والرضوان وبمعية جنابه الرفيع صاحب السعادة رئيس الديوان الخديوى وكان فى المسجد حضرات النظار الكرام والعلماء الاعلام وكثير جدا من الذوات والاعيان فتقبل جنابه الكريم بغاية الاجلال والاعظام وتلى بين يديه خبر المولد النبوى المنيف باللغة التركية وآيات من القرآن الشريف ثم شربت الشربات ودخل الجناب العالى الى الضريح الحسينى فزاره ودعا الله بتوفيقه لما أمر به وعلت هنالك الاصوات بالدعوات الخيرية لجنابه الكريم ولحضرات الانجال الكرام ثم بارح حفظه الله المسجد تحفه الكرامة والاجلال فوصل سراى عابدين العامرة باليمن والاقبال

أدام الله الجناب الخديوى المعظم مصدرا للخيرات موردا للبرات موفقا للاعمال الصالحات مشيدا معالم الدين ناصرا لركنه المتين مؤيدا بالعز وتوالسلطان على ممر الزمان قرير العين بحضرات الآل وكرام الانجال ما تجدد الجديدان وتعاقب الملوان آمين

تشريف الجناب الخديوى المعظم محاكم مصر الاهليه

لما كان من مقصد الجناب العالى فى سياحته المبرورة استطلاع حال الادارات والمصالح الاميريه رأى جنابه الفخيم أن يتبع تفقد مصالح الاقاليم بمشارفة محاكم مصر القضائية فرسم بذلك تكميلا لمقصده المشكور وعمله المأثور

جاءت البشرى بان الارادة السنية توجهت لزيارة محكمة استئناف مصر الاهلية والمحكمة الابتدائية الاهلية ليستطلع الجناب العالى بنفسه ماهما عليه من الاحوال فيزداد فيهما نشاط العمال ويقبلوا على الاعمال وتعين لهاته الزيارة المنيفة يوم الخميس ١٦ ربيع الاول سنة ٣٠٨ (٣٠ اكتوبر سنة ٩٠) فأخذ كل من له الرأى فيهما فى اعداد المحكمة وجعلها فى زى صالح لتشريف الجناب الرفيع

زينت لمقدمه المبارك واجلالا لمقامه المنيف محكمة الاستئناف ظاهرها وباطنها غرفها وقاعاتها رحباتها الخارجة عنها والداخلة فيها دورها الاول والثانى وأعاليها وخفقت أمامها على مسافة بعيدة منها حتى تتصل بها أعلام ورايات رفعت على عمد شاهقة مكسوة بالاقمشة المختلفة الالوان تتخللها بعض قطع من المعادن البراقة تروق الابصار وكان جميع منافذها وكل جوانبها وضع عليها كثير من أغصان الشجر وسعف النخيل تتوسطه الزهور فكذلك كانت جوانبها وطرقاتها المفروشة بالبسط الاعجمية بأنواع الرياحين والقسمات الكبيرة التى بين الغرف كانت أشبه شئ بحدائق كثيرة الالوان فى غاية الرونق والاتقان وضع وسط كل منها شكل هرمى من تلك المشمومات وجعل فى جوانبها أشكال هندسية أحيطت بدائرة سميكة كلها من العطريات وعلى باب كل غرفة علامة الجناب الخديوى المعظم حفظه الله وفى غالبها صور من صوره الجليلة فى غاية الاحكام وغشى السلم بالجوخ الاحمر واتصل مابين القاعات بطرق فرشت بسطا يمتد على جانبيه لطيف الازاهير بصنع دقيق وأعد للجناب العالى فى قاعات رئيس المحكمة والنائب والافوكاتو العموميين مجالس يصل بينها وبين الابواب أغلى الاطالس وأعلى شالات الكشمير وفيها مايدهش الباصر من كراسى زركشت بقصب الاكسير ومن الروائح العطرية وشذا الازاهير النديه ماينعش الارواح والابدان

وبعد الساعة التاسعة العربية اجتمع الى أول باب المحكمة سعادة رئيسها وحضرة وكيلها وحضرات القضاة والنواب وجناب النائب والافوكاتو العموميين وحضرة الباشكاتب للتشرف باستقبال الجناب العالى أدامه الله

وفى منتصف الساعة العاشرة أقبل الجناب الرفيع فى موكبه الحافل وعلى يساره صاحب السعادة حسين فخرى باشا ناظر الحقانية وخلفه الياوران العظام وقد كانت طريق مروره حفظه الله واتساع ذلك الفضاء بين المحكمة وسراى دولتلو منصور باشا يكن مملوأ بطبقات الناس كلهم يدعون ويرفعون أيديهم بصالح الدعوات وعلى مدخل المحكمة وفى صحنها عدد من عسكر البوليس الفوارس والمشاة فتلقى جنابه العالى حضرات المنتظرين بما يليق لمقامه الجليل من الاجلال والاحترام وحياهم حفظه الله بما عهد فى كرم أخلاقه من البشاشة والايناس

كان أول ما بدأ به جنابه الفخيم دخول الخزينة والدفترخانة وهما فى الدور الارضى من المحكمة وعمالهما موجودون فيهما فسأل كلا منهم مستفسرا عما أراد الوقوف عليه منها بغاية الدقة والايجاز فأفاد كل عامل عن عمله بما أمكنه من البيان ثم صعد الدور الاعلى وشرف قاعة الرئيس ووقف أعزه الله أمام المجلس المعد لجنابه الرفيع وتشرف حضرات القضاة والنواب بلثم يده الكريمة وسعادة الرئيس أمامه يقدمهم واحدا فواحدا حتى انتهى التسليم ثم بارحها الى موضع سكرتير الرئاسة وعمالها فسأله عن بعض الاعمال فأجاب عنها بما انشرح له خاطره الشريف وتنقل الى بقيتهم فاستفهم من كل واحد عن بعض أشياء تتعلق بعمله فأبانوا الحقيقة أى بيان ثم شرف غرفا أعدت لحضرات القضاة وقت الخلو من الجلسات لاحضار ما سلم اليهم من القضايا قبل المرافعات واستخراج الملخصات ثم شرف مكان مداولتهم فيما سمعت فيه المرافعة وتقرير الاحكام ثم قاعة الجلسة الكبيرة وكانت على حالتها التى هى عليها لم يزد فيها شئ من الرونقة اشارة الى أن حليتها هى صدور الاحكام فيها باسم الجناب الخديوى المعظم عادلة موافقة للقانون ولقواعد العدل والانصاف ولقد كان الجناب العالى يستعلم فى هذه المواطن عما يعن بخاطره الشريف تارة من سعادة الرئيس وآونة من حضرتى النائب والافوكاتو العموميين ثم شرف مكان المترجمين وأخذ بعض الاوراق وقرأه بنفسه الكريمة باللغتين العربية والاجنبية حتى يقابل بين العمل الواحد فى اللسانين

ثم شرف قاعة حضرات المحامين وقد زينوها زينة فاخرة ففرشوها بانفس البسط وأغلاها وعلى نوافذها أثمن الكتامير وأغلاها وأحاطوها بكراسي فاروزية اللون من القز والديباج النفيس وجعلوا وسطها طاولة غشيت بالجوخ الاخضر وفوقها أصناف من أدوات الكتابة في غاية الاتقان ووضعوا عليها تجاه الباب محفظة كتب عليها بحرف ذهبي جلي اسم أحدهم (سعد) لتكون أول ما يلحظه البصر الشريف عند الدخول فوقف الجناب العالي حفظه الله فيها زمانا قدم فيه سعادة الرئيس لجنابه الفخيم حضراتهم واحدا فواحدا وحظى بعضهم بلثم اليد الكريمة والبعض بتقبيل الاذيال المنيفة فعلا هنالك سعدهم وكمل حظهم وبسطوا أكف الضراعة والابتهال بدوام بقاء الجناب الفخيم وأنجاله الكرام

ثم بارحهم جنابه الكريم منشرح الخاطر الى قاعة حضرة الطبيب الشرعي للمحاكم الاهلية فعرض على حضرته العلية بعض تقاريره فيما عين فيه من المأموريات فسر جنابه الكريم ثم بارحها الى قاعة الجلسة الثانية ثم شرف غرفة جناب النائب العمومي وشارف بعض الاعمال وفيها وفد على حضرته العلية حضرات وكلاء النيابة والمساعدين جميعا فقدمهم جناب النائب الى مقامه العلي واحدا فواحدا ونالوا كلهم من لدن جنابه العالي مزيد الرعاية وجميل الالتفات فخرجوا الى حجراتهم شاكرين داعين ثم شرف غرفة فيها ستة من أولئك الوكلاء وهم حضرات عثمان افندي مرتضى ومحمد افندي محفوظ ومحمد افندي صفوت وعبد الله افندي أمين ومحمد افندي صدقي ومصطفى افندي ناجي فسألهم جنابه الرفيع على هذا الترتيب عن أعمالهم فشرحوها لحضرته العلية بعبارة عربية في غاية الفصاحة والتبيان وكان حفظه الله يستعلم عن مفردات القضايا ومستنداتها وأوجه الاثبات على المتهمين وبارحها مبتسما مسرورا الى غرفة حضرة الافوكاتو العمومي فسأله عما يعمل ففصل له حق التفصيل وكان منه المرافعة في القضايا المهمة أمام الاستئناف وتأديب الكتبة والمحضرين والمحامين وقضايا النقض والابرام بأجمعها وهنا استعلم حفظه الله عن سير تلك القضايا ومقدار ما يقبل منها فيه فأجاب المسؤل بأن تدقيق جلسات الاستئناف في اصدار الاحكام جعل المقبول فيه في غاية القلة والندور كل ذلك كان بغاية

الوضوح والجلاء فبارحها الجناب العالى مظهراً غاية البشر والانشراح الى أماكن بقية المساعدين وسأل كذلك كل عامل عن كثير من أشغاله فكانوا فى غاية الاهبة والاستعداد لما سئلوا فيه

ثم نزل حفظه الله فشرف مكان كتبة تنفيذ الاحكام فسأل غالبهم فيما اقتضاه المقام فيما يتعلق بكيفيات التنفيذ واطلع على ما طبع له من الاوراق ثم شرف غرفة حضرة باشكاتب المحكمة وكان حضرته قد أعد كشوفات مفصلة ببيان ايراد المحكمة ومصرفها وما انتهى فيها من الاحكام مدنية كانت أو جنائية من يوم افتتاحها الى غاية سنة ١٨٨٩ فكان ايرادها كله فى تلك المدة ٣٠٧٥٨ جنيها ومصرفها فيها ١٤٥٩١٩ جنيها وعدد القضايا المحكوم فيها ١٥١٠١ قضية فأعجب الجناب العالى هذا الصنيع الجميل واستفهم عن كثير من الاشياء المتعلقة بالكتابة واستصحب حفظه الله تلك الكشوفات لوقوعها لدى مقامه السنى موقع القبول والاستحسان ثم شرف مواضع كتاب المدنيات والجنائيات واستعلم من رؤسائهما عما أراد الاستعلام عنه من الاعمال وبارحها الى رحبة المحكمة بالعز والاجلال والساعة احدى عشرة عربيا من النهار

وكانت مدة هذه الزيارة المباركة فوق ساعة ونصف على التحقيق وقبل مبارحة المحكمة أظهر حفظه الله لسعادة رئيسها ومن معه كامل سروره ومزيد انشراحه بما رآه من حسن النظام وكمال السير فى الاعمال وحثهم على استدامة هذا النشاط والاجتهاد وكانت هذه الزيارة المنيفة نعم ما بث فى كل موظفى المحكمة روح الغيرة والاخلاص فدعوا لمقامه العلى بدوام المجد والتأييد وقدموا لذاته الفخيمة واجب الشكر والامتنان على ما أولاهم من جليل الرعاية والالتفات

ثم بارح حفظه الله محكمة الاستئناف قاصدا المحكمة الابتدائية الاهلية فى موكبه الجليل وبمعية جنابه العالى صاحب السعادة ناظر الحقانية وبمعية سعادة رئيس الاستئناف وجناب النائب والافوكاتو العموميين وغيرهم من حضرات القضاة فوصلها فى أول الساعة الثانية عشرة وكانت على أجمل ما يكون من الاهبة وأكمل ما يرى من الزينة والبهاء وفى رحبتها حضرة رئيسها وكل حضرات قضاتها والنواب ووكلاء النائب العمومى فى الانتظار

فلما تشرف ركابه السعيد ساحتها حياهم جنابه الفخيم بما عهد في طبعه الكريم من سعة الاخلاق فتلقوا جنابه الكريم بما يجب لمقامه السنى من الاجلال والاكبار ثم شارف أماكن الكتاب مبتدئا بموضع حضرة الباشكاتب ثم رقى الدور الثانى وشرف غرفة حضرة الرئيس فغرف حضرات القضاة فأماكن الجلسات فمحال النيابة العمومية فمواطن كتابها وسأل كلا من العمال عن عمله مستطلعا عن كيفية السير الابتدائى في جميع القضايا الى غير ذلك من الاستفسار والاستيضاح فسر جنابه الرفيع مما شاهده من حسن السير وكمال الانتظام

وقد أخذ رسم جنابه الفخيم بالنور وهو مشرف احدى الرحبات الاولى من هذه المحكمة فكان على أبهى منظر وأوفى ما يحسن من الاحكام

وقبل أن يبارح جنابه الرفيع هذه المحكمة أظهر لحضرة رئيسها امتنانه العالى من اجتهاد العمال في أشغالهم واقبالهم عليها غاية الاقبال ثم ركب الجناب العالى عائدا الى مقره سراى عابدين العامرة بالعز والاجلال في مثل ما جاء فيه من الاجلال والاعظام فقد كانت الطرقات كلها مزدحمة بافواج الناس يتيمنون بطلعته السنية ويدعون لمقامه العلى بدوام المجد والاعزاز

ولقد شوهد على الذات الفخيمة الخديوية آثار المسرة والابتهاج بأعمال هاتين المحكمتين وتضلع عمالهما في قوانينهما خصوصا فيما يتعلق بتقدم اللغة العربية التى هى اللغة الرسمية فيهما وان سرور ولى الامر النعمة من رجال محاكمه مما يشجعهم على استدامة الصدق ويقوى أمل الاهلين في حسن مستقبلهم فان المحاكم هى المكانة بفصل منازعاتهم في حقوقهم والنظر فيما يقع عليهم من الجنايات فاذا صلحت أمن الناس على الحقوق والانفس والاموال

وان توجهات ولى النعم الجناب الخديوى المعظم الى كمال اصلاحها وتشريفها بتفقده أعمالها بنفسه الكريمة أوفى ضامن وأجل كفيل في نجاحها وقيامها بما عهد اليها حق القيام

أدام الله الجناب العالى مصدرا لكل خير وفضل حافظا النظام الامن والعدل وأيد به رجاله الكرام وأدام توفيقه لما يرضاه وأقر أعينه بدوام حضرات الآل وكرام الانجال آمين

سياحة
الجناب الخديوى المعظم
فى الوجه القبلى

لقد تعود ولى النعم ومولى الاحسان أن يستطلع بذاته الشريفة أحوال البلدان فلم يمض كبير زمن على تشريفه الاقاليم البحرية حتى دعته دواعى الرأفة والمرحمة الى مشارفة المواطن القبلية ولما تحققت العزيمة وصدرت بذلك الاوامر الكريمة أخذ الاهالى يعدون من الزينات أبهاها وينشرون من الاعلام أزهاها يود كل منهم أن يجود بالنفس والمال ويبذل كل غال شكرا للحضرة الفخيمة الخديوية على هذه المنة السنية

وقد توالت البشائر بيوم التشريف فهرعت جماهير المخلوقات وتسابق مواشى وجماعات الى طريق ممر القطار يتباهون فى كيفية الدعاء ويتفاخرون بجزيل الثناء فرحين منشرحين مهللين مستبشرين بهذا القدوم الميمون

أقبل الجناب الرفيع أدامه الله على عموم رعاياه فأوردهم موارد كرمه وأفاض عليهم سجال نعمه وسألهم عن جميع أحوالهم صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها فلم يدع نقيرا الا علمه ولا قبيلا الا أدركه ولم يزل مقبلا على عمله قائما بشؤونه الا حضه على المثابرة واستدامة الاهتمام ولا محجما متراخيا الا أحيى همته وبث فيه روح الاقدام حتى ملك الارواح والاجسام وتوافقت على محبته صنوف الانام

ولقد اقتضت ارادته السنية أن يشرف بعض المواطن القريبة الى العاصمة قبل السياحة العامة (كما فعل حفظه الله قبل سياحته فى الوجه البحرى) فشرف أولا مدينة دمنهور ثم عاد الى مصر باليمن والاقبال ثم شرف بندر الجيزة وعاد الى العاصمة بالعز والاجلال ثم ابتدأ السفر الى الجهات القبلية يوم الاحد الرابع من شهر يناير سنة ٩١ وهذه تفاصيل التشريف فى تلك المواطن القريبة والبعيدة على الترتيب

تشريف مدينه دهشور

خلق الجناب الخديوى المعظم حفظه الله شغفا باستطلاع أحوال بلاده وما عليه الاهلون في أمر المعيشة والراحة والاطمئنان رؤوفا بهم يحب أن يشاهد بذاته الشريفة كل جهة من جهاتهم وموطن من مواطن اقاماتهم وعباداتهم حتى اذا رأى ما يستوجب التفات نظره العالى لاصلاحه أمر به لوقته ووجه عنايته الى انجازه حتى يكمل فى أقرب ما يكون من الزمان

ومن ذلك أنه تشرف فى فصل الشتاء الماضى المعتاد تشريف ركابه العالى فيه جهة حلوان وما جاورها من البلدان قرية دهشور لاداء صلاة الجمعة فى مسجدها يوم الجمعة ٧ فبراير سنة ٩٠ كما جبلت عليه طباعه الكريمة من المحافظة على الصلوات فى أوقاتها

ولما كان ذلك المسجد من المساجد العتيقة المتجهة اليه رغبات سكان تلك الجهات وقد أتى عليه طول الزمان وتداول الحدثان بما هدم بعض أركانه وقوض سقفه وجدرانه وأباد منبره ومنافعه التمس أهالى تلك البلدة من المراحم العلية الاذن باصلاح خلله واقامة الصلاة فيه فصدر أمره العلى الى سعادة محمد حمدى باشا مدير الاوقاف بعمارته وتجديد ما اندثر من معالمه فلبى الامر مسرعا وعين المهندسين لعمل المقايسات فقدموها اليه مع تقرير واف بالغرض المقصود علم منه أن الجامع تخرب بالمرة على طول الزمن ولا تفيده الترميمات بل لابد من اعادة بنائه من الاساسات فعرض سعادته ذلك على مسامع ولى النعم فصدر أمره الكريم بانجاز ذلك على أكمل نظام فى أقرب زمان

وقد كمل والحمد لله هذا الخير الجزيل المستلزم للثواب الجليل بتوجهات ولى النعم فقام ذلك المسجد مشيدا منتظما على أحسن حال وأتم منوال وصار مستعدا لاقامة الشعائر الدينية وأداء الصلوات والعبادات

وقد عرض أمر كماله على المسامع العلية فعزم الجناب الفخيم على أن يؤدى صلاة الجمعة فيه لتكون تاريخا لتجديده ففى يوم الجمعه ٣٠ ربيع الثانى سنة ٣٠٨ (١٢ دسمبر سنة ٩٠) قام ركابه العالى من مدينة حلوان الساعه ٧ والدقيقه ١٠ صباحا بقطار مخصوص الى محطة النيل ثم شرف اليخت الخديوى (زينة البحرين) الى الشاطئ الغربى فوصل موردة بلدة تسمى مزغونه الساعه ٩ والدقيقه ١٥ وكان فى انتظار جنابه العالى بها جم غفير من المشايخ والعمد والاهلين فشرفهم بحسن الالتفات وسلامه المنيف واستفسر عن أحوالهم

ومزروعاتهم ثم توجهت رغبته العلية الى مشارفة المكان الذى ستنشأ فيه محطة جديدة للسكة الحديدية بين محطتى العياط والبدرشين فشرفه وشاهد ما استحضر من الادوات لاتمام البناء وقد كان فى ركاب جنابه العالى أثناء التوجه الى ذلك المكان المشايخ والعمد والاعيان يجاوبون عما يستفهم عنه جنابه الرفيع من الاحوال ومحاصيل المزروعات ولقد أشار بعض المشايخ الى قطعة أرض مساحتها نحو ثلاثة أفدنة وعرضوا على المسامع الزكية انها كانت مزروعة قطنا فى هذا العام وان كل فدان منها أعطى ستة قناطير ثم تكرم جنابه العالى بالسلام على هؤلاء المشايخ وامرهم بأن يكفوا عن استمرار السير رأفة بهم ويعودوا الى بلدتهم

وقد جدد ركابه العالى المسير قاصدا المسجد من الطريق الموصل الجسر العمومى فمر على بلدة أبورجوان فاستقبله أهاليها ومشايخها بغاية الفرح والسرور مبتهلين الى المولى الكريم أن يحفظ ذاته العلية وأنجاله الكرام وقبل الوصول الى قنطرة حوض دهشور أقبل من بعد الشيخ ابراهيم المفتى عمدة دهشور راجلا لمقابلة الجناب العالى فلما تشرف بالمثول بين يديه أولاه ولى النعم بشاشة وأظهر له ارتياحه من حسن ولائه وصدق اخلاصه ومشى فى ركابه السعيد فوصل البلدة الساعه ١٠ والدقيقه ٤٥ وكان الاهلون مجتمعين جماعات وصفوفا من تلك القرية وما جاورها وكلهم متهللون بالفرح تلوح فى أسارير وجوههم علامات السرور والانشراح وتقدم عدد من متكلميهم فأبدوا للجناب العالى جميل الشكر على اجابة ملتمسهم وعمارة مسجد بلدهم بما جاء فوق آمالهم ودعوا لمقامه المنيف بدوام المجد والتأييد

ثم قصد الجناب العالى المسجد وكان مصطفا أمام بابه فريق من عساكر مصلحة منع تجارة الرقيق فأبدوا ما هو واجب من رسوم الاجلال والتعظيم ودخل المسجد وكان مزدحما بوفود المصلين من أهالى تلك الجهة ومجاوريها فلما أذن الظهر رقى المنبر حضرة العالم الفاضل الاستاذ الشيخ محمد البيـ . . . ونى إمام الحضرة الخديوية وخطب خطبة جليلة فصيحة المبنى بليغة المعنى ودعا فى الخطبة الثانية لسيدنا ومولانا الخليفة الاعظم ثم أديت الصلاة بكل خشوع ووقار وبعد الفراغ منها وشكر الله ذى العزة القديمة على هذه التوفيقات الصمدانية أحسن الجناب العالى بمبلغ من النقود فرق على المستخدمين فى هذا المسجد والموظفين ثم بارحه ماشيا على الاقدام وسط صفوف الاهالى الواقفين على جانبى الطريق ذكرانا وأناثا كبارا وصغارا سوقة وأعيانا وكلهم ألسنتهم تهتف بالدعاء والتضرع لرب السماء

أن يحفظ الذات العلية وحضرات الأنجال الكرام وما زال جنابه الكريم سائرا الى أن وصل الصيوان المعد لاستراحة جنابه العالى فتناول فيه طعام الغداء

وفى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر ركب جنابه العالى جواده يتلوه رجال معيته بجم غفير من العمد والاعيان والاهالين مشاة وركبانا وبعد مسير نحو أربعمائة متر استوقف جنابه الكريم الركب وأمرهم بالبقاء وأن لا يتكلفوا مشقة الذهاب الى البحر شفقة بهم وحنانا عليهم ثم سار فى حفظ الله ورعايته الى أن وصل أبورجوان اقبلى وهنالك كان المشايخ والعمد والاهالون ينتظرون مقدمه الميمون فأدوا ما يجب من التعظيم والاجلال وتلطف الجناب الكريم بهم فسلم عليهم واستفهم عن أحوالهم ثم بارحهم الى أبورجوان البحرى وكان فيها كل أعيانها وأهاليها فكان لهم ما كان لمن قبلهم من المسرة والابتهاج وواصل الركاب العالى المسير على شاطئ النيل الى أن وصل بلدة تسمى الطرفاية فى مقابلة وابور المياه لمدينة حلوان فترجل عن الجواد وصادف انه كان راسيا فى موردة تلك البلدة أربع مراكب شراعية للاهالى منها مركب تحمل ثلاثين مسافرا الى طهطا فتقدم أحدهم نحو الحضرة الفخيمة الخديوية مستغيثا مستجديا بصوت يستجلب الشفقة فقال ان له فى أولئك المسافرين مريضا عمره ١٢ سنة أثقله المرض وهو من مدينة طهطا ويخشى من طول مدة سفره بالمركب والتمس المعونة والمساعدة فتفضل الجناب العالى ربا الشفقة والمكارم وأحسن عليه بما يكفيه ومريضه للسفر بالسكة الحديدية الى أسيوط ومنها على وابورات البوستة الى بلدة طهطا وأمر حضرة الميرآلاى عبد الله بك فوزى أحد الياوران الكرام أن يستحضر المريض وقريبه ركائب ويرسل من يوصلهما الى محطة البدرشين ليسافرا على القطار الذى يسافر ذلك اليوم الى أسيوط فرفع الملتمس وجهه الى السماء مبتهلا بصالح الدعاء وانشرح كل من حضر اغاثة هذا الملهوف وتضرع المسافرون ومن فى المراكب الراسية حولهم بمجاب الدعوات

وفى الساعة ٣ والدقيقة ٢ بعد الظهر شرف الجناب الكريم يخته (زينة البحرين) فوصل الشاطئ الشرقى الساعة ٤ و ١٥ دقيقة ثم شرف القطار المخصوص الى السراى الخديوية فوصلها بسلامة الله وحسن رعايته الساعة ٤ و ٢٥ دقيقة يتقدمه العز ويحدوه الوقار

أدام الله توفيق الجناب العالى الى هذه الفضائل وأدامه مصدرا للخيرات مؤيدا لشعائر الدين القويم وحفظ له حضرات الآل وكرام الانجال آمين

تشريف مدينة الجـــيزه

كان يوم الاحد ٢١ دسمبر سنة ٩٠ اليوم الذى عينه الجناب الخديوى الفخيم لزيارة ديوان مديرية الجيزه وبندرها فلم تجئ الساعة الثامنة صباحا حتى بارح جنابه الرفيع سراى عابدين العامرة وبمعيته العلية سعادة الجنرال يوسف شهدى باشا سرياوران الحضرة الفخيمة الخديوية واثنان من رجال الياوران الكرام قاصدا تلك الناحية فلما وافاها ركابه السعيد ابتدر لقاءه كل من حضرات على بك ثابت المدير وحسن بك وكيله واسكندر بك حكمدار البوليس ونجيب بك وساروا بين يدى حضرته السنيه فقصد حفظه الله ديوان المديرية وتفقد أقلامها ثم بارحها الى المحكمة الشرعيـة فوقف بذاته الشريفة على كيفية سير الاعمال فيها وبعد ذلك ركب عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير قاصدا لتشريف المدرسة الابتدائية الاميريه من الجهة المحاذية للنيل وقد كانت الجهة الاخرى من الطريق مزدانة بالاعلام والرايات وبها المضارب والخيام تكتنفها جماهير الاقوام يهللون ويترنمون بالادعية الخيرية أثناء مرور الجناب الخديوى العالى

فلما أشرقت شمس محياه الكريم على المدرسة وأضاءت أرجاؤها تقدم الى لقيا جنابه السامى حضرة ناظر المدرسة فاستفهم منه أعزه الله عن أحوال المدرسة وشؤونها ثم أخذ فى مشارفة جميع مشتملاتها وفى أثناء ذلك كان يستنبئ من حضرة ناظرها عن عدد التلامذة ودرجة اجتهادهم ومبلغ تقدمهم ولم يكتف جنابه الكريم بذلك بل تفضل على التلامذة فتابع اليهم الاسئلة فى العلوم التى تلقوها وقد سر حفظه الله من حسن اجابتهم وشكر الاساتذة على مزيد عنايتهم

وبعد ذلك بارح جنابه العالى المدرسة للتجول فى انحاء المدينة فمر فى طريقه على الجامع القديم المشهور بجامع أمير الجيوش ثم بوابور مياه الجيزه ومن هنالك شرف الدهبيات المقامة على شاطئ النيـل ووقف أمام كل منها برهة من الزمان تشريفا لمن أقاموها ثم شرف الذهبية الخديوية نور النيـل وشرف بالدعوة الى الغداء فيها على مائدته العليـة كلا من حضرات على بك ثابت وحسن بك واسكندر بك ونجيب بك

ولما أراد الجناب العالى مبارحة الجيزه أظهر لحضرة مديرها سروره مما رآه أثناء زيارته المدينة وركب عربتـه المخصوصة قاصدا سراى عابدين العامرة فوصلها بسلامة الله فى الساعة الثانية بعد الظهر بالعز والاقبال واليمن والاجلال

تشريف الاقاليم القبليه

في منتصف الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاحد ٤ ينايرسنة ١٨٩١ بارح الجناب الخديوي المعظم سراي عابدين العامرة والى جانبه صاحب الدولة رياض باشا قاصدا محطة بولاق الدكرور وقد كانت هذه كلها بالاعلام موشاة ببديع الازهار تظلها الرايات المصريه تحف بها الحكومة الخديويه وفي ساحتها فرقة من الجنود الانكليزيه يخفق فوقها العلم وتتقدمها الموسيقى وفي الجهة الاخرى ثلة من المشاة المصريه يكتنفها ألوف الوفود وصنوف الجموع وجماعات المودعين يكاد الناظر يحسبهم جسما واحدا من كثرة الزحام وتسابق الاقدام وكان فوق رصيف المحطة كبار الموظفين وسراة الاعيان من الاهلين والاجنبيين نخص بالذكر منهم صاحبي الدولة البرنس حسين باشا والبرنس عثمان باشا وحضرات النظار الكرام والعلماء الاعلام وقناصل الدول العظام وجناب المستر فورستر ووكر قائد جيش الاحتلال العام ووكلاء النظارات والجنرال كتشنر باشا وباكر باشا

فلما تشرف صاحب البلاد قامت الجنود بأداء واجب التعظيم وترنمت الموسيقى بالنشيد الخديوي وعلت الاصوات بالتهليل والتمجيد حتى اذا كانت الساعة الثامنة أطلقت المدافع ايذانا بقيام القطار فأقبل الجناب العلي الشان على جماهير المودعين وأنالهم من الرعاية وجليل الالتفات ما أقر عيونهم وشرح صدورهم ثم صافحهم يدا بيد وسار يحف بجنابه الرفيع أصحاب السعادة يوسف شهدي باشا والدكتور سالم باشا ويعقوب أرتين باشا وحضرة مدير الجيزه فجلس في الصالون المعد لجنابه العالي وهنالك قام القطار فالتزم المهل في المسير حين مروره على محاط الجيزه والحوامديه والبدرشين والعياط وذلك ليتسنى له الوقوف بمحطة المتانيه في أوائل الساعة العاشرة وقد كان الجو صحوا والوقت زهوا والشمس ترسل أشعتها على أكمام الازهار وقمم الاشجار فتكسوها ثيابا سندسية وندا الصباح يدبج بساط المزارع بأشباه الكواكب السماوية وجميع المحاط تعلوها ألوية المسرات وتزدهي جوانبها بأطواق النباتات والاهالي تهتف بالدعوات والموسيقات تعزف ببديع النغمات وعشائر الاعراب تتسابق على صهوات الجياد وتخرق

كبد السماء بدوائر سيارات وبينما هم كذلك اذ أشار لهم الجناب الرفيع بالوقوف رحمة منه عليهم وشفقة بهم فصفقوا طويلا ودام هتافهم بالدعاء له كثيرا وعادوا اجابة لأمره الكريم يتمنون لو ساعدتهم المقادير فصاحبوا القطار أينما سار ليوفوا بعض ما يجب من التكريم الى مولاهم الفخيم

ولما وافى القطار (المتانيه) تفضل الجناب الخديوى المعظم فدعا حضرة الاستاذ الجليل الشاعر المجيد الشيخ على الليثى وجناب نجله للتشرف بمصاحبة جنابه العالى الى أسيوط

وفى هذه الساعة الجليلة قدم حضرة الاستاذ الى الجناب العالى قصيدة غراء من نظمه البليغ امتدح بها ذاته العلية وأرخ هذه الرحلة المباركة وهذه هى القصيدة قال حفظه الله

سر بأمن وعد ليمن عتيد ... سالما غانما بعين المعيد
بالغا ما تريد من كل حال ... رغم عاد وشانئ وحسود
وانظر العدل كيف أحيا الرعايا ... وغدا كالعقود فى كل جيد
ان غرسا ثماره ما رأينا ... من ولاء لخير غرس حميد
حزت أعلى الصفات فى كل معنى ... مستبدا بطارف وتليد
لا عجيب وقد وصفت بحلم ... ذلل الصعب عند بأس شديد
شاهد الحال عن مقالى أغنى ... ليس يخفى عن سائد ومسود
كيف لا والسرور فى كل أرض ... مر فيها الركاب بهجة عيد
زينت وازدهت لتشريف مولى ... عنده الشيخ رحمة كالوليد
لو رأت من رضاك ستر ثراها ... بعيون لسوعدت بالخدود
لست ترضى سوى نسيج بساط ... حاكه النيل للعزيز نضيد
سندسى بلؤلؤ قد تحلى ... ونضار على نضير القدود
راق حسنا وكان فى العين أبهى ... من خدود ومن نواضر سود
سرح الطرف واشرح الصدر واغنم ... طالع السير فى زمان سعيد
والذى فى الضمير أكبر مما ... شاهدته عيون كل الوفود
كلنا أخلص الولاء ونادى ... عاش (توفيقنا) بعمر مديد
(الخديوى) الذى يود حنانا ... أن يرانا من الغنى فى صعود

قصر الشكر عن أياديه فينا ... فرأينا الدعاء كف المزيد
من رأى مثله يعز عليه ... أن يرى ضارعا لجور عنيد
أو يرى صارخا وليس نصير ... أو يرى ظالما لأدنى العبيد
سيد أسهر الجفون وغنا ... فى مهاد من الامان وطيد
ليس يخشى من الزمان اغتيالا ... وهو يرى عداه من بعيد
هكذا هكذا الفخار والا ... فالأمانى وخدعة المستفيد
أى مولى يسائل الناس طرا ... عن جليل من أمرهم وزهيد
هل ظلمتم وهل تأخر عنكم ... صالح يرتجى لأمر مفيد
آملا أن يرى سنا العدل فيهم ... واضحا نهجه مراعى الحدود
ما رأى الناس قبله من مليك ... للرعايا أب وخير ودود
كلف النفس فى اقتحام صعاب ... أو يوفى لقومه بالوعود
وارتقى صاعدا وشوق الاهالى ... نحوه كالظماء حال الورود
ودعوه وأودعوه قلوبا ... أضمرت حبه لعدل وجود
بالها رحلة جرى البحر فيها ... بين شطيه فى ظلال البنود
والاهالى قد عز شوقا عليها ... خوض هذا الركاب لجة بيد
حيثما واصل السرى وتمادى ... بين بحر وبين بر كؤد
نحو بهماء قد خلت عن أنيس ... حار فيها الدليل بين النجود
باذل النفس والنفيس لأرض ... ليس فيها محاسن للشهود
هاجرا ما يلذ غير المعالى ... يستلذ الهدى لدرك الحدود
قلت رفقا فللسياسة سر ... دون ادراكه ذكاء المجيد
واكتشاف الخفى دأب الخديوى ... أى أمر لديه غير شهيد
وهو أهدى الى مراد تسنى ... من ذكى سما برأى سديد
ليس يثنيه عن تفقد أمر ... شوق حان ولا حنين عميد
انما دأبه طلاب المعالى ... وهو أدرى بسر بيت القصيد
نسأل الله عوده فى سلام ... لمقر العلا بصفو جديد

عاشـدا بدره (وشمس جماله) والحسان اليها شراف المهود
فابق واسعد وسد لتسمو كالا بك (أنجالك) الكرام الجدود
ثم شـرّف فاننا في انتظار لسنا وجهك الجميل السعيد
واقتبل مدحة نجل فيها عبد نعماك حال سير البريد
مذ رأى زينة برسم جميل قد أعدّت لواجب التمجيد
من رآها يقول ياسعد أرّخ (بالخديوى) سعود رسم الصعيد
سنة ١٣٠٨ ٦٦٣ ١٤٠ ٢٠٥٣٠٠

ثم سار القطر على بركة الله فعاج بمحطتى كفر عمار والرقه وتجاوزهما الى الواسطه واستدام سكان تلك النواحى يندفعون كالسيل المنهمر محدقين مهللين داعين حتى وقف بمحطتها خمس دقائق أخذ فيها الوابور ذخيرته من الماء ومثل مدير الجيزة بين يدى الجناب السامى فقبل الاذيال الخديوية واستأذن فى العودة الى مقر وظيفته للقيام بشؤونها

وفى خلال ذلك تشرف جناب احمد فضلى افندى وكيل مديرية بنى سويف بمقابلة الحضرة الفخيمة الخديوية وقدم لمقامها الكريم اسماعيل بك الياس أحد مفتشى الدومين وكذلك حظى بشرف المثول كل من حضرات محمود صبرى بك مدير الفيوم ويوسف بك مفتش الدائرة السنية بها وطلبه بك سعودى أحد أعضاء مجلس شورى القوانين وكانت المحطة مزدانة على شكل فائق وطراز عجيب رائق

ثم قصد القطار الخديوى الرحلة الى بنى سويف فمر فى طريقه بمحاط بنى حصر واشمنت وبوش وقد كانت تميس عجبا وتختال طربا وتتجلى للناظر كانها غادة حسناء أو حديقة غناء رفعت عليها الاعلام أشكالا ورسم فى جبينها اسم الجناب الرفيع فزادها رونقا وجلالا وأقيمت فى جوانبها باقات الازاهير وأحدقت بها من كل جانب جموع الاهلين بين رجال ترفع أيديها بالدعوات ونساء تبتهل الى خالق الكائنات وصبية أخذ منهم السرور مأخذه وسقاهم الفرح كأسه وأعراب يتبارون باطلاق البنادق ويتبخترون على متون السوابح

أما الجناب الرفيع حفظه الله فكان فى أثناء ذلك يفاوض وكيل مديرية بنى سويف الحديث عن شؤون الاهالى وأمورهم الخاصة بهم ويلقى عليه الاسئلة عن الاحوال الزراعية والمالية

حتى كان الوصول فى أواخر الساعة الحادية عشرة الى بنى سويف فأطلقت المدافع تبشيرا باقبال صاحب الامر وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى واصطفت الجنود بغاية السكينة والوقار وانتظمت تلامذة المدرسة الاميرية على رصيف المحطة يحدق بهم أكارم الوجوه وكبار الموظفين وصاحت الخلائق ترتل آيات الدعاء وتردد عبارات الثناء وتسابقت فرسان الاعراب الى شاطئ الترعة الابراهيمية تخفق فوقهم الاعلام وتلوح فى أسارير وجوههم شارات الابتهاج

ولم يقف القطار حتى هرع المدير الى العربة الخديوية فهنأ الجناب العالى بسلامة الوصول وقدم لسدته العلية حضرات العلماء الاعلام ورئيس المحكمة الاهلية وقضاتها وقاضى المحكمة الشرعية والعمد والاعيان ثم تكرم عليه ولى النعم فدعاه للتشرف بالركوب مع جنابه السامى فى القطار وهنالك استأذن الوكيل فى الانصراف وسار القطار تحدوه السلامة وتظالله الكرامة بين ضجيج الاهلين وهتاف المودعين وبعد قليل مدت فيه المائدة الخديوية فدعا جنابه الكريم لتناول طعام الغداء عليها حضرات سر تشريفاتى جنابه العالى والدكتور سالم باشا طبيب حضرته العلية ويعقوب أرتين باشا ومدير بنى سويف والفاضلين الشيخ على الليثى والشيخ محمد البسيونى والمسيو فابريسيس مهندس السراى الخديوية ثم مر القطار أمام محاط بيا والفشن والفنت وجاوزها الى مغاغة فأتاها فى أواخر الساعة الاولى وقد كانت كسابقاتها من حيث اتقان الزينة وقيام الجنود بفرائض التعظيم وتزاحم القوم وسرورهم بقدوم أميرهم وهتافهم بالدعاء له وتسارعهم الى التشرف بالمثول بين يدى جنابه الفخيم والتيمن باستجلاء محياه الكريم ولم تفتر عشائر الاعراب عن اظهار شعائر الاخلاص وعلائم العبودية فانهم كانوا محاذين لسير القطر ممتطين متون الصافنات الجياد يبدون من غرائب الالعاب ما يدهش العقول ويحير الالباب

وفى أثناء ذلك حاول ثلاثة من جماهير الاهالى أن يقدموا الى مقامه السامى عرائض فى حوائج لهم فشملهم حفظه الله بالتفاته وكافأ من أتاه بما شأن جنابه الرفيع الذى تعوده ومال اليه وطبعه الشريف الذى عرف به وفطر عليه ثم لاحت منه التفاتة الى عربة محملة قصبا على مقربة من السكة الحديدية الزراعية فأقبل جنابه العالى على المدير وأخذ يحادثه

مليا ويستقصى منه عن زراعة هذا الصنف حتى اذا علم بان المحصول فى هذا العام يبشر بحسن الاستقبال و يفوق ماقبله من السنين سر سرورا عظيما وحمد الله كثيرا وبعد ذلك قام القطار قاصدا المنيا فوافاها فى كمال الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم

وحسبنا فى هذا المقام تنويها بمبلغ عناية صاحب البلاد وتعريفا بقدر اهتمامه وتفقده بذاته الشريفة مصالح العباد أن نذكر أن جنابه الرفيع من حين مبارحة العاصمة الى وقت وصوله المنيا مكث ست ساعات متواليات قائما على قدميه لم يجلس فى خلالها الا زمنا يسيرا تناول فيه الطعام فكان حفظه الله تارة يعد الاهالى بنظره العالى وطورا يستنبئ سراتهم عن الاحوال ولربما يتخيل متخيل انه أدامه الله بعد تجشم هذه المتاعب وتحمل هاته المصاعب فى سبيل اعلاء شأن الديار وسعادة أهليها يأخذ حظه من الراحة كلا بل انا نكرر ما قلناه فى محله (ليست سياحته فيها ومسيره الى نواحيها لمجرد التنزه والرياضة ولكنها المقصد خيرى مبرور)

ولما أنبأ البشير بقدوم جنابه الرفيع الى المنيا أطلقت المدافع ايذانا بذلك فأجابها أكثر من ألف فارس بدوى بطلقات البنادق وتنافست الاصداء فى ترديدها وهتفت الخلائق بالدعوات الخيرية وترنمت الموسيقى بنشيد الحضرة الفخيمة الخديوية وقامت برسوم السلام فرقة من رجال البوليس وشرذمة من المشاة المصرية وتسارع الى لقاء جنابه الفخيم حين النزول من العربة سعادة أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية وحضرة محمود بك رياض مدير المنيا وقدما الى مقامه السامى وكيلى قنصلية فرنسا واليونان وكبار الموظفين والاعيان ثم ركب ولى النعم عربة خديوية والى جانبه سعادة احمد فريد باشا وقصد سراى الحكومة يتقدمه كوكبة من فوارس البوليس وحوله رجال الحرس وتبعته فى عربة ثانية صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون يتلوها فى عربة أخرى حشم دولتها

قد زينت أسكلة السراى على شكل يأخذ بمجامع القلوب بهجة وجمالا وفرشت ساحتها بالبسط الفاخرة والطنافس الثمينة وحفت جوانبها بالسوارى الرفيعة العماد تتهادى فوقها الاعلام المختلفة الاشكال والالوان وتتواصل بينها بالعمار الثبات وورق الافنان

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر من هذا اليوم ابتدأ التشريف بقاعة السراى الكبيرة وكان على الترتيب الآتى العلماء الاعلام فالاكليروس القبطى فموظفو الحكومة فالوجوه والاعيان من وطنيين وأجانب ثم مشايخ قبائل البدو النازلين بالضفة اليسرى والبمنى للنيل وكان الآباء الروحانيون من القبط يصحبهم تلامذة المدرسة القبطيه يترنمون بالمدائح موقعة على نغم النشيد الخديوى

ثم قدم سعادة أحمد فريد باشا للجناب الخديوى المعظم مهندسى تفاتيش الدائرة السنية ومأمورى معاملها ومفتشيها يتقدمهم حضرة ويلسون بك وقد تفضل جنابه الفخيم بعد ذلك بمقابلة سعادة جونسون باشا مفتش قسم بوليس الوجه القبلى وجناب الماجور برون مفتش رى القسم الرابع مقابلة خصوصيه تحدث فيها معهما فيما يختص بمسائل الرى والبوليس بالوجه القبلى

وفى الساعة السادسة مدت الموائد الخديويه على الطريقة العربية وكان عدد من شملتهم دعوة الجناب الرفيع نحو أربعين جلس كل ثمانية منهم على مائدة وكان فى صدر الاولى منها الحضرة الفخيمة الخديويه يحف بها حضرات صاحب السعادة احمد فريد باشا وصاحب العزة محمود بك رياض ويحيى افندى ابراهيم رئيس محكمة بنى سويف وحسن باشا الشريعى قاضى المديرية الشرعى ووكيل غبطة البطريرك القبطى واحد افندى مرزوق أحد أعيان مديرية المنيا وأعضاء مجلس شورى القوانين وكانت بقية الموائد تحت رئاسة حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى والجنرال يوسف باشا شهدى والدكتورين سالم باشا سالم وعيسى باشا حمدى

ولما كانت الساعة السابعة من المساء وقد بدت المدينة فى حلة من الانوار تكاد تخطف الابصار ركب الجناب الخديوى المعظم والى جانبه حضرة المدير للتجول فى شوارعها ومشاركة زينتها فكانت عربة الجناب الخديوى المعظم مع ما كان يتقدمها من فرسان البوليس وعساكر الحرس الخديوى الخاص لا تكاد تبارح مكانها من شدة ازدحام الناس فى سبيل حضرة ولى أمرهم الافخم حتى استوجب الامر استحضار فرقة من مشاة البوليس تسير كالسور على جانبى الموكب الخديوى هذا والنظام مع ذلك على أتم ما يمكن أن يكون بعناية سعادة جونسون باشا

وعند الخروج من السراى لازم الجناب الخديوى المعظم فى سيره رصيف النيل فمر أولا بالجثتين الخديويين (فيض ربانى وهميا) وعليهما الاعلام والانوار ثم بسراى حضرة المدير وقد كانت كأنها نور من نور ثم بعمل سكر للدائرة السنية ثم شرف الجناب العالى الصيوان الذى أقامه أعيان المدينة اكراما لجنابه المنيف ثم وقف ركابه العالى هنيهة تجاه مسجد الاستاذ الفولى الذى هو على ضفة النيل فنزل الجناب الخديوى وزار مقام الشيخ رضى الله عنه وللناس فى تلك الاصقاع اعتقاد فيه وثقة وتبرك به واليه ينسب أهالى المنيا والى التماسيح من نيل مصر العليا والوسطى وقد تكرم الجناب الخديوى المعظم حفظه الله فأمر باقامة الذكر وتلاوة القرآن الشريف فى ضريح الشيخ على نفقته الخاصة فكان كذلك واستمرت تلاوة القرآن والاذكار الى نصف الليل

وبعد مبارحة المسجد قصد الجناب العالى تشريف سوق المدينة ثم مر بشارع البوسته ومن ثمت الى هويس الترعة الابراهيمية وكان يموج بالانوار والاضواء ولما كانت الساعة الثامنة عاد جنابه الرفيع باليمن والاقبال الى السراى العامرة عن طريق السكة الجديدة

وكان حضرات البرنسيسات الفخيمات كريمات الجناب الخديوى المعظم يتجولن أيضا حينئذ بشوارع المدينة فى عربة أخرى مخصوصة ويتزهن الطرف برؤية زينتها ومشارفة رونقها وزخرفها ولقد كانت تلك الزينات مع مايصحبها من الالعاب النارية مما يعجز اللسان عن وصفه واليراع عن رقمه ولذلك نضرب صفحا عن التفصيل مقتصرين على مرد أهم ما كان منها فنخص بالذكر الزينة التى قامت بها عائلة المرحوم سلطان باشا وزينات الشيخ حجازى من أعيان المنيا وسعادة على باشا شكرى وحضرة المدير وجناب الموسيو بولاى من مهندسى الدائرة السنية ووكيلى قنسلاتو اليونان وفرنسا وهويس الترعة الابراهيمية وغيرها

وقد امتازت زينة مدينة المنيا عن غيرها بكونها قد عملت بطريق الاكتتاب العمومى وهذه أول مرة فيما نظن اتبعت فيها هذه الطريقة فى مصر وقد كان نجاحها تاما كما يدل على ذلك كثرة عدد المكتتبين ومقدار المبلغ الذى جمع وهو يقرب من الالف جنيه ولاشك

انه ذلك من أقوى البراهين على ما للجناب الخديوى المعظم من سمو المكانة فى أفئدة عموم الاهلين ولا يخفى أيضا أن من مزايا طريقة الاكتتاب هذه انها لا تقيد الغنى عن اجراء جميع ما تسمو اليه رغائبه من الوسائل الموصلة لاظهار سروره وغبطته بتشريف ولى النعم ومع ذلك تسمح للفقير أيضا بالاشتراك فى هذا السرور الاهلى والحبور الوطنى وهذا هو السبب فى أن جميع دور المدينة على اختلاف طبقات أربابها كانت ليلة الاثنين مزدانة كلها بالانوار والمصابيح وان أصحابها كانوا مشتركين جميعا فى اظهار أمارات الولاء والابتهاج بتشريف الجناب الخديوى المعظم أدامه الله

وفى صبيحة يوم الاثنين عزم الجناب الرفيع على زيارة مصالح الحكومة فقصد ديوان المديرية مستصحبا معه حضرة المدير حتى اذا وافاه بدأ بتشريف قاعة المدير فوكيله فغرفة حكمدار بوليس المديرية وكان بها فى انتظار حضرته العالية سعادة جونسون باشا فأخذ الجناب العالى يستفسر منه عن حالة الضبط والربط ويفاوضه الحديث عن سير الاعمال وسيرة العمال وهو يوفى كل ذلك حقه من الشرح الوافى والبيان الكافى حتى سر منها الجناب السامى سرورا لا مزيد عليه وأسدى اليه جليل شكرانه وفائق امتنانه وأوعز اليه باستنساخ صورة يبين فيها تفاصيل ما وقع من الحوادث واقترف من الجنايات فى خلال الشهر الماضى بأقاليم الوجه القبلى فكان كذلك ثم شرف أدامه الله محل المأمورية القضائية فابتدر لقاءه بها حضرة محمد افندى صالح رئيسها وسار بين يدى جنابه الفخيم الى قاعة الجلسات فحجرات قاضى التحقيق ووكيل النائب العمومى ورئيس الكتبة وهنالك أمضى ولى النعم مدة غير قصيرة يتفقد الدفاتر ويراجع الاعمال ويلقى الاسئلة ثم شرف أقلام الكتاب فقلم المحضرين ولم يكتف جنابه الرفيع باستطلاع كل أمر وتعرف كل عمل بل أخذ صورا ببيان تعداد ما نظر من القضايا فى السنة الماضية ومقدار الدعاوى التى هى تحت النظر الآن

وبعد ذلك شرف مصلحة التنظيم والرى فأنالها حظها من البحث والتنقيب وحث الموظفين على ما يعود بالبلاد الى كمال الرفاهية وزيادة العمار وكان اذ ذاك أوائل الساعة العاشرة فبارح جنابه الرفيع المكان مظهرا غاية البشر والانشراح ومعه حضرة المدير الى تفتيش رى القسم الرابع فلما شرفه تسابق للقيا جنابه السامى جناب المفتش الماجور بروان وحوله لفيف العمال فحياهم حفظه الله بما عهد فى طبعه الكريم من البشاشة ومكارم الاخلاق

وأقبل على كل واحد منهم من رئيس الى مرؤس يسأله عن مفردات أعماله ومتشعبات اجراآته فيشرحها لحضرته العلية بعبارة عربية فى غاية الفصاحة والتبيان وانا لجميل بنا أن نخص بالذكر من بينهم حضرة اسماعيل بك سرى فقد أظهر له الجناب العالى كامل سروره ومزيد انشراحه بما رآه من عظيم اهتمامه وقيامه بما هو موكول اليه خير قيام

ثم أخذ جنابه الرفيع يتنقل فى جميع الاقلام مكثرا من الاستفسار والاستيضاح حاثا على استدامة النشاط بانا روح الغيرة والاخلاص وبعد ذلك تفضل فزار حرم الماجور برون وهناك استدعى اليه حضرته فأثنى عليه ثناء جميلا وخاطبه على مرآى من أهله وأولاده بألفاظ جزلة المعانى جعلها جزاء له على ما قام به من جلائل الاعمال ثم شرف المحكمة الشرعية واستعلم من رؤسائها عما أراد الاستعلام عنه وبارحها حفظه الله الى المستشفى فى كمال الساعة العاشرة فاستقبله به حضرة الدكتور محمود صدقى بك وكيل ادارة الصحة العمومية والدكتور محمد افندى توفيق مديره وسارا بين يدى جنابه العالى من مكان الى آخر حتى وصلا الى قاعات المرضى فجعل أدام الله بلاطفهم بسهل الكلام ويخاطبهم بما خفف عنهم الآلام ثم بارحها ممتنا باسم الثغر مما عاينه من حسن العناية وكمال النظام وقصد ثكنة رجال البوليس وهو بناء ضخم قديم محكم الوضع رحيب موافق للصحة صالح كل الصلاحية لهذه الغاية شيد فى عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الاكبر ولقد تفقد الجناب السامى جميع محاله وشارف كافة مشتملاته فراقه ما عاينه فيه من الترتيب والاتقان وامتدح سعادة جونسون باشا القيامه بما يخلد له حسن الاحدوثة بين الاقران

وبعد انتهاء هذه الزيارة وجه صاحب الامر المسير الى المدرسة الاميرية وقد كانت التلامذة وقوفا فى غاية الانتظام فلما أقبل جنابه السامى تهللت بالفرح وجوههم وهتفت بالدعاء له ألسنتهم وتسارع لاستقباله ناظر المدرسة يحف به أساتذتها فبدأ الجناب الرفيع بتشريف الفرقة الاولى وانتخب بذاته الشريفة نجباء من تلامذتها صادفته العناية فسأله فيما تلقاه من أصناف العلوم ومادرسه من الفنون فأحسن الاجابة وأجاد كل الاجادة ورفع من قدر أساتذته واستمطر ثناء ولى النعم عليه ثم تنقل جنابه الفخيم فى بقية الفرق واختبر جملة من تلامذتها وكان أن قبيل الظهر فبارحها فى مثل ما جاء به من الاحتفال

الى السراى وقد دعا جنابه الكريم الى تناول طعام الغداء كلا من حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن رشدى باشا ويوسف شهدى باشا والدكتور سالم باشا واحمد فريد باشا ويعقوب أرتين باشا والماجور برون ومحمود بك رياض والمسيو فابريديس ومحمود بك صدقى

وفى أوائل الساعة الثالثة بعد الظهر ركب جنابه الفخيم متن سابح كريم وقصد حوض الطهنشاوى على مسيرة عدة كيلومترات من المدينة وهذا الحوض تبلغ مساحته ٤٥٠٠٠ فدان وهو أوسع أحواض تلك الناحية دائرة وأوفرها مساحة ثم عاد جنابه الرفيع فى مبتدأ الساعة الخامسة فتشرف بمقابلة مديرى سويف واستأذن فى الانصراف من حضرته العلية أما المدينة فكانت كالليلة السابقة تتماوج فيها الانوار وتتهادى فوق دورها الاعلام وتتجاذب أهلوها المسرات

وان ما صادفه الجناب العالى أثناء اقامته بالمنيا من التزام النهج القويم والقسطاس المستقيم وايفاء جميع الشؤون حقها لأجل بشرى وطن النفس على جيد عقبى هذه السياحة لاسيما وهى أول اقليم شرفه الجناب الرفيع وقد بلغت فيه كل مصلحة حدها من الكمال فلم يبق من القضايا ما يستدعى النظر سوى اثنتى عشرة قضية ولم يبق على الاهلين والحمد لله شئ من الاموال وحالة الصحة على ما يرام من كمال الاعتدال حتى لقد أصبحت مدينة المنيا تضرب بها الامثال وتتخذ نموذجا لقصارى ما تبلغ شأوه همم الرجال ويصل اليه الحاكم اللبيب المفضال على انه اذا علم الناس ان جميع المصالح فى ذلك سواء لا تفضل الواحدة منها الاخرى لأدركوا مبلغ امتنان الجناب العلى الشان لحضرة محمود بك رياض

وفى صبيحة يوم الثلاثاء عزم الجناب الفخيم على مبارحة المدينة الى أسيوط فركب عربته المخصوصة ومعه صاحبا السعادة عبد الرحمن رشدى باشا واحمد فريد باشا وحضرة محمود بك رياض وقصد المحطة يحف به كوكبة من فرسان البوليس فشرفها قبيل الساعة الثامنة وقد كان بها شرذمة من المشاة المصرية وجماعة من رجال البوليس يقومون بأداء فرائض التعظيم وأمامهم الموسيقى تتلو على الحضور سور السرور فيجيبون عليها بالتهليل ويرفعون أيديهم بالدعوات الصالحات حتى أطلقت المدافع ايذانا بقيام القطار

وقد تفضل الجناب الرفيع ودعا للركوب معه أصحاب السعادة فريد باشا ويعقوب أرتين باشا والماجور برون وحضرة محمود بك رياض والاستاذ الفاضل الشيخ على الليثى الشاعر المجيد وسار القطار فمر أمام محاط أبو قرقاص والروضه وملوى وديرمواس وكانت مزدانة بباقات الريحان محملة بيانع الاغصان وحولها أسوار من الخلائق وحصون من النفوس يبتهلون الى واهب العطايا بدوام بقاء الجناب العالى بدرا فى أفق هذه الديار ممتعا ببقاء حضرات الانجال الابرار واستمر القطار الخديوى يسير الهوينا والمحاط كأنها تتنافس فى استقباله كل منها عما يفضل الأخرى زينة وابتهاجا وبهجة ورواء حتى أقبل على ديروط فى الساعة التاسعة من يوم الثلثاء ٦ يناير وقد اصطف بمحطتها فرق العساكر من البوليس للقيام بتأدية الرسوم العسكرية وأمامهم حضرة مأمور المركز يعقبه المشايخ والوجوه والاعيان فلما وقف القطار وتشرف الناس بسلام الحضرة الفخيمة الخديوية أخذ الجناب العالى يسائل حضرة المأمور عن أحوال المركز والمزروعات ورفاهة الاهلين وغير ذلك مما يدعو اليه اهتمام ولى النعم بأمور رعيته خيرهم فى كل آن

هذا وتعتبر ديروط من حيثية الرى فى الوجه القبلى اعتبار القناطر الخيرية فى الوجه البحرى وذلك بسبب قناطر الموازنة التى بها ويمكن بواسطتها توزيع مياه الترعة الابراهيمية على غيرها من الجهات البحرية أو الغربية كالروضة وأبى قرقاص والفيوم بواسطة ترع الساحلية والديروطية والبحر اليوسفى وفرع الابراهيمية الموصل الى اشمنت وفم ترعة أخرى توصل الى حوض ملوى وأخرى لصرف المياه وقد تمت هذه الاعمال كلها فى عهد حضرة الخديو السابق أما طول الابراهيمية من مبتدئها بأسيوط الى منتهاها باشمنت فنحو ٢٦٤ كيلومترا

وفى ختام الحديث الخديوى مع حضرة المأمور تحرك القطار من محطة ديروط متابعا السير بين تهليل الناس وهتافهم بالدعوات وسلام الجنود تخفق فوقهم الاعلام والرايات بكل من محاط نزالى جانوب وبنى قره ومنفلوط وبنى حسين الى أن وافى مدينة أسيوط نحو الساعة العاشرة صباحا واستقر على مقربة من ضفة النيل

وكانت جوانب السكة الحديدية من منفرج الخط الموصل للرصيف الى الخط الموصل الى محطة المدينة قد ازدحمت بالجموع والجماهير مما لا يحصى عديده فلما أخذ القطار يتهادى

تشريف الاقاليم القبليه

في منتصف الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاحد ٤ ينايرسنة ١٨٩١ بارح الجناب الخديوى المعظم سراى عابدين العامرة والى جانبه صاحب الدولة رياض باشا قاصدا محطة بولاق الدكرور وقد كانت كلها بالاعلام موشاة ببديع الازهار تظلها الرايات المصريه تحف برنك الحكومة الخديويه وفي ساحتها فرقة من الجنود الانكليزيه يخفق فوقها العلم وتتقدمها الموسيقى وفي الجهة الاخرى ثلة من المشاة المصريه يكتنفها ألوف الوفود وصنوف الجموع وجماعات المودعين يكاد الناظر يحسبهم جسما واحدا من كثرة الزحام وتسابق الاقدام وكان فوق رصيف المحطة كبار الموظفين وسراة الاعيان من الاهلين والاجنبيين نخص بالذكر منهم صاحبي الدولة البرنس حسين باشا والبرنس عثمان باشا وحضرات النظار الكرام والعلماء الاعلام وقناصل الدول العظام وجناب المستر فورستر ووكر قائد جيش الاحتلال العام ووكلاء النظارات والجنرال كتشنر باشا وباكر باشا

فلما تشرف صاحب البلاد قامت الجنود بأداء واجب التعظيم وترنمت الموسيقى بالنشيد الخديوى وعلت الاصوات بالتهليل والتمجيد حتى اذا كانت الساعة الثامنة أطلقت المدافع ايذانا بقيام القطار فأقبل الجناب العلي الشان على جماهير المودعين وأنالهم من الرعاية وجليل الالتفات ما أقر عيونهم وشرح صدورهم ثم صافحهم بيده وسار يحف بجنابه الرفيع أصحاب السعادة يوسف شهدى باشا والدكتور سالم باشا ويعقوب أرتين باشا وحضرة مدير الجيزه فجلس في الصالون المعد لجنابه العالى وهنالك قام القطار فالتزم المهل في المسير حين مروره على محاط الجيزه والحوامديه والبدرشين والعياط وذلك ليتسنى له الوقوف بمحطة المتانيه في أوائل الساعة العاشرة وقد كان الجو صحوا والوقت زهوا والشمس ترسل أشعتها على أكمام الازهار وقمم الاشجار فتكسوها ثيابا سندسية وثنا الصباح يدبج بساط المزارع بأشباه الكواكب السماوية وجميع المحاط تعلوها ألوية المسرات وتزدهي جوانبها بأطواق النباتات والاهالى تهتف بالدعوات والموسيقات تعزف ببديع النغمات وعشائر الاعراب تتسابق على صهوات الجياد وتخرق

كبد السماء بدوار سيارات وبينما هم كذلك اذ أشار لهم الجناب الرفيع بالوقوف رحمة منه عليهم وشفقة بهم فصفقوا طويلا ودام هتافهم بالدعاء له كثيرا وعادوا اجابة لأمره الكريم يتمنون لو ساعدتهم المقادير فصاحبوا القطار أينما سار ليوفوا بعض ما يجب من التكريم الى مولاهم الفخيم

ولما وافى القطار (المتانيه) تفضل الجناب الخديوى المعظم فدعا حضرة الاستاذ الجليل الشاعر المجيد الشيخ على الليثى وجناب نجله للتشرف بمصاحبة جنابه العالى الى أسيوط

وفى هذه الساعة الجليلة قدم حضرة الاستاذ الى الجناب العالى قصيدة غراء من نظمه البليغ امتدح بها ذاته العلية وأرخ هذه الرحلة المباركة وهذه هي القصيدة قال حفظه الله

سر بأمن وعد ليمن عتيد	سالما غانما بعين المعيد
بالغا ما تريد من كل حال	رغم عاد وشانئ وحسود
وانظر العدل كيف أحيا الرعايا	وغدا كالعقود فى كل جيد
ان غرسا ثماره ما رأينا	من ولاء نضير غرس جديد
حزت أعلى الصفات فى كل معنى	مستبدا بطارف وتليد
لا عجيب وقد وصفت بحلم	ذلل الصعب عند بأس شديد
شاهد الحال عن مقالى أغنى	ليس يخفى عن سائد ومسود
كيف لا والسرور فى كل أرض	مر فيها الركاب بهجة عيد
زينت وازدهت لتشريف مولى	عنده الشيخ رحمة كالوليد
لو رأت من رضائه ستر ثراها	بعيون لسوعدت بالخدود
لست ترضى سوى نسيج بساط	حاكه النيل للعزيز نضيد
سندسى بلؤلؤ قد تحلى	ونضار على نضير القدود
راق حسنا وكان فى العين أبهى	من خدود ومن نواضر سود
سرح الطرف واشرح الصدر واغنم	طالع السير فى زمان سعيد
والذى فى الضمير أكبر مما	شاهدته عيون كل الوفود
كلنا أخلص الولاء ونادى	عاش (توفيقنا) بعمر مديد
(الخديوى) الذى يود حنانا	أن يرانا من الغنى فى صعود

قصر الشكر عن أياديه فينا ... فرأينا الدعاء كف المزيد
من رأى مثله يعز عليه ... أن يرى ضارعا لجور عنيد
أو يرى صارخا وليس نصير ... أو يرى ظالما لأدنى العبيد
سيد أسهر الجفون وغنا ... فى مهاد من الامان وطيد
ليس يخشى من الزمان اغتيالا ... وهو يرعى عداه من بعيد
هكذا هكذا الفخار والا ... فالأمانى وخدعة المستفيد
أى مولى يسائل الناس طرا ... عن جليل من أمرهم وزهيد
هل ظلمتم وهل تأخر عنكم ... صالح يرتجى لأمر مفيد
آملا أن يرى سنا العدل فيهم ... واضحا نهجه مراعى الحدود
ما رأى الناس قبله من مليك ... للرعايا أب وخير ودود
كلف النفس فى اقتحام صعاب ... أو يوفى لقومه بالوعود
وارتقى صاعدا وشوق الاهالى ... نحوه كالظماء حال الورود
ودعوه وأودعوه قلوبا ... أضمرت حبه لعدل وجود
بالها رحلة جرى البحر فيها ... بين شطيه فى ظلال البنود
والاهالى قد عز شوقا عليها ... خوض هذا الركاب لجة بيد
حيثما واصل السرى وتمادى ... بين بحر وبين بر كؤد
نحو بهماء قد خلت عن أنيس ... حار فيها الدليل بين النجود
باذل النفس والنفيس لأرض ... ليس فيها محاسن للشهود
هابجرا ما يلذ غير المعالى ... يستلذ الهدى لدرك الحدود
قلت رفقا فللسياسة سر ... دون ادراكه ذكاء الجميد
واكتشاف الخفى دأب الخديوى ... أى أمر لديه غير شهيد
وهو أهدى الى مراد تسنى ... من ذكى سما برأى سديد
ليس يثنيه عن تفقد أمر ... شوق حان ولا حنين عميد
انما دأبه طلاب المعالى ... وهو أدرى بسر بيت القصيد
نسأل الله عوده فى سلام ... لمقر العلا بسعد جديد

عائـــدا بدره (وشمس جماه) والحسان البها شراف المهود
فابق واسعد وسد لتسمو كمالا بك (أنجالك) الكرام الجدود
ثم شرف فاننا فى انتظار لسنا وجهك الجميل السعيد
واقبل مدحة تجمل فيها عبد نعماك حال سير البريد
مذ رأى زينة برسم جميل قد أعدت لواجب التمجيد
من رآها يقول يا سعد أرخ (بالخديوى) سعود رسم الصعيد

سنة ١٣٠٨ ٦٦٣ ١٤٠ ٣٠٠ ٢٠٥

ثم سار القطر على بركة الله فعاج بمحطتى كفر عمار والرقه وتجاوزهما الى الواسطه واستدام سكان تلك النواحى يشدفعون كالسيل المنهمر محدقين مهللين داعين حتى وقف بمحطتها خمس دقائق أخذ فيها الوابور ذخيرته من الماء ومثل مدير الجيزة بين يدى الجناب السامى فقبل الاذيال الخديويه واستأذن فى العودة الى مقر وظيفته للقيام بشؤونها

وفى خلال ذلك تشرف جناب احمد فضلى افندى وكيل مديرية بنى سويف بمقابلة الحضرة الفخيمة الخديوية وقدم لمقامها الكريم اسماعيل بك الياس أحمد مفتش الدومين وكذلك حظى بشرف المثول كل من حضرات محمود صبرى بك مدير الفيوم ويوسف بك مفتش الدائرة السنية بها وطلبه بك سعودى أحد أعضاء مجلس شورى القوانين وكانت المحطة مزدانة على شكل فائق وطراز عجيب رائق

ثم قصد القطار الخديوى الرحلة الى بنى سويف فمر فى طريقه بمحاط بنى حصر واشمنت وبوش وقد كانت تميس عجبا وتختال طربا وتتجلى للناظر كأنها غادة حسناء أو حديقة غناء رفعت عليها الاعلام أشكالا ورسم فى جبينها اسم الجناب الرفيع فزادها رونقا وجلالا وأقيمت فى جوانبها باقات الازاهير وأحدقت بها من كل جانب جموع الاهلين بين رجال ترفع أيديها بالدعوات ونساء تبتهل الى خالق الكائنات وصبية أخذ منهم السرور مأخذه وسقاهم الفرح كأسه وأعراب يتبارون باطلاق البنادق ويتبخترون على متون السوابح

أما الجناب الرفيع حفظه الله فكان فى أثناء ذلك يفاوض وكيل مديرية بنى سويف الحديث عن شؤون الاهالى وأمورهم الخاصة بهم ويلقى عليه الاسئلة عن الاحوال الزراعية والمالية

حتى كان الوصول فى أواخر الساعة الحادية عشرة الى بنى سويف فأطلقت المدافع تبشيرا باقبال صاحب الامر وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى واصطفت الجنود بغاية السكينة والوقار وانتظمت تلامذة المدرسة الاميرية على رصيف المحطة يحدق بهم أكارم الوجوه وكبار الموظفين وصاحت الخلائق ترتل آيات الدعاء وتردد عبارات الثناء وتسابقت فرسان الاعراب الى شاطئ الترعة الابراهيمية تخفق فوقهم الاعلام وتلوح فى أسارير وجوههم شارات الابتهاج

ولم يقف القطار حتى هرع المدير الى العربة الخديوية فهنأ الجناب العالى بسلامة الوصول وقدم لسدته العلية حضرات العلماء الاعلام ورئيس المحكمة الاهلية وقضاتها وقاضى المحكمة الشرعية والعمد والاعيان ثم تكرم عليه ولى النعم فدعاه للتشرف بالركوب مع جنابه السامى فى القطار وهنالك استأذن الوكيل فى الانصراف وسار القطار تحدوه السلامة وتطالعه الكرامة بين ضجيج الاهلين وهتاف المودعين وبعد قليل مدت فيه المائدة الخديوية فدعا جنابه الكريم لتناول طعام الغداء عليها حضرات سر تشريفاتى جنابه العالى والدكتور سالم باشا طبيب حضرته العلية ويعقوب أرتين باشا ومدير بنى سويف والفاضلين الشيخ على الليثى والشيخ محمد البسيونى والمسيو فابريسيس مهندس السراى الخديوية ثم مر القطار أمام محاطة ببا والفشن والفنت وجاوزها الى مغاغة فأتاها فى أواخر الساعة الاولى وقد كانت كسابقاتها من حيث اتقان الزينة وقيام الجنود بفرائض التعظيم وتزاحم القوم وسرورهم بقدوم أميرهم وهتافهم بالدعاء له وتسارعهم الى التشرف بالمثول بين يدى جنابه الفخيم والتيمن باستجلاء محياه الكريم ولم تتنزع عشائر الاعراب عن اظهار شعائر الاخلاص وعلائم العبودية فانهم كانوا محاذين لسير القطر ممتطين متون الصافنات الجياد يبدون من غرائب الالعاب مايدهش العقول ويحير الالباب

وفى أثناء ذلك حاول ثلاثة من جماهير الاهالى أن يقدموا الى مقامه السامى عرائض فى حوائج لهم فشملهم حفظه الله بالتفاته وكلف من أتاه بها شأن جنابه الرفيع الذى تعوده ومال اليه وطبعه الشريف الذى عرف به وفطر عليه ثم لاحت منه التفاتة الى عربة محملة قصبا على مقربة من السكة الحديدية الزراعية فأقبل جنابه العالى على المدير وأخذ يحادثه

مليا ويستقصي منه عن زراعة هذا الصنف حتى اذا علم بان المحصول في هذا العام يبشر بحسن الاستقبال ويفوق ما قبله من السنين سر سرورا عظيما وحمد الله كثيرا وبعد ذلك قام القطار قاصدا المنيا فوافاها في كمال الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم

وحسبنا في هذا المقام تنويها بمبلغ عناية صاحب البلاد وتعريفا بقدر اهتمامه وتفقده بذاته الشريفة مصالح العباد أن نذكر أن جنابه الرفيع من حين مبارحة العاصمة الى وقت وصوله المنيا مكث ست ساعات متواليات قائما على قدميه لم يجلس في خلالها الا زمنا يسيرا تناول فيه الطعام فكان حفظه الله تارة يعد الاهالي بنظره العالي وطورا يستنبئ سراتهم عن الاحوال ولربما يتخيل متخيل انه أدامه الله بعد تجشم هذه المتاعب وتحمل هاته المصاعب في سبيل اعلاء شأن الديار وسعادة أهليها يأخذ حقه من الراحة كلا بل انا نكرر ما قلناه في محله (ليست سياحته فيها ومسيره الى نواحيها لمجرد التنزه والرياضة ولكن المقصد خيري مبرور)

ولما أنبأ البشير بقدوم جنابه الرفيع الى المنيا أطلقت المدافع ايذانا بذلك فأجابها أكثر من ألف فارس بدوي بطلقات البنادق وتنافست الاصداء في ترديدها وهتفت الخلائق بالدعوات الخيريه وترنمت الموسيقى بنشيد الحضرة الفخيمة الخديوية وقامت برسوم السلام فرقة من رجال البوليس وشرذمة من المشاة المصرية وتسارع الى لقاء جنابه الفخيم حين النزول من العربة سعادة أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية وحضرة محمود بك رياض مدير المنيا وقدما الى مقامه السامي وكيلي قنصلية فرنسا واليونان وكبار الموظفين والاعيان ثم ركب ولي النعم عربة خديوية والى جانبه سعادة احمد فريد باشا وقصد سراي الحكومة يتقدمه كوكبة من فوارس البوليس وحوله رجال الحرس وتبعته في عربة ثانية صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون يتلوها في عربة أخرى حشم دولتها

قد زينت أسكلة السراي على شكل يأخذ بمجامع القلوب بهجة وجمالا وفرشت ساحتها بالبسط الفاخره والطنافس الثمينة وحفت جوانبها بالسواري الرفيعة العماد تتهادى فوقها الاعلام المختلفة الاشكال والالوان وتتواصل بينها بأطمار النبات وورق الافنان

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر من هذا اليوم ابتدأ التشريف بقاعة السراى الكبيرة وكان على الترتيب الآتى العلماء الاعلام فالاكليروس القبطى فموظفوا الحكومة فالوجوه والاعيان من وطنيين وأجانب ثم مشايخ قبائل البدو النازلين بالضفة اليسرى والبمنى للنيل وكان الآباء الروحانيون من القبط يصحبهم تلامذة المدرسة القبطيه يترنمون بالمدائح موقعة على نغم النشيد الخديوى

ثم قدم سعادة أحمد فريد باشا للجناب الخديوى المعظم مهندسى تفاتيش الدائرة السنية ومأمورى معاملها ومفتشيها يتقدمهم حضرة ويلسون بك وقد تفضل جنابه الفخيم بعد ذلك بمقابلة سعادة جونسون باشا مفتش قسم بوليس الوجه القبلى وجناب الماجور برون مفتش رى القسم الرابع مقابلة خصوصيه تحدث فيها معهما فيما يختص بمصلحتى الرى والبوليس بالوجه القبلى

وفى الساعة السادسة مدت الموائد الخديويه على الطريقة العربية وكان عدد من شملتهم دعوة الجناب الرفيع نحو أربعين جلس كل ثمانية منهم على مائدة وكان فى صدر الاولى منها الحضرة الفخيمة الخديويه يحف بها حضرات صاحب السعادة احمد فريد باشا وصاحب العزة محمود بك رياض ويحيى افندى ابراهيم رئيس محكمة بنى سويف وحسن باشا الشريعى قاضى المديرية الشرعى ووكيل غبطة البطريرك القبطى واحمد افندى مرزوق أحد أعيان مديرية المنيا وأعضاء مجلس شورى القوانين وكانت بقية الموائد تحت رئاسة حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى والجنرال يوسف باشا شهدى والدكتورين سالم باشا سالم وعيسى باشا حمدى

ولما كانت الساعة السابعة من المساء وقد بدت المدينة فى حلة من الانوار تكاد تخطف الابصار ركب الجناب الخديوى المعظم والى جانبه حضرة المدير للتجول فى شوارعها وشارفة زينتها فكانت عربة الجناب الخديوى المعظم مع ما كان يتقدمها من فرسان البوليس وعساكر الحرس الخديوى الخاص لاتكاد تبارح مكانها من شدة ازدحام الناس فى سبيل حضرة ولى نعمتهم الافخم حتى استوجب الامر استحضار فرقة من مشاة البوليس تسير كالسور على جانبى الموكب الخديوى هذا والنظام مع ذلك على أتم ما يمكن أن يكون بعناية سعادة جونسون باشا

وعند الخروج من السراى لازم الجناب الخديوى المعظم فى سيره رصيف النيل فمر أولا بالجنينتين الخديويتين (فيض ربانى وهيبا) وعليهما الاعلام والانوار ثم بسراى حضرة المدير وقد كانت كأنها نور من نور ثم بمحل سكر للدائرة السنية ثم شرف الجناب العالى الصيوان الذى أقامه أعيان المدينة اكراما لجنابه المنيف ثم وقف ركابه العالى هنيهة تجاه مسجد الاستاذ الفولى الذى هو على ضفة النيل فنزل الجناب الخديوى وزار مقام الشيخ رضى الله عنه وللناس فى تلك الاصقاع اعتقاد فيه وثقة وتبرك به واليه تنسب أهالى المنيا والتماسيح من نيل مصر العليا والوسطى وقد تكرم الجناب الخديوى المعظم حفظه الله فأمر باقامة الذكر وتلاوة القرآن الشريف فى ضريح الشيخ على نفقته الخاصة فكان كذلك واستمرت تلاوة القرآن والاذكار الى نصف الليل

وبعد مبارحة المسجد قصد الجناب العالى تشريف سوق المدينة ثم مر بشارع البوسته ومن ثمت الى هويس الترعة الابراهيمية وكان يموج بالانوار والاضواء ولما كانت الساعة الثامنة عاد جنابه الرفيع باليمن والاقبال الى السراى العامرة عن طريق السكة الجديدة

وكان حضرات البرنسيسات الفخيمات كريمات الجناب الخديوى المعظم يتجولن أيضا حينئذ بشوارع المدينة فى عربة أخرى مخصوصة و يتنزهن الطرف برؤية زينتها ومشارفة رونقها وزخرفها ولقد كانت تلك الزينات مع مايصحبها من الالعاب النارية مما يعجز اللسان عن وصفه واليراع عن رقمه ولذلك نضرب صفحا عن التفصيل مقتصرين على سرد أهم ما كان منها فنخص بالذكر الزينة التى قامت بها عائلة المرحوم سلطان باشا وزينات الشيخ حجازى من أعيان المنيا وسعادة على باشا شكرى وحضرة المدير وجناب الموسيو بولاى من مهندسى الدائرة السنية ووكيلى قنسلاتو اليونان وفرنسا وهويس الترعة الابراهيمية وغيرها

وقد امتازت زينة مدينة المنيا عن غيرها بكونها قد عملت بطريق الاكتتاب العمومى وهذه أول مرة فيما نظن اتبعت فيها هذه الطريقة فى مصر وقد كان نجاحها تاما كما يدل على ذلك كثرة عدد المكتتبين ومقدار المبلغ الذى جمع وهو يقرب من الالف جنيه ولاشك

انذلك من أقوى البراهين على ما للجناب الخديوى المعظم من علو المكانة فى أفئدة عموم الاهلين ولا يخفى أيضاً أن من مزايا طريقة الاكتتاب هذه انها لا تقيد الغنى عن اجراء جميع ما تسمو اليه رغائبه من الوسائل الموصلة لاظهار سروره وغبطته بتشريف ولى النعم ومع ذلك تسمح للفقير أيضاً بالاشتراك فى هذا السرور الاهلى والحبور الوطنى وهذا هو السبب فى أن جميع دور المدينة على اختلاف طبقات أربابها كانت ليلة الاثنين مزدانة كلها بالانوار والمصابيح وان أصحابها كانوا مشتركين جميعاً فى اظهار أمارات الولاء والابتهاج بتشريف الجناب الخديوى المعظم أدامه الله

وفى صبيحة يوم الاثنين عزم الجناب الرفيع على زيارة مصالح الحكومة فقصد ديوان المديرية مستصحباً معه حضرة المدير حتى اذا وافاه بدأ بتشريف قاعة المدير فوكيله فغرفة حكمدار بوليس المديرية وكان بها فى انتظار حضرته العلية سعادة جونسون باشا فأخذ الجناب العالى يستفسر منه عن حالة الضبط والربط ويفاوضه الحديث عن سير الاعمال وسيرة العمال وهو يوفى كل ذلك حقه من الشرح الوافى والبيان الكافى حتى سر منه الجناب السامى سروراً لا مزيد عليه وأسدى اليه جليل شكرانه وفائق امتنانه وأوعز اليه باستنساخ صورة يبين فيها تفاصيل ما وقع من الحوادث واقترف من الجنايات فى خلال الشهر الماضى بأقاليم الوجه القبلى فكان كذلك ثم شرف أدامه الله محل المأمورية القضائية فابتدر لقاءه بها حضرة محمد افندى صالح رئيسها وسار بين يدى جنابه الفخيم الى قاعة الجلسات فحجرات قاضى التحقيق ووكيل النائب العمومى ورئيس الكتبة وهنالك أمضى ولى النعم مدة غير قصيرة يتفقد الدفاتر ويراجع الاعمال ويلقى الاسئلة ثم شرف أقلام الكتاب فقلم المحضرين ولم يكتف جنابه الرفيع باستطلاع كل أمر وتعرف كل عمل بل أخذ صوراً ببيان تعداد ما نظر من القضايا فى السنة الماضية ومقدار الدعاوى التى هى تحت النظر الآن

وبعد ذلك شرف مصلحة التنظيم والرى فأنالها حظها من البحث والتنقيب وحث الموظفين على ما يعود بالبلاد الى كمال الرفاهية وزيادة العمار وكان اذ ذاك أوائل الساعة العاشرة فبارح جنابه الرفيع المكان مظهراً غاية البشر والانشراح ومعه حضرة المدير الى تفتيش رى القسم الرابع فلما شرفه تسابق لاقبال جنابه السامى جناب المفتش الماجور بر ون وحوله لفيف العمال فحياهم حفظه الله بما عهد فى طبعه الكريم من البشاشة ومكارم الاخلاق

وأقبل على كل واحد منهم من رئيس الى مرؤس يسأله عن مفردات أعماله ومتشعبات اجراآته فيشرحها لحضرته العلية بعبارة عربية فى غاية الفصاحة والتبيان وانا لجميل بنا أن نخص بالذكر من بينهم حضرة اسماعيل بك سرى فقد أظهر له الجناب العالى كامل سروره ومزيد انشراحه بما رآه من عظيم اهتمامه وقيامه بما هو موكول اليه خير قيام

ثم أخذ جنابه الرفيع يتنقل فى جميع الاقلام مكثرا من الاستفسار والاستيضاح حاثا على استدامة النشاط باثا روح الغيرة والاخلاص وبعد ذلك تفضل فزار حرم الماجور برون وهنالك استدعى اليه حضرته فأثنى عليه ثناء جميلا وخاطبه على مرآى من أهله وأولاده بألفاظ جزلة المعانى جعلها جزاء له على ما قام به من جلائل الاعمال ثم شرف المحكمة الشرعية واستعلم من رؤسائها عما أراد الاستعلام عنه وبارحها حفظه الله الى المستشفى فى كمال الساعة العاشرة فاستقبله به حضرة الدكتور محمود صدقى بك وكيل ادارة الصحة العمومية والدكتور محمد افندى توفيق مديره وسارا بين يدى جنابه العالى من مكان الى آخر حتى وصلا الى قاعات المرضى فجعل أدامه الله يلاطفهم بسهل الكلام ويخاطبهم بما خفف عنهم الآلام ثم بارحها مبتسما باسم الثغر مما عاينه من حسن العناية وكمال النظام وقصد ثكنة رجال البوليس وهو بناء ضخم قديم محكم الوضع رحيب موافق للصحة صالح كل الصلاحية لهذه الغاية شيد فى عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الاكبر ولقد تفقد الجناب السامى جميع محاله وشارف كافة مشتملاته فراقه ما عاينه فيه من الترتيب والاتقان وامتدح سعادة جونسون باشا القيامه بما يخلد له حسن الاحدوثة بين الاقران

وبعد انتهاء هذه الزيارة وجه صاحب الامر المسير الى المدرسة الاميرية وقد كانت التلامذة وقوفا فى غاية الانتظام فلما أقبل جنابه السامى تهللت بالفرح وجوههم وهتفت بالدعاء له ألسنتهم وتسارع لاستقباله ناظر المدرسة يحف به أساتذتها فبدأ الجناب الرفيع بتشريف الفرقة الاولى وانتخب بذاته الشريفة نجباء من تلامذتها صادرته العناية فسأله فيما تلقاه من أصناف العلوم ومادرسه من الفنون فأحسن الاجابة وأجاد كل الاجادة ورفع من قدر أساتذته واستمطر ثناء ولى النعم عليه ثم تنقل جنابه الفخيم فى بقية الفرق واختبر جملة من تلامذتها وكان اذ ذاك قبيل الظهر فبارحها فى مثل ما جاء به من الاحتفال

الى السراى وقد دعا جنابه الكريم الى تناول طعام الغداء كلا من حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن رشدى باشا ويوسف شهدى باشا والدكتور سالم باشا واحمد فريد باشا ويعقوب أرتين باشا والماجور برون ومحمود بك رياض والمسيو فابريدس ومحمود بك صدقى

وفى أوائل الساعة الثالثة بعد الظهر ركب جنابه الفخيم متن سابح كريم وقصد حوض الطهنشاوى على مسيرة عدة كيلومترات من المدينة وهذا الحوض تبلغ مساحته ٤٠٠٠٠ فدان وهو أوسع أحواض تلك الناحية دائرة وأوفرها مساحة ثم عاد جنابه الرفيع فى مبتدأ الساعة الخامسة فتشرف بمقابلته مديرى بنى سويف واستأذن فى الانصراف من حضرته العلية أما المدينة فكانت كالليلة السابقة تتماوج فيها الانوار وتتهادى فوق دورها الاعلام وتتجاذب أهلوها المسرات

وان ما صادفه الجناب العالى أثناء اقامته بالمنيا من التزام النهج القويم والقسطاس المستقيم وايفاء جميع الشؤون حقها لأجل بشرى وتوطن النفس على حميد عقبى هذه السياحة لاسيما وهى أول اقليم شرفه الجناب الرفيع وقد بلغت فيه كل مصلحة حدها من الكمال فلم يبق من القضايا ما يستدعى النظر سوى اثنتى عشرة قضية ولم يك على الاهلين والحمد لله شئ من الاموال وحالة الصحة على ما يرام من كمال الاعتدال حتى لقد أصبحت مدينة المنيا تضرب بها الامثال وتتخذ نموذجا لقصارى ما تبلغ شأوه همم الرجال ويصل اليه الحاكم اللبيب المفضال على انه اذا علم الناس ان جميع المصالح فى ذلك سواء لا تفضل الواحدة منها الاخرى لأدركوا مبلغ امتنان الجناب العلى الشان لحضرة محمود بك رياض

وفى صبيحة يوم الثلاثاء عزم الجناب الفخيم على مبارحة المدينة الى أسيوط فركب عربته المخصوصة ومعه صاحبا السعادة عبد الرحمن رشدى باشا واحمد فريد باشا وحضرة محمود بك رياض وقصد المحطة يحف به كوكبة من فرسان البوليس فشرفها قبيل الساعة الثامنة وقد كان بها شرذمة من المشاة المصرية وجماعة من رجال البوليس يقومون بأداء فرائض التعظيم وأمامهم الموسيقى تتلو على الحضور سور السرور فيجيبون عليها بالتهليل ويرفعون أيديهم بالدعوات الصالحات حتى أطلقت المدافع ايذانا بقيام القطار

وقد تفضل الجناب الرفيع ودعا للركوب معه أصحاب السعادة فريد باشا ويعقوب أرتين باشا والماجور برون وحضرة محمود بك رياض والاستاذ الفاضل الشيخ على الليثي الشاعر المجيد وسار القطار فمر أمام محاط أبو قرقاص والروضه وملوى وديرمواس وكانت مزدانة بباقات الريحان مجملة بيانع الاغصان وحولها أسوار من الخلائق وحصون من النفوس يبتهلون الى واهب العطايا بدوام بقاء الجناب العالى بدرا فى أفق هذه الديار ممتعا ببقاء حضرات الانجال الابرار واستمر القطار الخديوى يسير الهوينا والمحاط كأنها تتنافس فى استقباله كل منها بما يفضل سالفتها رونقا وبهاء وبهجة ورواء حتى أقبل على ديروط فى الساعة التاسعة من يوم الثلثاء ٦ يناير وقد اصطف بمحطتها فرق العساكر من البوليس للقيام بتأدية الرسوم العسكرية وأمامهم حضرة مأمور المركز يحف به المشايخ والوجوه والاعيان فلما وقف القطار وتشرف الناس بسلام الحضرة الفخيمة الخديوية أخذ الجناب العالى يسائل حضرة المأمور عن أحوال المركز والمزروعات ورفاهة الاهلين وغير ذلك مما يدعو اليه اهتمام ولى النعم بأمور رعيته خيرهم فى كل آن

هذا وتعتبر ديروط من حيثية الرى فى الوجه القبلى اعتبار القناطر الخيرية فى الوجه البحرى وذلك بسبب قناطر الموازنة التى بها ويمكن بواسطتها توزيع مياه الترعة الابراهيمية على غيرها من الجهات البحرية أو الغربية كالروضة وأبى قرقاص والفيوم بواسطة ترع الساحلية والديروطية والبحر اليوسفى وفرع الابراهيمية الموصل الى اشمنت وفم ترعة أخرى توصل الى حوض ملوى وأخرى لصرف المياه وقد تمت هذه الاعمال كلها فى عهد حضرة الخديو السابق أما طول الابراهيمية من مبتدئها بأسيوط الى منتهاها باشمنت فهو ٢٦٤ كيلومترا

وفى ختام الحديث الخديوى مع حضرة المأمور تحرك القطار من محطة ديروط متابعا السير بين تهليل الناس وهتافهم بالدعوات وسلام الجنود تخفق فوقهم الاعلام والرايات بكل من محاط نزالى جانوب وبنى قره ومنفلوط وبنى حسين الى أن وافى مدينة أسيوط نحو الساعة العاشرة صباحا واستقر على مقربة من ضفة النيل

وكانت جوانب السكة الحديدية من منفرج الخط الموصل للرصيف الى الخط الموصل الى محطة المدينة قد ازدحمت بالجموع والجماهير مما لا يحصى عديده فلما أخذ القطار يتهادى

في المسير علا هتاف القوم بالدعوات واشتد تهليلهم لرؤية الجناب العالى ولما وقف القطار هرع سعادة أحمد باشا شكرى مدير أسيوط لتلقى الجناب العالى من العربة وكان على بضع خطوات منها عند تقاطع الرصيف والشارع الموصل منه الى المدينة قوس نصر فى غاية الاتقان والاحكام وبينا كان عساكر بوليس المديرية يؤدون رسوم السلام العسكرى للجناب العالى صدحت الموسيقى بالنشيد الخديوى ودوت طلقات المدافع ايذانا بهذا القدوم المنيف ثم سار الجناب الخديوى المعظم يتبعه سعادة المدير فى مرتفع من الارض يكتنفه صفان من الدرج على هيئة دائرة الى يخته المحروس (فيض ظفر) وكان راسيا الى جانب صندل المستر كوك يفصله عن الشاطئ

وبعد وصول الجناب العالى الى اليخت ببرهة وجيزة ابتدأت التشريفات وكانت اذ ذاك الساعة الحادية عشرة قبل الظهر فاستمرت الى نحو منتصف الساعة الاولى بعده وكانت على الترتيب الآتى العلماء فالآباء الروحانيون فموظفو الحكومة ثم وكلاء قناصل الدول الاجنبية ثم الاعيان ثم العمد

وفى منتصف الساعة الثالثة ركب الجناب الخديوى المعظم وبمعيته سعادة احمد باشا شكرى قاصدا تشريف المستشفى فتلقى جنابه السامى به كل من حضرة محمود بك صدقى وكيل مصلحة الصحة وجناب الدكتور عبد الفتاح سامى افندى طبيبه وان مستشفى أسيوط هذا لمن أحسن المستشفيات نظاما ولا خلاف فى أنه من أجمل ما وجد فى البلاد المصرية من نوعه وهو محاط ببستان زاه وزاهر فى غاية السعة آوى فيه سعادة المدير مرة نيفا وثلاثة آلاف من عساكر السودان ومهاجريه وهواؤه خالص نقى وبالجملة فهو جامع بجميع الشرائط الصحية والجزء المخصص الآن للمرضى كان فى الاصل ديوانا للدائرة سا كن الجنان المرحوم سعيد باشا وكان رحمه الله قد أمر أيضا ببناء قصر فى وسط البستان فصار الآن سكنا للمدير المستشفى

وأول ما توجه اليه قصد الجناب العالى حين تشريف المستشفى كان زيارة المرضى فتكلم حفظه الله وشجع كثيرين منهم ثم زار جميع حجر المحل واحدة فواحدة من قاعة الجراحة الى محل الاجزخانة الكائن فى بناء منفصل ويحتوى المستشفى على ٧٥ سريرا موزعة فى ست غرف واحدة منها مخصصة للمصابين بالامراض المعدية لا غير وكان عدد الاشخاص الذين

دخلوه فى العام الغابر كثيرا جدا وبلغ عدد من صرفت اليهم منه الادوية وحصلوا على عناية أطبائه نحو ١٩٥٠ شخصا منهم ١٢٤ كانت معالجتهم مجانية ومما يستحق الذكر ان معظم مرضى هذا المستشفى هم ممن تستدعى حالتهم عمليات جراحية وهنا يجمل بنا ذكر الامر الذى استوجب عليه حضرة عبد الفتاح افندى مزيد الرضاء ووافر الممنونية من الجناب الخديوى المعظم ألا وهو أنه فى سنة ١٨٩٠ أجرى ١٣٦ عملية جراحية نجحت كلها وأعقبها الشفاء التام ماعدا عشرة منها

وبعد الفراغ من هذه الزيارة تفضل الجناب العالى بتشريف ديوان تفتيش البوليس فى الوجه القبلى فتلقاه به سعادة جونسون باشا وقدم الى حضرته العلية كبار موظفى التفتيش ثم سار بين يدى جنابه الكريم من حجرة الى أخرى مجيبا على استعلامات الجناب الخديوى المعظم فيما يتعلق بكثير من مسائل الضبط والربط وقد استلفت انظار الجناب العالى هنالك نوع مخصوص خريطة لسعادة جونسون باشا مبين فيها رسم الطرق التى يسلكها البدو فى الصحراء هذا وختم الجناب الخديوى المعظم هذه الزيارة بتشريفه منزل سعادة الباشا الكائن بالدور العلوى من مركز التفتيش

ولما كان منتصف الساعة الرابعة تحرك ركابه العالى قاصدا المحكمة الاهلية اتماما للواجبات التى فرضها على نفسه ولى النعم الافخم حبا لخير البلاد والعباد التى سلمت اليه العناية أمر رفاهتها وارشادها الى مابه قوامها وسعادتها

فكان حضرة حسين بك نائب رئيس محكمة أسيوط وحضرة احمد افندى فتحى رئيس نيابتها هما القائمان بأداء فرائض الاستقبال للجناب الخديوى المعظم فزار حفظه الله جميع أقلام المحكمة ولم يقتصر فى التفتيش على الاسئلة المستدرك حصولها والاجابة عليها بل نظر بذاته الكريمة فى دفاتر أقلام الكتاب والحسابات وغيرها واستدعى بنسخ كشوفة وقوائم منها كشف القضايا التى حكم فيها وكشف الدعاوى المتأخرة والتى تحت الحكم وغير ذلك مما استغرق نحو نصف ساعة من الزمن وحينئذ عاد جنابه العالى فى مثل ماجاء به من الاجلال والاعزاز الى اليخت الخديوى (فيض ظفر) فتناول العشاء هنيئا مريئا مع من شملتهم دعوته الكريمة الى ذلك وهم صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا العضو الوطنى

فى مصلحة السكك الحديدية المصرية وصاحب العزة اسكندر بك فهمى رئيس ادارتها وجناب الموسيو ترينيتيل رئيس هندسة الوابورات والموسيو كوتريل وكيل هندسة السكة الذين تولوا قيادة القطار الخديوى من المحروسة الى أسيوط

وفى المساء ركب الجناب العالى وبمعيته سعادة المدير للتجول فى شوارع أسيوط ومشارفة الزينات التى أعدها سكان المدينة اجلالا لمقدم ولى النعم الافخم وسنأتى على ذكر أهم ما شوهد منها كما سبق فى الكلام على المنيا ولا ريب ان كثرة عدد الزينات الفاخرة بأسيوط وزينتها بالاعلام والرايات وتحليها بالعدد العديد من رنك الجناب الخديوى وصورته الفخيمة مما جعل منظر المدينة غاية فى الحسن والبهاء فى أثناء النهار فكيف بها فى المساء مع تلك الاضواء الباهرة والانوار الزاهية غير أن السماء قد جادت فهطلت الامطار مدرارا فى نفس الساعة التى ركب فيها الجناب الخديوى المعظم عربته المكشوفة للتجول فى شوارع المدينة وانحائها وقد خشى الناس حينئذ أن يكون ذلك داعيا لسرعة عودته الى البيت لكنهم لما رأوا ان جنابه المعظم لم يدر فى خلده انه يأمر برفع كبود العربة فضلا عن عدم العدول عن تشريفهم بالتجول فيما بينهم تعالت أصواتهم بالدعاء والتهليل وقد اشتد بهم الهتاف حتى بلغ السبع الطباق وعددهم يزداد مئين فوق مئين من لحظة الى أخرى الى أن كثر الزحام وكاد يمتنع المسير

وهذا بيان المحال التى كان بها أهم الزينات فى تلك الليلة المأثورة المديرية وملحقاتها دار سعادة المدير نزل الموسيو برواردا المقاول زينة الخواجه الياس بشاى وكيل قنصلاتو دولة الروسية محل الخواجه كازستين دار الخواجات اخوان خياط وكلاء قنصلاتو ألمانيا والولايات المتحدة سعادة حمزه باشا دار الخواجه تادرس مقار وكيل قنصلاتو دولة فرانسا محل الخواجه ويصا بقطر وكيل قنصلاتو دولة اسبانيا دار الخواجه لوقا الرزق وكيل قنصلاتو ايطاليا ورثة خيرى بك المحكمة الاهلية والمدتبتق الموسيو اخنوخ فانوس المحامى ذهبيات ومحل الخواجات كوك وابنه وابور الشركة التوفيقية وذهبياتها حضرة احمد طه البدوى حضرة احمد افندى فتحى رئيس نيابة أسيوط سعادة جونسون باشا المدرسة الاميريكية البوسته حضرة على بك خشبه ديوان تفتيش الصحة قلم الهندسة

حضرة محمد ثابت بك من أعيان أسيوط محمد افندى الهلالى عبد الرحمن بك الفيدى عمدة أسيوط السيد محمد جلال حكمدار البوليس مصلحة الاوقاف وغيرها

هذا وليعلم انه من مدة ثلاث سنوات على التحقيق لم ينزل فى مدينة أسيوط مطر بالمعنى الحقيقى الا فى هذه الليلة أما غير ذلك فطل أو رذاذ يستمر بضع ثوان ليس الا وقد أكد الكثير من سكانها انهم لم يروا فى مدة الست سنوات الماضية مثل ديمة ليلة الاربعاء ٧ يناير سنة ١٨٩١

وفى منتصف الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاربعاء المذكور أمر الجناب الخديوى الكريم حضرة صاحب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى سر تشريفاتى الجناب العالى بابلاغ عبارات التهانى من لدن حضرته العلية الى صاحب المقام السامى ولى عهد الدولة السويدية وقرينته بسلامة الوصول من العاصمة الى اسيوط وكان حضورهما اليها على قطار مخصوص فى صباح ذلك اليوم وقد خرجا منه مباشرة الى الذهبية (نزهة الدنيا) التى تفضل الجناب العالى فأمر باعدادها لركوب حضرتيهما أثناء السياحة بالنيل وهى نادرة فى لطف الشكل وحسن الترتيب وكمال النظام والاتقان ويقطرها اليخت الخديوى (زينة البحرين) ويوجد بأسيوط أربعة يخات وهى (فيض ظفر) المعد لركوب الجناب الخديوى المعظم ودولتلو عصمتلو الحرم الخديوى المصون ثم (فيض ربانى) وهو المقل لحضرات البرنسيسات كريمات الجناب العالى وجزء من الموسيقى الخديوية الخاصة ثم (مهيا) وبه معية الحضرة الفخيمة الخديوية ثم (زينة البحرين)

وفى نهاية الساعة الثامنة أقبل على اليخت الخديوى (فيض ظفر) حضرة الكونت دولنبرج مرسلا من لدن جناب البرنس ولى عهد الدولة السويدية ليعرب عن ممنونيته ووافر شكره للحضرة الفخيمة الخديوية على ماتفضل به من جليل العناية وجزيل الاهتمام بأمره وبعد ذلك بقليل تحرك وابور زينة البحرين يقطر خلفه (نزهة الدنيا) قاصدا المسير الى النيل الاعلى وعند مروره بيخت حضرات البرنسيسات الكريمات ترنمت الموسيقى الخديوية الخاصة بنغم النشيد السويدى ولما اقتربت ذهبية حضرة البرنس من اليخت الخديوى (فيض ظفر) تفضل الجناب العالى بابلاغ تهانى الوداع بذاته الكريمة لحضرة البرنس ثم سار هذا اليوم الصعيد الاعلى السعيد

وبعد قليل بارح جنابه الرفيع البخت وبمعيته حضرته العلية سعادة احمد شكرى باشا قاصدا ديوان المديرية فسار وجموع الاهالى تتسابق من كل حدب وتهرع من كل فج ما بين مبتهج ومبتهل ومصفق ومهلل تتلألأ جباههم وتفتر ثغورهم وتنطلق ألسنتهم بالدعاء حتى شرف جنابه السامى الديوان فبدأ بمشارفة قاعة أعد بها جانب عظيم من عجائب تلك النواحى وغرائب معادنها وكان من بينها قطعة من الرخام الشفاف جليلة المقدار يستوقف حسنها الانظار ويستغرق الافكار ثم بارحها الى حجرة مجاورة لها جمعت من صنوف المصنوعات وأنواع المخترعات ما يحار بصر متأملها فى محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها وكان من جملتها أغشية نفيسة وأبسطة فاخرة نسجت من الوبر وأمشاط (سبت) عديمة المثيل اتخذت من ألياف النخيل وصنف من الزيت حلو المذاق مستخرج بالواحات وللقوم هنالك اقبال عليه ورغبة فيه واكتفاء به لجمعه بين تفاهة الثمن وجودة النوع ولقد أخذ ولى النعم بيده الشريفة بعض المنسوجات وجعل يرمقها بنظره العالى فصادفت استحسان جنابه الكريم وراقه حسنها الصميم وصنعها القويم وتفضل حفظه الله فأثنى الثناء المستطاب على ناسجى بردها وراقمى وشيها ثم تفقد جنابه الفخيم مواطن الكتاب واذ ذاك قدم سعادة المدير لسدته العلية كشفا مفصلا ببيان دخل المديرية ثم سار فى بقية الاقلام فشرف مصلحة التنظيم فالضبط والربط فالمحكمة الشرعية وفى جميعها كان أدام الله بقاه يسائل العمال عن تفاصيل الاعمال ويحثهم على التحلى بحميد الخلال ومراقبة الله فى الانفس والاموال وبعد ذلك قصد ثكنة رجال البوليس فلما وافاها جنابه الكريم تلقاه بها سعادة جونسون باشا وجناب الكولونل الوربك حكمدار بوليس الاقليم وقاما بما يجب لحضرته العلية من التجلة والتكريم ثم بارحها الى المدرسة الاميرية فشرفها فى كمال الساعة العاشرة وكانت على أجمل ما يكون من الاهبة وأكمل ما يرى من الزينة تحدق على مسافة بعيدة منها حتى تتصل بها أعلام ورايات والتلامذة من الجانبين تهتف بصالح الدعوات والاساتذة من حولهم تبتهل الى خالق الكائنات وكيف لا يدعون ويتضرعون ويبتهلون وقد كانت تلك الزيارة أعلى مروم وأغلى مطلوب فان جنابه العالى هو الآمر بتشييد تلك المدرسة الموجد لها من العدم وقد جاء من تمام حظها وكمال سعدها انحصار يوم اقباله عليها يوم الاحتفال بافتتاحها فعظمت المسرات وتضاعفت الحسنات

وهي مبنية على شكل قائم الزوايا بسعد اليها بدرج وأما كنها لطلقة الهواء فسيحة الارجاء ضخمة البنيان متناهية في السمو وفيها يدرس من اللغات الاجنبية الفرنساويه والانكليزيه ولقد تفقد الجناب الرفيع جميع محالها واستطلع كافة مشتملاتها فسر مما عاينه بها من فائق النظام وباهر الاحكام وأثنى على همة ناظرها السيد افندي وفائي وأسدى جليل شكره وجزيل امتنانه ثم بارح المدرسة قاصدا مشارفة مصلحتي الصحة والري فكان له فيهما من الاحتفال ومظاهر الاكبار والاجلال ما لا يكتنى في بيانه بنثر الناثر أو تخيل فكرة الشاعر

وفي أوائل الساعة الثانية عاد جنابه السامي الى اليخت ودعا الى تناول الطعام على مائدة جنابه الكريم كلا من صاحبي السعادة هلتون باشا وجونسون باشا وعزت بك نوجه من كبار ضابطان مصلحة الضبط والربط

وفي مبتدأ الساعة الثالثة ركب جنابه الرفيع عربته المخصوصة والى جانبه المدير وقصد التجول بانحاء سفح الجبل حتى اذا وافاه امتطى صهوة سابح كريم وصعد الى قته وهنالك شاهد المدينة في أجمل الهيئات وأبهاها وأحسن المناظر وأزهاها فلم يك يرى سوى فرع باسق وصرح شاهق وماء دافق وطلع زاهر وزهر ناضر حتى خيل للناظر أنها حديقة ذات أعناب ونخيل أو أيكة تتهادى فيها الطيور بين ظل ظليل وفرع بليل ولقد سر الجناب العالي من ذلك سرورا عظيما ثم ترجل عن جواده وعاد الى اليخت في نحو الساعة الرابعة

وبعد قليل استقبل جنابه الرفيع سعادة غرانفيل باشا سردار الجيش المصري وحضرة محمود بك رياض ثم تريض في النيل على زورق بخاري وبعد ذلك مدّ الخوان ودعا جنابه الكريم الى تناول الطعام خمسين مدعوا من كبار الموظفين وأكابر الاعيان وجلسوا على ست موائد كان في صدر الاولى الجناب الخديوي المعظم وفي الثانية صاحب السعادة عبد الرحمن رشدي باشا وفي الثالثة سعادة يوسف شهدي باشا وفي الرابعة حسين فهمي باشا وفي الخامسة الدكتور سالم باشا وفي السادسة الدكتور عيسى حمدي باشا وكان على مائدة الجناب العالي المدير والقاضي ورئيس المحكمة الاهلية ومصطفى بك خليفه من أعضاء مجلس شورى القوانين وعبد الشكور باشا وحمزه باشا ومحمود بك سليمان من أعاظم الوجوه

وكانت المدينة كالليلة السالفة تموج فيها الانوار موج البحار وتتحلى دورها بساطع الاعلام ويانع الازهار

وفى منتصف الساعة السابعة من يوم الخميس ٨ يناير تحولت البخت الخديوى وأمامه فيض ربانى وهما المبارحة مدينة اسيوط وكان بالمعية السنية سعادة احمد باشا شكرى مدير ها فودع الناس الجناب العالى بهتافهم بالدعوات وضجيجهم بالبركات واطلاق واحد وعشرين مدفعا من ضفة النيل اليمنى ومازالت أصداء ذلك الهتاف والضجيج متواصلة تتجاوب من بلدة الى أخرى من القرى التى على ضفتى النيل من اسيوط الى سوهاج قاعدة مديرية جرجا والشاطئان الايمن والايسر مزدحمان بالوفود من الاهالى والعربان وقد تبدل صمتهما الاعتيادى بهتاف التهليل المترجم عن فرح الرعية واستبشارها بزورة أميرها أدامه الله

ونحو الساعة التاسعة مر البخت الخديوى ببلدة (أبو تيج) وبعدها بالخيلة وكانتا مزدانتين بالاعلام والرايات وعند الظهر أشرف الركاب العالى على قرية النواورة فألقى البخت مرساه على مرفأ صناعى وبادر بتلقى الجناب الرفيع كل من حضرة الماجور برون منتش القسم الرابع والموسيو الن يوسف مدير أعمال الشراقى والرى بمديرية جرجا وكانت وفود الاهلين كالجراد المنتشر حوالى تلك الاسكلة وقد صف بها من جميع الجهات عمد رافعة رنك الجناب العالى تخفق فوقها الاعلام المصرية وفرشت أرضها بالبسط والطنافس وكسى بها درج لمسير الجناب العالى من المرفأ الى مركز أعمال الرى التى قصد مشارفتها فلما ترجل جنابه الفخيم تصاعدت فى الجو نغمات النشيد الخديوى من البخت (فيض ربانى) بين أصوات التهليل وهتاف الحبور والسرور من أفواج الوفود

أما الاعمال التى أنشئت فى النواوره لتسهيل الرى بالجانب الايمن للنيل فهى عبارة عن سيالة وقنطرة موازنة بدئ فى بنائهما فى العام الماضى بطريق المقاولة عن يد الموسيو كلارنستين وبمباشرة الموسيو الن يوسف والسيالة ذات أربع عيون اتساع كل منها ثلاثة أمتار والغرض منها امرار مياه بدمن مياه ترعة العيسوية تحت ترعة الخزندارية الجديدة وتتصل الاولى بالسيالة بواسطة ترعة المحجر بعد دورانها بجبل الهريدى على محاذاة جسر ترعة الخزندارية القديمة أما قنطرة الموازنة فكائنة بأعلى السيالة وهى ذات

ست عيون عرض كل منها ثلاثة أمتار والغرض منها موازنة مياه الخزنداريه هذه حتى اذا رفع منسوب مياه تلك الترعة ومرّت بالسياله أمكن واسطتها رى الاراضي المرتفعة جدا عن سطح النيل ما بين جبل الهريدى والبدارى وتيسر مع الزمن انقاذ كثير من أطيان تلك الجهات من الشرق هذا وسيكون اتساع قاع هذه الترعة عند عبورها فوق السياله عشرة أمتار وينقص الى أربعة فقط عند منتهاها بالقرب من قرية البدارى وستكون ترعة الخزنداريه متى تمت أفضل واسطة لرى حوض البدارى وساحل المطمر فضلا عن أنها تصب حينئذ زيادة عن المليون من الامتار المكعبة من مياهها بالاراضي المرتفعة الواقعة على شاطئ النيل

وبلغت نفقة القنطرة والسياله ١٠٦٠٠ جنيه مصرى وعهد ببنائهما الجناب الموسيو كارنستين مع ما يلى ذلك من أعمال الحفر والردم اللازمة لانشاء الترعة المقابلة بالسياله وقد أتم سعى حضرة المقاول نحو المليونين ونصف من الامتار المكعبة في سنة ١٨٩٠ بسعر المتر ٥٠٠ باره

وكان الجناب الخديوى المعظم يسمع تفاصيل هذه الاعمال من جناب الماجور برون والموسيو الن يوسف وأثار الحبور تلوح على ذاته الكريمة بحيث لم يكادا أن يفرغا من حديثهما حتى أعرب لهما الجناب العالى عن مزيد سروره وعنويته تلقاء قيامهما بتلك الاعمال المفيدة ثم عاد جنابه الرفيع الى اليخت الخديوى في مثل ما جاء به من الاكرام والاحتفال

وفى الساعة الاولى وربع بعد الظهر وقف اليخت الخديوى أيضا حيث عمارة الري القائم بها جناب الموسيو لافيت المهندس وهي بمثابة تتمة للعمارة السالف ذكرها أو هي بعض من نظام رى النواوره

وفى مقابل طهطا تقريبا من الضفة اليمنى يرى الجبل الشرقى شاخصا على حافة النيل على علو نحو الاربعمائة متر فوقه ويعرف اذ ذاك بجبل الهريدى نسبة الى ولى مشهور يتبرك سكان الصعيد بزيارة مقامه وهو الى جانب مضيق موحش يتوصل اليه من واد بقرب عزبة الخزنداريه أو من طريق وعر يمر بحرف الجبل ويوجد على مقربة من الغور الذى يخترقه

ذلك الطريق محاجر قديمة فرعونية من زمن غير معروف وقد احتفر فيها المصريون مثل الاروقة والسراديب مما يخال الزائر لها كأنه بإزاء حجرات هيكل للعمالقة أو جبابرة العصور الخالية ويشرف من خلالها على وادي النيل مسافة نحو الثمانين كيلومترا ولا نزال نرى على جدر تلك السراديب آثار الادوات التي استخدمت لحفرها وقد لا يصعب على المهندس لهذا العهد معرفة الطرق التي توصل بها اسلافنا القديم لقطع مثل تلك الاحجار الضخمة لبناء هياكل ربما عفت آثارها ودرست رسومها الآن وانما الذي يصعب تصوره هو كيفية انزالها الى حضيض الجبل وهو قائم كالسور العظيم وأمواج النيل تتلاطم بأسفله

ويعتبر الهريدي حدا طبيعيا بين بلاد مديريتي جرجا واسيوط في الشرق وكان الى السنة الماضية فاصلا للماء الجاري بينهما فتقف عنده مجاري الترع والخلجان الحاملة مياه النيل الى حياض اخميم ولم تكن تقوى قوة تسببه على الجمع بين الترع المنحدرة من الجنوب والواقعة الى شماليه وتسبب عن ذلك تعذر انتفاع الاراضي البحرية بالمياه الواردة اليها من الجهات القبلية لوقوف الهريدي بينهما مع ان طول المسافة التي تقطعها تلك المياه بمرورها من الجنوب الى الشمال وقوة الانحدار التي تكتسبها باختلاف السطح مما يجعلها كافية لري تلك الاراضي في سني الشرق فضلا عن الغرق فبقيت على حالة الشرق دواما ولم يكن الى ريها من سبيل

وحينئذ توجه خاطر الكولونل روس الى أمر خطير وهو حفر خليج في سفح الجبل عرضه سبعة أمتار ونصف في عمق خمسة أمتار وطول ألفين يكون صلة بين الترع القبلية والبحرية وقدر لاتمام هذا العمل سنتين من الزمن نهايتهما سنة ١٨٩١ غير ان الامر قد جاء على ما لم يكن في الحسبان ابتدئ بالعمل في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٠ فلم يحل شهر أغسطس من ذلك العام حتى انتهى بتمامه وقدر لهذا الحفر ٧٥٠٠٠ متر مكعب من الحجر الصلد تارة بواسطة استعمال اللغم وتارة باستعمال المعاول وكان معدل ما يستخرج يوميا من المكعبات نحو ٤٥٠ مترا وبلغ أحيانا عدد العملة المستخدمين فيه نحو ٦٠٠٠ رجل واستعملت له أحسن آلات النقب المعروفة لهذا العهد فلم تكن شيأ يذكر بالنسبة الى شغل العامل الوطني فما أعظم اقتداره وصبره ولم يحدث في أثناء العمل أقل حادث مكدر وبالجملة فلم يصادف أمر من التوفيق ما صادفه هذا العمل الجزيل الفائدة الكبير العائدة

وقد قام بلقاء الجناب العالي حين النزول من اليخت جناب المسيو دولافيت وكانت الاسكلة مزدانة على شكل لم يسبق مثال ولم ينسج له على منوال تحيط بها صنوف من الازاهير وصنوف من باقات الرياحين تظللها اقباب من السعف تتواصل بينها الاعلام وتتمايل فوقها رايات البشر والسلام وأمامها شرذمة من الفرسان يمنعون الزحام ويمهدون طريقا للجناب الفخيم بين تقاطر الاقوام

على ان جناب المسيو دولافيت لم يقف عند هذا الحد ولم يقتصر على هذه المظاهر التي قام بها اجلالا لصاحب البلاد بل أراد أن يكون ذكرى تفقد جنابه العالي لاحوال العباد مخلدا مدى الازمان والآباد فعمد الى الحجر وأحكم فيه قطعة من الرخام الابيض الناصع نقش عليها باللغتين العربية والفرنساوية هذه العبارة الآتية بحروف ذهبية (عاج بهذه النواحي محمد توفيق الاول في ٨ ينايرسنة ١٨٨١)

ثم أقبل عليه الجناب الرفيع وشكره شكرا جزيلا وأثنى عليه ثناء جميلا وعاد الى اليخت ووجه المسير الى . وهاج فتشرفها في أوائل الساعة الخامسة وهنالك أطلقت المدافع ايذانا بتشريف صاحب الامر وعلت الاصوات بالدعوات وتقاطرت جماهير الاهالي فرادى وزرافات وأحدقوا بالاسكلة من كل جانب يهنئ بعضهم بعضا ويتبادلون رقيق التحيات وهرع حضرة المدير الى مرسى اليخت لتهنئة ولي النعم بسلامة الوصول وقامت الجنود بفرائض التعظيم وأدوا لجنابه الكريم رسوم التكريم

وقد كان مرفأ المدينة بهجة للناظر وقرة للخاطر تتهادى فوقه الاعلام والرايات على أجل الاوضاع وأكمل الهيئات يعلوها قوس رفيع العماد أحكمت صنعته وأجيد نقشه وزخرفت جوانبه بابهر الالوان وأزهر الاشكال وأقيم على مقربة منه قوس آخر هو عنوان الاتقان ومثال البهجة وقالب الاحسان ووصل بينه وبين سالفه بباقات الريحان وحفا من الجانبين بندي الافنان

وقد كثر اقبال القوم على اليخت للتشرف بمقابلة أميرهم والتيمن بمشاهدة محياه الكريم الى نحو الساعة السادسة ثم مدت المائدة الخديوية ودعى لتناول الطعام عليها كل من حضرات مديري أسيوط وجرجا وبعد ذلك طاف الجناب الرفيع في انحاء المدينة وشارف

نواحيها وشرف صيوانا أقامه الاعيان اكراما لجنابه العلى الشان فمكث برهة من الزمان ألان فيها الجانب وسهل الخطاب وأدخل السرور على جميع من تشرف بلقياه وفى أثناء ذلك أخذت الالعاب النارية تعازل شهب السموات وتحاول بارتفاعها الكواكب العلويات وتجارى السحب بدوائر سيارات حتى اذا كان منتصف الساعة العاشرة عاد الجناب السامى الى اليخت باليمن والاجلال

أما منظر المدينة وقد مد الليل سرادقه فكان فوق كل وصف وأجل من كل بيان لا يدخل تحت قيد ولا يرتبط بقياس

وبعد منتصف الساعة الثامنة من صبيحة يوم الجمعة (٩ يناير) توجه الجناب الخديوى المعظم و بمعيته السنية حضرة المدير الى زيارة المأمورية القضائية فلما شرفها أخذ أدام الله تفقد الدفاتر و بسير الاعمال و يلقى الاسئلة فتجيب العمال بأجلى بيان وأفصح تبيان حتى بارح جنابه العالى المكان قريرا مبين قاصدا مشارفة أعمال الرى فوصل اليها فى بداية الساعة التاسعة و بدأ باستطلاع سيالة الطهطاوية وهى ذات عينين سعة فوهة كل منهما ثلاثة أمتار وتمر من أسفل الترعة الطهطاوية وقد أنشئت لتوصيل المياه من الترعة الجرجاوية الى الاراضى المرتفعة الكائنة على ضفتى النيل ثم زار الجناب الرفيع قنطرة الموازنة فصرف سوهاج فسيالة السوهاجية وهى أطول هذا النوع فى الديار المصرية ولها أربع عيون عرض كل منها ثلاثة أمتار تمر منها مياه الترعة الجرجاوية وقد بدئ فى هذه الاعمال سنة ١٨٨٩ وتمت فى السنة الماضية قبل زمن الفيضان ولقد ترجل الجناب الخديوى العالى مسافة غير قصيرة أثناء تفقده هذه الاعمال لعدم استواء الارض فى تلك الاصقاع وكان كلما أشرقت طلعته السنية على بقعة من البقاع ترنمت الخلائق بالدعوات وأظهرت كمال البشر والمسرات

وفى نحو منتصف الساعة التاسعة شرف جنابه السامى ثكنة رجال البوليس فاستقبله بها سعادة جونسون باشا وحضرة على خيرى افندى حكمدار البوليس وسارا بين يدى حضرته العلية فى جميع الاماكن ومكث جنابه العالى طويلا يجاذبهما الحديث عن جميع الشؤن ويستنبئ عن حالة الضبط وسير الاعمال على اختلاف أنواعها ثم قصد ديوان المديرية فوافاه

بعد منتصف الساعة التاسعة وزار المحكمة الشرعية فقاعة رئيس هندسة المديرية فأقلام التنظيم فمصلحة الضبط فغرفة مأمور السجون فمواطن الكتاب فالمستشفى فمصلحة الرى وفى جميعها كان حفظه الله يكثر من الاسئلة ويستفسر كل عامل عن عمله ويبث روح الهمة والنشاط ويحث الموظفين على مراعاة ما فيه صلاح البلاد ونفع العباد وانتظام الاحوال وفلاح الاعمال

وفى نحو الساعة الحادية عشرة تشرف جنابه الفخيم المدرسة الاميرية فقابلته تلامذتها بالتهليل ورفعوا أيدى الدعوات لجميع ابدوام بقاء جنابه العالى مصدرا لكل خير وفضل رافعا شأن العلم حافظا نظام العدل وهذه المدرسة فى حى منيع عن وطأة القيظ ومأمن من عاديات وهى رحيبة الفناء جيدة الهواء شاهقة البناء محكمة الوضع متقنة الصنع احتوت على أربعة فصول فى الاول منها ثمانية من الطلبة وفى الثانى عشرة وفى الثالث اثنان وعشرون وفى الرابع ستة وعشرون وفى هذا أطال ولى النعم مكثه وكلف ناشئا من تلامذته بالصعود الى موضع الاختبار فأخذته الشفقة والمرحمة عليه وقربه منه وأخذ بيده حتى أوصله الى ذلك الموضع شأن جنابه الرفيع فى كل حال وفطرته التى فطره الله عليها

ثم زار مصلحة الصحة وتفقد أقلامها وخبر أعمالها وعاد الى الجفت يصحبه الاعزاز والكمال وتقدمه الكرامة والجلال وبعد قليل ركب عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير وحوله جملة من رجال المعية السنية وقصد جامع الاستاذ العارف لاداء صلاة الجمعة ولم تأخذ العربة فى السير حتى أحدق بها ألوف من الخلائق يهللون ويدعون ويبتهلون وداموا كذلك الى باب المسجد

وبعد الفراغ من الصلاة نفذت الاشارة الكريمة بقراءة آى القرآن المجيد وتلاوة الذكر الحميد وتفضل الجناب الكريم على خدمة المسجد فشملهم باحسانه وعمهم بفضله وعرفانه

ثم عاد الى الجفت ودعا الى تناول الطعام مع جنابه الرفيع كلا من حضرات المدير ومحمود بك صدقى وبعد ذلك جاءت شرذمة من الاعراب وأبدت من غرائب الالعاب وضروب الاغراب ما حير الفكر وأدهش العقل فقد كانت الجياد تجثو تارة وتزحف آونة وتتمايل أخرى مع رشيق الحركات وبديع المناسبات حتى خيل للرائى انهن ظباء روائع فى تلك المواضع أو نجوم طوالع من هذه المطالع

وفى نحو الساعة الثالثة ركب الجناب الخديوى الفخيم زورقا بخاريا وقصد مدينة اخميم يصحبه صاحبا السعادة عبد الرحمن رشدى باشا ويوسف شهدى باشا والدكتور سالم باشا ويتلوه زورق آخر يقل رجال معيته السنيه فامتلأت ضفتا النيل بمن لا يحصون عدا من الاهالى بين أعراب تتسابق ورجال تتلاحق ونساء تبتهل وصبية تتهلل حتى امتنع المسير على كثير من الوفود

وقد كان لمقدم الجناب العالى بمدينة اخميم من مظاهر الاحتفال ومناظر الاجلال ما لم يره قط باصر ولم يخطر لمتخيل بخاطر فقد كان احتفالا يجل عن النظير ويتنزه عن المثيل لا يبلغه وصف الواصف ولا نعت الناعت ولا بلاغة المنطيق ولا طلاقة الخطيب ولا فصاحة اللبيب

كانت الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين جنسياتهم متفقين فى هذا الاحتفال قلبا وقالبا ظاهرا وباطنا سرا وعلانية فكانوا يفدون جماعات جماعات ملئت أفئدتهم ارتياحا وصدورهم انشراحا تترجم ألسنتهم عما انطوت عليه قلوبهم من صدق الولاء وظاهر الوفاء وخالص العبودية وكلما رأوا أميرهم تراموا تحت سنابك الخيل لا يبالون بما يلاقون فى هذا السبيل

زينت الطرق بأعلى وأغلى أنواع الزينة وزركشت الاماكن بأفخر ما يمكن واستعيض عن الاعلام بقطع من النسيج ذات الالوان الباهرة وحفت بعصب الزهور الزاهرة وانتشرت الخلائق فى جميع الارجاء بحيث كان مسير الجناب الخديوى العالى بين هؤلاء الاقوام وهم محدقون به من كل جانب يخيل للناظر أنه سائر خلال دار السلام أيام خلافة هارون الرشيد

ولقد ترجل الجناب الرفيع مرتين زار فى الاولى ضريح سيدى الاستاذ جمال الدين وفى الثانية ضريح سيدى العارف بالله أبى القاسم وكان لهذه الزيارة وقع جليل ومنزلة سامية فى قلوب الاهلين لما لهم من كمال الاعتقاد وتمام الثقة فى هذا الاستاذ حتى انهم اذا أقسموا به كانوا غير حانثين

وبعد الساعة الرابعة بقليل بارح الجناب العالى المدينة الى اليخت فوافاه فى كمال الساعة الخامسة وفى نحو الساعة السادسة مدت موائد الكرم ودعى لتناول الطعام عليها كثير

من كبار الموظفين وأكارم الوجوه جلسوا على خمس موائد كان في صدر الاولى الجناب الخديوى المعظم وفى الثانية سرتشريفاتى خديوى وفى الثالثة سرياوران خديوى وفى الرابعة الدكتور سالم باشا وفى الخامسة الدكتور عيسى باشا وتشرف بالجلوس على مائدة الجناب الكريم حضرات قاضى المحكمة الشرعية ووكيل جناب البطريرك وحسين بك حادى وعلى بك رفعت ورشوان بك حادى من أعيان المدينة

وقد أمضى الجناب الرفيع الليلة باليخت وكانت المدينة تتلألأ نورا وتسطع حبورا وتزدهى سرورا

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم السبت ١٠ يناير أطلقت المدافع من مدينة سوهاج بين تهليل القوم وهتافهم بالدعاء للجناب العالى ايذانا ببارحة اليخت الخديوى لمرفئها وعند منتصف الساعة التاسعة مر بمدينة جرجا وبعد مسيرة ساعة ونصف منها أقبل على البلينة وحضرة مدير المديرية بضمن من شملتهم المعية السنية

فأرسى اليخت الخديوى على مرفأ صناعى جميل مفروش بالبسط ومزدان بالازاهير وأغصان الشجر تخفق عليه الاعلام والرايات المصرية قام بانشائه حضرة عبد الشهيد بك بطرس أحد أعيان المديرية اجلالا لمقدم الجناب العالى وكانت فرق الجنود من فرسان البوليس ومشاته مصطفة على مسافة منه فقامت بتأدية فروض السلام العسكرى للحضرة الفخيمة الخديوية وكان اذ ذاك اليخت الخديوى (فيض ربانى) قد أرسى أيضا فى مرفأ آخر أنشأته المديرية الى جانب الاول

وبعد برهة وجيزة ابتدأت المقابلات الخديوية فتشرف بمقابلة الجناب العالى على يد حضرة مدير المديرية العلماء الاعلام وأعيان البلينه وعمدتها ومشايخها

فلما كانت الساعة الاولى بعد الظهر ركب الجناب الخديوى المعظم وبمعيته حضرة صاحب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى سرتشريفاتى خديوى مبارحا قرية البلينه الزاهية بدورها العالية وشرفاتها الفخارية العامرة بأسراب الحمام قاصدا مشارفة آثارا بيدوس المصرية القديمة وكان سعادة جونسون باشا الذى لم يبارح معية الجناب السامى منذ قيامه من المنيا الا راكبا فى ركابه العالى

وكانت العربة الخديوية يتقدمها فرقة من فرسان البوليس ويحف بها كثير من البدو ثم يتلوها على مسافة قريبة عربة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون ومعيتها حضرة قرينة جونسون باشا وثمانمن الحشم وفى ختام الركب عربة حضرات البرنسيسات كريمات الجناب العالى

وأول ما شاهد من الآثار القديمة بصعيد مصر هى اطلال ابيدوس الفرعونية ولا يخفى أن الابيدوس هى التى عثر فيها ماريت حين الشروع فى تنظيف برباسيتى عام ١٨٦٠ على اللوحة الهيروغليفية الشهيرة التى أمكن بواسطتها معرفة سلسلة ملوك مصر القدماء وان هذه اللوحة تعتبر لجمال نقشها وبقاء رونقها وعظم فائدتها التاريخية من أهم الآثار المخلفة للبلاد النيلية عن غابرها العظيم المجهول أما القبور الباقية بها فهى مدافن العائلة الملوكية السادسة (٣٧٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحى) والعائلة الثانية عشرة التى ملكت بعدها بنحو ٣٠٠ سنة والعائلة الثالثة والعشرين وقد تم الموسيو جريبو عمل سلفه ماريت بازالته الردم عن عشر حجرات من هيكل سيتى وأصاب كل الاصابة بمبادرته لحفظها من الضياع والعوارى باحاطتها بدربزين متين من حديد هذا وقد زار أمير البلاد اطلال أبيدوس ودليله الموسيو جريبو وكان بهذا الدليل حضرة صاحبة العصمة والدولة الحرم الخديوى المصون والبرنسيسات الكريمات

وقبيل الساعة الثالثة امتطى الجناب الخديوى المعظم صهوة جواد قاصداً مشارفة أعمال الرى بجنوبى البلينه وعادت صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون وحضرات البرنسيسات كريمات الجناب العالى الى محطة جنابها فى عربات خديوية ويصل الآن بين البلينه والابيدوس طريق مهد فى غاية الموافقة لسير العربات اعتنت بانشائه مديرية جرجا لمناسبة سياحة الجناب العالى ويمر هذا الطريق بواسطة قناطر مؤقتة فوق كل من ترع أم الطبول فالزرزورية وهى فرع جديد للرشوانية فترعة الكسرة

وقد سلك الجناب الخديوى المعظم فى مسيره من هيكل العرابة المدفونة الى مركز أعمال الرى الطريق التى على حرف الصحراء الى جسر نجع حبل الغربى ومن ثم على محاذاة ترعة الكسرة الى السيالة الجديدة المعروفة بهذا الاسم وهى ذات ثلاث عيون عرض الواحدة

منها ثلاثة أمتار والغرض من انشائها امرار مياه الرشوانية تحت ترعة الكسرة ويلي هذه السيالة قنطرة ذات سبع عيون لموازنة المياه الواردة الى الترعة وكان البدء في بنائهما سنة ١٨٨٩ والفراغ منه في العام الماضي وقد قام به جناب الموسيو كازستين المقاول مقابل خمسة عشر ألف جنيه مصري

والغرض من سيالة الكسرة ري الاراضي الكائنة شمال البلينه برفع منسوب مياه الرشوانية الواقع فيها على مسافة ٢٨ كيلومترا الى الجنوب وقد بنى الموسيو كازستين أيضا سيالة أخرى على ترعة الزرزورية وقنطرة موازنة بلغت نفقتهما ١٢٠٠٠ جنيه ولقصر الوقت لم يتمكن الجناب العالي من مشارفتهما على ان ذلك لم يكن بالامر المهم اذ ان هذا العمل لا يختلف عن سالفه في شيء

وكان معدا للحضرة الخديوية حينئذ احتفال فائق بورش الموسيو كازستين واستقبل العمال جنابه العالي بما لا يوصف من التهليل والتكبير وقد بذل حضرة المقاول جهد المستطيع في جعل الاحتفال لائقا بمقام زائره الملوكي فزين السيالات والقناطر بما يطرب له الذوق السليم وتقر به الاعين من نظام وزخرف فتفضل الجناب الكريم بالاعراب له عن وافر ممنونيته وبعد ذلك ركب أعزه الله زورقا بخاريا عاد به الى اليخت الخديوي وكان اذ ذاك نحو الساعة السادسة من المساء فأمر بالطعام ومدت الموائد الخديوية وشملت دعوته الكريمة خمسة وعشرين مدعوا جلسوا على ثلاث موائد وكان في صدر الاولى منها الجناب الخديوي المعظم وفي الثانية والثالثة حضرات صاحبي السعادة عبد الرحمن باشا رشدي ويوسف باشا شهدي وتشرف بالجلوس الى جانب الحضرة الفخيمة الخديوية حضرات مدير جرجا وجونسون باشا وأبي السعود بك مفتش ري القسم الخامس وقاضي البلينه والموسيو الن يوسف وكازستين وعبد الشهيد بك وعبد الملك افندي بطرس وكانت الموسيقى الخديوية الخاصة تصدح بنغمات النشيد الخديوي المطربة طول مدة العشاء

وما كاد الليل يرخي سدوله حتى حف بها من جهة أنوار المرفأ الباهرة ومن الاخرى زينة ذهبية للموسيو كازستين تخطر كالعروس في عرض النيل تلاعب النجوم بأسهمها النارية وتخطف الابصار بأضوائها البرقية

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الاحد (١١ يناير) عزم أمير البلاد على مبارحة البلينا الى دندره فدعا حضرة أبو السعود بك مفتش رى القسم الخامس للركوب مع جنابه العالى وسار البخت على بركة الله يشق عباب الماء حتى شرفها فى أوائل الساعة الثالثة وكان فى انتظار الجناب الرفيع بها كل من حضرات حسن باشا ذهنى مديرقنا وجونسون باشا والمسيو جريبو مدير المتحف المصرى

وهذه القرية على الجانب الايمن للنيل وبها هيكل خطير الشأن ضخم البنيان وهو من أفخر آثار مصر وأعظمها مقاومة لعاديات الايام وتقلبات الازمان يحيط به سياج فسيح المدى مشيد بالآجر قائم وسط أطلال بالية وتلال دارسة هى من أقوى الادلة على تناهى ارتفاعه وعظم سمكه وقد أخنى عليه الدهر فأباد رسمه ودمر وسمه ولم يبق منه سوى بابين شاهقين الاول فى الجهة الشمالية والثانى فى الجهة الغربية وهو مزدان بكثير من عجيب النقوش وكتابة الاوائل أما الهيكل فلا ينقصه شئ من ذلك فان جميع أبوابه وحيطانه وسقوفه وجدرانه موشاة ببديع الصور مغشاة بأخبار الوقائع وقد أجمع ثقاة المؤرخين واتفق أئمة الباحثين على أنه لم يشيد فى عهد الفراعنة بل كان البدء فى بنائه مدة حكم بطليموس الحادى عشر وانتهاؤه فى عصر الملك (تيبر) ونقشه فى زمان (نيرون) ولطالما تطرقت اليه يد الدمار وساورته عوامل البوار وذلك حين ما حل بالاوثان ما حل فى عهد الامبراطور تيودوز

ولقد شرفه الجناب الرفيع وشارف جميع أمكنته واستراح قليلا فيه او هنالك تفضل حفظه الله على رجال معيته الكرام فأذن لهم بالنزول الى محال الهيكل الارضية لاجتلاء آثارها واستطلاع عجائبها وهى فى نهاية الجانب الغربى يأخذ حسنها بمجامع القلوب و يبلغ طولها ستة وعشرين مترا وبها جملة حجرات تتواصل بينها بواسطة ممر يتخللها وتزدهى حيطانها بزاهى النقوش وباهر المناظر يخالها الناظر اليها انها حديثة عهد بالصناعة ولا غرو فان هوام الارض لا تعلم مستقرها وحرارة النهار لا تنفذ اليها وهى على ما يلوح من هيئتها كانت مستودعا للتماثيل معبودات القدماء التى كانت تتضمن النضار ومحلا تضع فيه القسس فاخر الثياب وما شاكل ذلك

وفى منتصف الساعة الخامسة سار الرصيف الى الجانب الايمن للنيل حتى اذا وافاه أطلقت المدافع ايذانا بتشريف صاحب البلاد وعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوى وهتفت الخلائق بصالح الدعوات وتسابقوا الى الاسكله شتى وجماعات وقد كانت مزدانة بيانع الازهار البديعة الالوان تخفق فوقها الاعلام وحولها تلامذة المدرسة الاميرية يكتنفهم كوكبة من فوارس البوليس وشرذمة من المشاة يقومون بأداء الرسوم العسكرية وبعد قليل تشرف بمقابلة جنابه الرفيع أفاضل العلماء وكبار الموظفين وسراة الاهلين فشملهم بجليل التفاته وعظيم عنايته وخرجوا من لدنه شاكرين ثم دعا جنابه الكريم الى تناول الطعام كلا من سعادة حسن ذهنى باشا والمسيو سيكور مهندس السكك الحديدية وأخذ جنابه العالى يسائله كثيرا عما رآه بشأن الخط الجديد المراد انشاؤه بين قنا والقصير أما المدينة فقد كانت تتلألأ نورا وتأتلق مسرة وحبورا

وفى صبيحة يوم الاثنين (١٢ يناير) عزم الجناب الخديوى الفخيم على زيارة مصالح الحكومة فركب عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير وقصد ديوان المديرية فشرفها فى منتصف الساعة التاسعة وبدأ بتفقد المحكمة الشرعية فشكنته رجال البوليس وهنالك استقبله سعادة جونسون باشا وحافظ افندى اسلام حكمدار بوليس الاقليم ثم شرف المحكمة الاهلية فابتدر لقيابه كل من حضرات محمد افندى مصطفى رئيسها ومحمد افندى النجارى رئيس النيابة وسارا بين يدى حضرته العلية فى جميع الاقلام وأماكن الجلسات وأخذ جنابه الرفيع يتحرى بذاته الشريفة سير الاعمال ويتفقد الدفاتر ويسأل العمال ثم بارحها الى تفتيش الرى فتلقى جنابه الكريم حضرة أبو السعود بك ثم قصد أقلام المديرية وبعد ذلك سار موكبه الجليل بين جماهير الاقوام الذين كانوا يحدقون بالعربة من كل جانب يكادون يمنعونها من السير رغبة فى التمتع بمشاهدة محياه الكريم فشرف صيوانين رفعا اكراما لجنابه الفخيم وهنالك نحرت الذبائح وفرقت لحومها على الفقراء والبائسين

ثم دعت جنابه العالى دواعى الشفقة والمرحمة الى زيارة المستشفى فوافاه تصحبه الصحة والعافية بعد الساعة العاشرة وكان فى انتظاره حضرات الدكتور محمد افندى حمدى مديره والدكتور محمد افندى حسين مفتش صحة المديرية فاستقبلاه بما يجب لمقامه السامى من

الاجلال والاكبار وأخذ أدامه الله يتنقل فى جميع الاماكن متفقدا باحثا مستعلما حتى شرف قاعة المرضى فجعل يسأل كل واحد منهم عن شكواه ويخاطبه بما يخفف عنه بلواه وكان من بينهم جندى من فرقة المشاة الثالثة المصرية وافغانى كلمه جنابه الرفيع بالفارسية فابتهل الرجل الى خالق الكائنات وانطلق لسانه بالدعوات الصالحات ثم أقبل جنابه السامى على المدير فشكره على ما عاينه من النظام وحثه على متابعة ما رآه من النشاط والاهتمام واستصحب معه كشفا مفصلا بأعمال المستشفى فى خلال السنة الماضية وبارحه الى المدرسة الاميرية فلما شرف ركابه السعيد ساحتها هرع لاستقباله حضرة ناظرها وسار بين يدى حضرته العلية الى الفرقة الاولى فتلت تلامذتها وظهر من بينهم نجيب ألقى خطبة باللغة العربية الشريفة ضمنها شكر المنعم بهذه الزيارة المباركة وختمها بالدعاء لجنابه العالى ثم سأله حفظه الله فيما تلقاه من العلوم وعرفه من الفنون فأجاب بما استحق عليه شكر ولى نعمته واقترنت له ثغور أساتذته وبعد ذلك سار الجناب السامى فى بقية الفرق واختبر جملة من تلامذتها فصادفت عنايته العلية فى الفرقة الاخيرة ناشئا يبلغ عمره تسع سنين قد أحسن الاجابة وأجاد كل الاجادة وفى كمال الساعة الحادية عشرة قصد جنابه الرفيع زيارة ضريح العارف بالله سيدى الاستاذ عبد الرحيم القناوى وهو من المزارات المقصودة يؤمه سكان الوجه القبلى من جميع النواحى ولهم فيه اعتقاد وثقة تامة وقد كان فى عزم الجناب الرفيع أن يشارف أعمال الرى بعد ظهر ذلك اليوم ولكنه حفظه الله تعوّد الا تحقيق آمال رعاياه وادخال السرور على جميع من والاه فانه لما علم أن قبيلة العبابدة تود لو يجيب جنابه العالى سؤلها فيأذن لها باظهار ما أكنته قلوبها وما انطوت عليه ضمائرها من شعائر الاخلاص وشارات الولاء نفذت اشارته الكريمة بذلك فهنالك انهالت زرافات الاعراب تسحب مطارف الاعجاب وتسابقت على صهوات الجياد يقدمها الفرح ويحدوها الانشراح شاكية السلاح تتلاعب بالرماح كأنها فى كفاح ومكثت بين تمايل وتبختر وتقدم وتأخر ومنازلة ومناضلة تسترق الانظار وتستغرق الافكار بحيث لم يبق لسان الا انطلق بالثناء المستطاب ولم يبق أحد الا أبدى وجه الاستحسان والاستغراب وقد حدثت فى خلال ذلك نادرة عجيبة كملت أسباب الطرب وزادت دواعى الفرح فانه بينما كان أحد الغلمان مستغرقا فى النوم على مقربة من

ضفة النيل اذ أقبل جماعة من الصيادين أخذوه في شباكهم وأتوا به فطرحوه أمام الحضور فلم يتمالك الناس أنفسهم من السرور واظهار علائم البهجة والحبور أما الجناب العلي الشان فانه ارتاح لذلك ارتياحا لا يقدر بوصف ولا يقوى عليه بيان فانه أدامه الله استدعى الى حضرته العلية أولئك الاقوام وطوقهم بالمنن الجسام ومنحهم من سوابغ النعم ما تسير بحديثه الركبان ويتناقله الخلف عن السلف ما أشرق النيران وتوالى الجديدان

وفي كمال الساعة السادسة مدت موائد الكرم ودعي لتناول الطعام أربعون مدعوا من أعاظم الرجال وأكابر الاعيان وأخذت الموسيقى الخديوية تشنف الآذان وتنعش القلوب بشجي الالحان والجناب العالي يتردد ركله ويعامل ضيوفه بما جبلت عليه مكارم شيمه حتى اذا كان منتصف الساعة الثامنة ركب عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير وطاف أنحاء المدينة لمشارفة ما فيها من أنواع الزينة وبدائع الزخرفة وكان كلما أشرقت طلعته على جهة من الجهات تهلل أهلوها بالفرح وتنافسوا في ترديد صالح الدعوات

وقد تفضل جنابه الكريم فأمر باقامة الاذكار وتلاوة آي القرآن المجيد بمسجد الاستاذ العارف بالله سيدي عبد الرحيم القناوي وتكرم على خدمة المسجد فأغدق عليهم احسانه وأجزل لهم انعامه

أما المدينة فكانت تسطع بالانوار وتحلي دورها بيانع الازهار وقد احتفل جم غفير من سراة أهليها وكرام عشائرها باضاءة أماكنهم وتزيينها بالاعلام البديعة الالوان نخص بالذكر منهم حضرات علي باشا وهدي ومحمد احمد بك واحمد أغا عبده ومحمد افندي حسين والسيد محمد مصطفى وغيرهم

وفي منتصف الساعة السابعة بارح ولي النعم مدينة قنا الى دابيا فشرفها بعد الساعة الاولى بقليل وقد كان في انتظاره بها سعادة أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية وجناب المسيو لوسالك مراقبها وسعادة جونسون باشا يحدق بهم فرقة من مشاة البوليس فلما أقبل جنابه الرفيع هرعوا الى اليخت وتشرفوا بمقابلة حضرته العلية وقدم سعادة احمد فريد باشا وجناب المسيو لوسالك الى مقامه السامي كلا من حضرات المسيو مارشان مهندس المعامل

وعبد الحميد بك مفتش أرمنت وابراهيم افندى حسنى مفتش المطاعنة وكبار موظفى المعامل

وكانت زيارة معامل الدائرة السنية موضوع اهتمام زائد من لدن الحضرة الفخيمة الخديوية وذلك بالنظر لكثرة عدد الوطنيين المستخدمين بها المتوفرة أرزاقهم منها بزراعة القصب والاعمال اللازمة لاستخراج السكر وادارة السكك الحديدية الزراعية

هذا وزراعة القصب وصناعة استخراج السكر فى صعيد مصر وان لم يتسع نطاقها الا فى عهد جناب الخديوى السابق الا انه من المحقق الذى لا امراء فيه ان هذه الزراعة وتلك الصناعة قد كانتا معروفتين فى مصر منذ القرون الخالية وعلى كل فلا بد انه لما أدخلت طرق استخراج السكر من الهند الى جزائر الارخبيل الرومى فى القرن الثالث عشر للميلاد لم تلبث أن عرفت أيضا فى مصر لما بين البلادين من شدة الصلة والمجاورة على انه يبعد القول بان وجود القصب فى وادى مصر قبل ذلك العهد كان على الحالة البرية لما هو معروف من أقدمية التمدن المصرى واستفحاله قبل ذلك بأجيال عديدة ومهما يكن من الامر فلا مشاحة فى أن معامل السكر كانت لا تزال موجودة بمصر فى القرن الماضى على الحالة القديمة وان الفلاح كان يزرع بأرضه القصب الابيض المعروف بالبلدى ويستخرج منه نوعا من الشراب هو العسل الاسود المعروف الآن

والظاهر أيضا انه قد كان بمصر فى أوائل القرن الحالى معامل لاستخراج السكر أكثر اتقانا ونظاما مما كان يستعمله الفلاح فمن ذلك المعمل الذى كان بظاهر القاهرة وآخر يعرف بمعمل الريرمون وهو المنسوب للروضة لهذا العهد أما المعامل الجديدة بهذا الاسم فلم توجد بالديار المصرية الا نحو سنة ١٨٤٠ فى عهد ساكن الجنان المرحوم محمد على باشا الكبير فانه رحمه الله انشأ من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٥ أربعة معامل من صنف واحد أحضر أدواتها من مدينة باريس وجعل منها واحدا فى دمريس وآخر فى المنيا وآخر فى فرشوط والرابع فى ارمنت ولا يزال معمل فرشوط هذا دائرا على أتم نظام وأدواته وآلاته لم يعترها شئ من الخلل على تقادم عهدها ويستخرج به الآن من مائة الى مائة وخمسين ألف قنطار من السكر وهو لهذا العهد ملك لورثة المرحوم البرنس احمد باشا

هذا ومن ذلك الوقت أخذت معامل السكر بمصر في الازدياد فأنشأ المرحوم البرنس مصطفى باشا فاضل ودولة البرنس حليم باشا معامل بضياعهما في الصعيد وأنشأ جناب الخديوى السابق معملين بارمنت والروضه في سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٤ وفي عام ١٨٦٦ جدد معملا ببلدة مغاغه ثم آخر بالمطاعنه وفي سنة ١٨٧٢ أبدل أدوات معمل المنيا بآلات جديدة وفي السنة التي بعدها أنشأ معامل بباومطاى وأبي قرقاص ثم معمل الضبعية ثم جدد معمل ارمنت في سنة ١٨٧٦ ومعمل الروضه في سنة ١٨٧٨ واستحضر أدوات هذه المعامل كلها من بيت كايل الشهير بفرانسا

أما معمل الضبعية الذي زاره الجناب الخديوى المعظم في هذه الايام فمؤلف من عصارتين جميع أدواتهما من نحاس ويحركهما آلة واحدة بقوة ١٢٠٠ حصان وقد بلغ ما عصر بهما من القصب في عام ١٨٩٠ - ٤٨٠٠٠٠ قنطار والسكر المستخرج فيه بجميع أنواعه ٤٨٠٠٠ قنطار ويبلغ عدد مستخدمى المعمل ٨٠٠ رجل كلهم من الوطنيين وكان البدء بالاعمال لسنة ١٨٩١ في ٨ يناير الحالى وتنقسم مدة العمل الى قسمين يستمر الاول منهما نحو ٥٥ يوما تدور فيها الآلات ليلا ونهارا لاستخراج السكر من النوع الاول ثم تتعطل أشغال المعمل نحو أربعين أو خمسين يوما الى ان يتم تبلور الزهر المعد لاصطناع السكر من الدرجة الثانية وحينئذ تبتدئ الاشغال ثانية هذا ويقوم المعمل باستخراج الغاز اللازم للتنوير بدون احتياج لجلبه من البلاد الاوربية

ولا يختلف معمل ارمنت في شئ عن سالفه وقد بلغ ما عصره من القصب في العام الماضى ٥٨٧٠٠٠ قنطار ومقدار ما استخرج فيه من السكر نحو ٦٠٠٠٠ قنطار وبدئ بالعمل للعام الحالى في ١ يناير ويستمر مسافة ٧٥ يوما وهو يستخدم ٩٠٠ عامل من الوطنيين أيضا ويبلغ معدل ما يستخرج من السكر في معامل الدائره السنيه نحو ١١ في المائة من مقدار القصب الذي يعصر والجميع مستبشرون بجودة المحصول في هذا العام

فلما عزم الجناب الخديوى المعظم على تشريف معمل الضبعية بادر كل من صاحب السعادة فريد باشا والموسيو جيلوسالك بتلقى جنابه العالى من اليخت ثم سارا بين يديه مسافة نحو عشرين مترا فركب جنابه الرفيع في قطار السكة الزراعية مؤلف من أربع عربات وكان الى جانبى حضرته العلية بالعربة الاولى سعادة السر بادران والموسيو جيلوسالك وصاحب

السعادة فريدباشا أما الثلاث الأخر فركب فيها رجال المعية السنية وبعد مسيرة ساعة من الزمن وصل الركاب العالى تجاه المعمل وكانت الساعة الثانية بعد الظهر وفى أثناء المسير كان العدد العديد من البدو يختالون على صهوات الجياد على جانبى القطار موالين الدعاء مواصلين التهليل والتكبير الى أن وقف بالضبعية فتلقى الجناب الرفيع حينئذ حضرة الموسيو مارشان المفتش وزار جنابه العالى جميع أماكن المعمل وشارف آلاته ووقف على نتائج الاعمال وأحوال العمال على ما تقدم ذكره ثم ركب القطار قاصدا معمل أرمنت وفى معيته السنية حضرة الموسيو مارشان أيضا فوصلها بالسلامة بعد مسير بضع دقائق وكان بجانب واحد من المحطة مستخدمو المعمل وموظفوه وبالجانب الثانى تلامذة المدرسة الاميرية مصطفين صفوفا فلما اشرف الركاب السعيد هتف الجمعان بصوت واحد (افندمز چوق يشا) ثم توالت الدعوات للذات الفخيمة الخديوية حفظها الله

وبعد ذلك مار جنابه الرفيع فى جميع الحجرات وشارف كيفية عصر القصب وصناعة السكر ثم شرف المعامل وهناك قدم له العملة سكرية بديعة الصنع متخذة من المعدن على شكل آلة لطبخ السكر جعلوها تذكارا لزيارة جنابه العالى ثم عاد الى اليخت ودعا لتناول الطعام على مائدة جنابه الكريم كلا من حضرات احمد فريدباشا والمسيو جياويسالك ومديرقنا وجونسون باشا وأبوالسعود بك وقاضى المحكمة الشرعية

وفى أوائل الساعة التاسعة أقبل على اليخت وفود المهنئين بسلامة الوصول من علماء أعلام وكبار الموظفين وسراة الاعيان وحظوا جميعا بالمثول بين يدى صاحب الامر فتفضل عليهم وقابلهم بما عهد فى خلقه العظيم من الوداعة والايناس وأذن لحضرات حسن باشا ذهنى مديرقنا وجونسون باشا والمسيو جياويسالك بالعودة الى مراكزهم لمباشرة ما هو موكول اليهم أما المدينة فقد كانت برا وبحرا تزدهى نورا وتتألق مسرة وحبورا

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة اليوم التالى (١٤ يناير) بارح الركاب العالى أرمنت الى ادفو فمر بعد قليل أمام معمل المطاعنة ثم واجه فى الساعة العاشرة مدينة اسنا فأطلقت اذ ذاك المدافع اجلالا للحضرة العلية وهتفت الخلائق بالدعوات الخيرية وامتلأت ضفتا النيل بمن لا يحصون عدا من مشايخ البلاد وأعيانها وعشائر الاعراب وكرامها يحفون من الجانبين باليخت الخديوى ممتطين متون السوابح يعلوهم الوقار

ويجاذبهم الاستبشار وداموا كذلك بين فرح ومرح يطلقون البنادق من وقت الى آخر حتى شرف ولى النعم مدينة ادفو فى كمال الساعة الثالثة بعد الظهر وهى على الجانب الايمن للنيل فى شمال مديرية الحدود وليست من الاهمية فى شئ ولولا اطلال هيكلها وبقايا آثارها لعفى رسمها وبقى اسمها مهملا وذكرها خاملا

ولما رسى اليخت هرع اليه جناب السردار وتشرف بمقابلة الجناب السامى ورفع اليه خالص التهانى على سلامة الوصول ثم تلاه الجنرال وودهاوس باشا وستل باشا فحضرات العلماء الاعلام فكبار الموظفين فالعمد والاعيان وبعد قليل ركب الجناب الرفيع عربته المخصوصة والى جانبه جناب السردار وقصد مشارفة الهيكل يحف به ألوف من الاعراب فرسانا وركبانا فتشرف فى نحو الساعة الخامسة

واما ما قام به الاهالى من مظاهر الاجلال وعلائم الولاء ومجالى الاكبار فليس لليراع فيه مجال ولا يقوى على حصر بعضه خيال بل ماذا يقول فى بيانه الكاتب الناثر وماعساه يبلغ من وصفه الاديب الشاعر وقد كانت الناس من جليل وحقير وصغير وكبير ورئيس ومرؤس يتنافسون فى ترديد الدعاء ويتفاخرون فى كيفية الثناء هذا يهلل وذاك يبتهل وذلك يصفق والآخر يهنئ صاحبه على هذه المنة السنية والعناية العلية ألا وهى تفقد الجناب الرفيع بذاته الشريفة أحوال البلاد وشؤون العباد

أما هيكل ادفو فحقيق بان يعتبر من أجل آثار مصر وأحسنها بناء وأجلها رواء وأكثرها بقاء وقد مكث حينا من الدهر محجوبا بعضه عن الابصار بسبب ما كان حوله من الاطلال حتى قيض الله الرجل الشهير ماريت باشا فأنقذه من تلك الطوارئ فى عهد ساكن الجنان المغفور له سعيد باشا وجعله قرة لأعين علماء الآثار ونزهة للبصائر والابصار وهو مشيد فى عصر البطالسة شبيه بهيكل دندره مزدان بكثير من النقوش الفائقة الحسن والصور العجيبة الشان لم تنلها يد الزمان ولم تصل اليها عوامل الحدثان

وبعد أن زاره الجناب الفخيم وشارف جميع محاله امتطى صهوة سابح كريم وقصد ثكنة رجال البوليس وحوله جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا والجنرال ستل باشا ثم عاد فى نحو الساعة السادسة الى اليخت لتناول طعام العشاء وتكرم فدعا أربعة وعشرين

مدعوا تشرف منهم بالجلوس على مائدة جنابه الكريم كل من حضرات السردار واحمد فريد باشا وقد أذن لجنابه الرفيع بمصاحبته الى اصوان ثم الجنرال وودهاوس باشا والجنرال ستل باشا وقاضى محكمة ادفو وعمدتها

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الخميس (١٥ يناير) عزم صاحب الأمر على التوجه الى اصوان فسار اليخت على بركة الله يطالعه الاقبال وتقدمه الكرامة والاجلال وكلما مر على قرية تهللت وجوه أهليها فرحا وارتفعت أصواتهم بالدعاء وصاحبه جماعات من الاعراب يتبخترون على صهوات الجياد كأنهم كانوا على ميعاد أوانهم عقدوا الخناصر على أن يكونوا أين سار أمير البلاد

وفى الساعة الرابعة أطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الجناب السامى الى اصوان فأخذ السرور مأخذه من نفوس الاهلين وتقاطروا من كل فج فرحين واجتمع الى الاسكلة العدد العديد من حضرات العلماء الاعلام وكبار الموظفين ملكيين وعسكريين وأعاظم الاعيان وطنيين وأجنبيين وعمد البلاد ومشايخها وتلامذة المدرسة الاميرية وكانت الأسكلة مزدانة من الجانبين بباقات الزهور تخفق فوقها الاعلام على شكل يشرح الصدور ويقر العين ويولى الحبور وكانت الطريق الواصلة بينها وبين المحطة تختال عجبا وتتمايل طربا ولعمر الحق ان ما صادفه الجناب الرفيع من حين مبارحته عاصمة الديار من شارات الاخلاص وصفاء الطويات وتعاقد النيات واجتماع القلوب على محبة جنابه السامى لا كبرمنه ما قابله به أهالى اصوان فلقد كان فوق كل بيان لا يدرك بتعريف ولا يفى فيه توصيف

ولما رسى اليخت خف اليه جناب السردار ومعه الجنرال وودهاوس باشا محافظ الحدود ثم عادا بعد قليل فى معية الجناب العالى فحين أشرقت أنوار حضرته العلية على الاسكلة علت الاصوات وتوالت الدعوات واستبشرت الوجوه وابتسمت الثغور وعزفت الموسيقى بنغمات السلام الخديوى وأدت العساكر ما يجب عليها من فرائض التكريم ورسوم التعظيم وكانت الفرقة الثالثة عشرة من المشاة المصرية واقفة بغاية الانتظام شاكية السلاح على رصيف المحطة فسار اليها الجناب الفخيم راجلا وجعل يتفقدها ويستطلع

أحوالها فسر بما رآه من كمال النظام وقيام الجنود بواجباتهم خير قيام وبعد ذلك عاد الى اليخت وهنالك وفدت جموع المهنئين بسلامة الوصول فأنالهم حفظه الله من جلائل التعطف وجميل الالتفات ما أطلق ألسنتهم بالدعاء وانصرفوا من لدنه شاكرين

ثم دعا الجناب الكريم الى تناول طعام العشاء أربعة وأربعين مدعوا من كبار الموظفين وسراة الاهلين جلسوا على سبع موائد وكان في صدر المائدة الاولى الجناب الخديوي المعظم وفي الثانية صاحب السعادة عبد الرحمن رشدي باشا وفي الثالثة سعادة يوسف شهدي باشا وفي الرابعة الدكتور سالم باشا وفي الخامسة الدكتور عيسى باشا وفي السادسة حسين فهمي باشا وفي السابعة عبد الله بك فوزي ومكثت الموسيقى الخديوية مدة تناول الطعام تترنم بالحانها الشجية وتصدح بنغماتها البهية

أما منظر المدينة وقد أرخى الليل سدوله فكانت الاضواء فيها ساطعة في كل واد مشرقة بكل مكان سواء في ذلك العظيم والوضيع والوسط والرفيع ونخص بالذكر منهم حضرة بشيريك وشركة كوك والتبعة اليونانية فقد أقامت على مقربة من رصيف المحطة قوسا يطاول الجوزاء علوا ويجاري السماك سموا

وفي منتصف الساعة الثامنة ركب الجناب العالي جوادا وقصد اجتلاء ما بالمدينة من الزينة وأمامه وحوله جماعة من الضابطان يسيرون على الاقدام ويتلوه جناب السردار يقفوه صاحب السعادة الجنرال يوسف شهدي باشا والجنرال وودهاوس باشا تتبعهم فرقة من الجنود وكان مسير الجناب الرفيع من الاسكلة فالرصيف فالطريق الموصلة للسوق فالضابطة العسكرية فمحطة الشلال وكانت تسطع بالانوار وهنالك وجد جنابه السامي حضرات لادي غرانفيل ومدام ونجوت بك فاستوقف جواده ومكث يجاذبهم الحديث برهة من الزمان ثم عاد الى اليخت فشرفه في أوائل الساعة التاسعة بين هتاف الاهلين الذين كانوا يتدفعون كالسيل المنهمر من كل جانب مخترقين صفوف الجنود للتمتع بمشاهدة محياه الكريم

أما يوم الجمعة ١٦ يناير اليوم المخصص للراحة فكان لدى الجناب الخديوي المعظم كغيره من الجمع السالفة يوم اهتمام واعتناء أمضاه في أداء ما افترضه على ذاته الكريمة من تفقد بلاد مواسته لاطلاع حال رعيته فركب في منتصف الساعة الثامنة صباحا زورقا بخاريا

وبمعيته السنية سعادة سرنشر بغانه ومربا ورانه والدكتور سالم باشا قاصدا شاطئ النيل الايسر لمشارفة الكهوف التي اكتشفها سعادة السردار غرنفل باشا في الجبل المحاذي لمدينة اصوان

وكان سعادة السردار وحواليه كثير من الضباط أركان حربه وسعادة الجنرال ودهاوس باشا يتلقون الجناب العالي حين ترجل من الزورق ثم ان جنابه السامي علا صهوة جواد كريم وسار صعدا في الجبل يحف به قواد الجيش ووجوه الاهلين وأعيانهم وكان الطريق شديد الانحدار كثير التعرج والانعطاف ينتهي الى جوف الجبل حيث تلك المغارات والكهوف التي للدولة الثانية عشرة المصرية

وكان سعادة السردار وما هو بالدخيل في علم العاديات المصرية يوضح للحضرة الخديوية حقيقة اكتشافه ورفع الغطاء عن رموزه واشاراته فتفضل الجناب الخديوي المعظم وهنأه على وفور حظه باكتشاف هذه الآثار الجليلة وحسن الطرق والخطوطات التي اتخذها منعا لتطرق أيدي الردى اليها

أما هذه الكهوف فاهمها وأعظمها مغارة منحوتة في الصخر ذات عمد متوازية طولا وعرضا يتكون عن كل أربعة منها مثل حجرة فسيحة فشارف الجناب العالي كل ذلك ثم صعد ودليله السردار على سلم يوصل الى غرفات أخر فوقها فشارف أيضا الاماكن التي كان يستعملها قدماء المصريين لوضع أجساد موتاهم حسب عوائدهم واعتقاداتهم الجاهلية

ولما كانت الساعة الثامنة وربع وقد قصد الجناب العالي العودة الى الزورق البخاري كنت ترى ذلك الجبل الذي لم يألف سوى الصمت منذ المئين والالوف من السنين وهو يكاد أن يرتج أو يميد لتهليل البدو وتكبيرهم وهتاف الرعية على اختلاف أجناسها بالدعوات الصالحات لامير القطر المعظم ومازال الامر كذلك حتى عبر الزورق الخديوي الشرع الايسر للنيل وهو الفاصل بين الجبل والمستشفى وحل الركاب العالي بأقصى جزيرة اصوان الى الشمال حيث المستشفى المذكور وهو عسكري وملكي معا ويؤلف من أربعة أجزاء مربعة البناء قائمة الزوايا وفي كل منها حجرات أرضية لاقامة المرضى يدخل اليها من طرقة أمامية مغطاة بالاشجار والنباتات النامية عليها وبأعالي حيطان الحجرات نوافذ لتجديد الهواء وترطيب المكان في زمن القيظ

فتلقى الجناب الخديوى المعظم به حضرة البكباشى هنتر الطبيب وزار الجناب العالى جميع حجرات المحل حسب عادته المألوفة وشجع حفظه الله المرضى والمصابين وتناول شيأ من أطعمتهم واطمأن على حسن معاملتهم وقد ظهر مما أجاب به حضرة الطبيب على أسئلة الجناب الخديوى المعظم ان أكثر الامراض شيوعا بمديرية الحدود هو الرمد حتى أوجبت كثرة المصابين به من الجند انشاء حجرة مظلمة مخصوصة لعلاجهم

وقبل أن يبارح الجناب العالى هذا المستشفى أمر أعزه الله بدفتر الزائرين فكتب به اسمه الكريم ثم وقع بعده كل من حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى والدكتور سالم باشا وغيرهم من رجال المعية السنية وفى الساعة التاسعة ركب مولانا الخديوى زورقا بخاريا طاف به حول الجزيرة مرة واحدة ثم صعد منه الى اليخت فمكث به الى قرب أوان الصلاة وحينئذ ركب حفظه الله العربة الخديوية ومعيته السنية سعادة ميرياورانه قاصدا مسجد المدينة الجامع فأدى به الصلاة وقرت به أعين المسلمين وقد خطب بالناس حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد البسيونى امام الحضرة الفخيمة الخديوية وبعد الفراغ من الصلاة أمر الجناب العالى بخلعة سنية لامام الجامع وأمر أيده الله بتوزيع الصدقات واجراء المبرات واقامة الاذكار وتلاوة آى القرآن الشريف فى تلك الليلة المجيدة وأحسن براتب شهرين أيضا على جميع خدمة الجامع كل ذلك على نفقته الخاصة لازال الجناب الخديوى مورد البركات ومصدر الخيرات آمين

وفى نحو منتصف الساعة الاولى بعد الظهر عاد الجناب الرفيع الى اليخت بين هتاف وتهليل لم يسبق له مثيل ثم ركب فى الساعة الرابعة والى جانبه صاحب السعادة يوسف باشا شهدى لزيارة المدرسة الاميرية وثكنة الاورطة الثالثة عشرة السودانية وكانت نساء العسكر وقت تشريف الجناب العالى لمقام أزواجهن من الجند مصطفات على جانبى الثكنة يستقبلن أمير البلاد بتلك النغمات العربية الوطنية الشجية ثم بادر بتلقى جنابه الرفيع حضرة القائمقام كتشنر بك قائد الاورطة وسار بين يدى جنابه الرفيع الى جميع حجرات الثكنة وأماكنها

ويشتمل الجيش المصرى على خمس أورط سودانية وهى التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة فالثنتان الاوليان تقومان بحماية الحدود فى حلفا والثنتان الاخريان هما حامية سواكن لهذا العهد أما الثالثة عشرة فهى الموجوده باصوان ولا تختلف فى نظامها عن الاربع الاول الا قليلا ولذلك لا بأس من ذكر شئ عن حالة هذه الاورطة على سبيل الاسترسال والاستطراد

يبلغ مجموع رجالها ٧٥٠ جنديا وكلهم متسلحون بالبنادق من صنف مارتينى وينقسمون الى ستة بلكات كل منها ١٢٠ رجلا ثم يضاف الى ذلك عدد جوق الموسيقى ويؤلف فى الغالب من نحو ثلاثين رجلا وكان الترتيب الاصلى أن لا تشتمل الاورطة على أكثر من أربعة بلكات غير أنه قد ظهر بالاختبار خصوصا فى واقعة توسكى أن كثرة تجزئ الجند مما يساعد على حسن القيادة فقسمت الاورطة من ذلك العهد الى ستة بلكات ويأكل الجند دفعتين فى اليوم وطعامهم الخبز والارز والفول والعدس أما اللحم فيأكلونه ثلاث دفعات فى الاسبوع ويبلغ راتب الرجل النقدى فى اليوم ٢٥ مليما واذا كان متزوجا ٣٥ مليما ولا يمكن أن يتجاوز عدد المتزوجين فى الاورطة الثالثة عشرة هذه ١٥٨ رجلا حسب نص قوانينها العسكرية

هذا وقد استقبل رجال الاورطة الجناب الخديوى المعظم بعبارة (افندمز چوق يشا) مكررة ثلاثا وبعد أن تفقد جنابه العالى حالة نظامهم وسر مما رأى من حسن هيئتهم واحكام وقفتهم أخذ فى تفقد أماكن اقامتهم ومخازن المؤن والذخائر والمطابخ حتى ذاق أعزه الله طعام الجند وتيقن بذاته الكريمة من انتظام معيشتهم وتحسين حالتهم

وبعد ذلك شرف الجناب الخديوى المعظم المدرسة الاميرية الكائنة داخل اسوار الثكنة وبها أولاد العسكر وبعض الجند فتنازل جنابه الرفيع بتوجيه أسئلته للتلامذة وفاض سيل احساناته فعم ناظر المدرسة والتلامذة بما أحيى القلوب وأنعش الافئدة ثم تلا هذا تشريفه الاماكن المخصصة لسكنى عساكر منع الرقيق ومن ثم قصد الجناب العالى بمحطة (نيض ظفر) يتبعه سعادة السردار والسرياوران والجنرال الان ودهاوس باشا وسينل باشا وعدد كبير من أركان حربهم وذلك بعد أن شارف الاستحكامات الحربية

التى أنشئت فى جنوبى المدينة وكان أيضا حضرات البرنسيسات الكريمات قد ركبن فى نحو منتصف الساعة الخامسة للتنزه فى أرباض المدينة وأطرافها فعدن أيضا باليمن والاقبال الى اليخت وعند الساعة السابعة من المساء مدت المائدة الخديوية وتشرف بالدعوة اليها اثنان وأربعون ذاتا جلس منهم الى جانبى الجناب العالى سعادة السردار والجنرال وودهاوس باشا وسيتل باشا وحضرة قاضى اصوان وعلى بك نور الدين ومصطفى بك وبشير بك وغيرهم أما الالعاب التى قام بها البدو وكان يشارفها الجناب العالى من على ظهر اليخت فى تلك الليلة فما لم يسبق له مثيل وذلك أن الشاطئ برمته قد اكتسى بعدد لا يحصى من الرجال والاولاد والنساء من كل صنف ونوع وكلهم يرقصون و يغنون و يهتفون و يدعون باغرب ما روى من الحركات والموسيقى الخديوية ترسل بين ذلك نغماتها الشجية يقابلها امامهم نقرات الباز وآلات الطرب التى بايديهم ممتزجة باصوات الزغاريط من النسوة والبنات كل ذلك اظهارا لما خالج أفئدة الرعية من الفرح والسرور والانشراح والحبور بقدوم أميرهم المعظم وولى نعمتهم الافخم أدامه الله ظلا ظليلا على العباد وشمسا بازغة فى أفق هذه البلاد

وقد كان اليوم التالى يوم مسرة وانشراح وفرح وارتياح تواترت فيه البشرى بعزم صاحب الامر على استعراض جنوده واستطلاع أحوال جيشه فامتلأت رحاب المدينة بمن لا يحصون عدا من الخلائق وهرعت الاهلون من كل جانب يقبلون رجالا وعلى كل ضامر يأتون من كل فج عميق حتى اذا كان منتصف الساعة الثامنة بارح ولى النعم اليخت الخديوى متقمصا بكسوة المشيرية الفخيمة يحلى صدره بنشان الامتياز العلى الشان ممتطيا صهوة جواده يحف به رجال معيته العسكرية متحلين بالملابس الرسمية فحين أشرقت أنوار طلعته البهية خف للقائه جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا والجنرال ستل باشا وانتظموا فى سلك حاشية جنابه الفخيم وسار فى موكب يأخذ وقاره بجامع القلوب بين تقاطر الاقوام وكثرة الزحام والتفاف الاقدام بالاقدام حتى شرف ساحة المناورات فى كمال الساعة الثامنة فاستقبله القائم مقام كونيدنام بك ووقف جنابه الرفيع على مقربة من سارية رفيعة العماد يخفق فى قمتها العلم المصرى وكانت اذ ذاك الجنود مصطفة على

شكل الاهبة للنزال مؤلفة من الفرقة الثالثة عشرة من المشاة المصرية وفرقة من عساكر منع الرقيق ممتطين متون الهجن وكوكبة من المدفعجية وثلة من عساكر المصلحة الطبية العسكرية فلما صدرت الاشارة بالاستعراض أخذ المشاة والهجانة تسير الهوينا ثم الايفاض ثم الهرولة ثم العدو على ألحان الموسيقى ثم عادت الى نظامها الاول فأجرت كثيرا من المناورات ثم اقتربت من الجناب الرفيع فأدت ما يليق لمقامه السامى من الرسوم العسكريه وهتفت بالدعوات الخيرية وترنمت الموسيقى بالنشيد الخديوى

وبعد ذلك وقف جناب السردار وأركان حربه أمام الصفوف متجهين نحو الجناب العالى ومثل بين يدى حضرته العلية ضباط الفرقة الثالثة عشرة يتقدمهم قائدهم فأقبل عليهم ولى النعم وقد أخذت السكينة مأخذها من النفوس وخاطبهم بالخطاب الآتى

أيها الضباط

انى أبتدئكم بالسلام وأهنؤكم أنتم وعساكرى على حسن غيرتكم وحميتكم وبسالتكم التى أظهرتموها فى الوقائع العديدة كما علمت ذلك بناء على ما عرضه علينا سردارنا الجنرال غرانفيل باشا الذى قام بوظيفته المهمة أحسن قيام واهتم بشؤونها أعظم اهتمام ولله دره فانه لم يكتف فى ذلك باعطاء الاوامر والتعليمات بل طالما اشترك معكم بذاته فى خدمة وطننا هو والجنرال وودهاوس باشا ومن استصحبهم من الضابطان الذين استحقوا الثناء منا على جميل سعيهم وجليل اجتهادهم حتى جئتم جميعا بالنتائج الحسنة التى أوجبت الشكر منا لله عليها فأبدى لكم امتنانى على خدماتكم الصادقة المبرورة والله المسؤل أن يديم عليكم نعمة الثبات على ما أنتم عليه من المزايا المشكورة التى تكفل لكم السعادة فى الدنيا والآخرة والله ولى التوفيق

فأجابه جناب السردار بهذا الخطاب

﴿ مولاى ﴾

انى بالنيابة عن ضباط وصف ضباط وعساكر جيشكم المظفر أرفع لمقامكم السامى جزيل الشكر على ما تفضلتم به من خطابكم الكريم وانى بالنيابة عن الجيش بأجمعه وعن علماء ومشايخ وعمد وأهالى مديرية الحدود أتشرف بأن أقدم لسدتكم العلية

خالص التهانى على سلامة الوصول ووافر الثناء على هـذا التشريف الميمون فان تكرم جنابكم الفخيم بتفقد أمور هذا الاقليم سيكون أكبر باعث على تحسين واتساع نطاق هذه الاصلاحات التى قام بها الجنرال وودهاوس باشا

على أنى لا أرى داعيا الآن أبرهن لجنابكم الرفيع على ماهى عليه تلك الفرقة التى استعرضتموها قبل الآن من صدق الولاء وظاهر العبودية وكمال الطاعة فان ما أظهرته من البسالة والاقدام فى واقعة توسكى الاخيرة لاكبر دليل وأعدل شاهد على ذلك فانها كانت تقتحم مواقع الاعداء وتخترق صفوفهم بلا خوف ولا وجل حتى انها فقدت من أبطالها أكثر من سواها

وانى قبل أن أختتم مقالى أتشرف مرة أخرى فاقدم لجنابكم العالى الشكر الجزيل على خطابكم الجليل اه

وان ما أسداه الجناب الرفيع لحضرات الضابطان من الشكران وما أبداه من الامتنان ليس الا لسان حال الكافة واظهار ما يختلج فى صدور القوم فما من أحد ظفر بشهود استعراض الفرقة الثالثة عشرة السودانيه الا وقد أعجب بهذا النظام الباهر والاحكام العجيب ولا يتوقف ذلك على من له معرفة أو المام بالفنون العسكرية فان الشمس فى رابعة النهار لا تحتاج الى دليل

وقد خلق الله السودانى قوى البنية عظيم المراس وأودع فيه غريزة الميل الى حمل السلاح فاذا اقترن هذا الميل بتعليم وتدريب ظهرت بركته عليه وكان مع ذلك جنديا شديد الامتثال شغفا باقتحام الاهوال أما هذا البأس فقد أبدته الفرقة الثالثة عشرة فى ميدان الوغى أيام واقعة توسكى وأما الامتثال فقد انجلت حقيقته فى هذا الاستعراض الذى شاهده الجناب الفخيم

ولما تم الاستعراض سار الجناب الخديوى المعظم فى موكب حافل من القواد وأمراء العسكرية قاصدا مشارفة طوابى ويندميل وهارون بقمة الجبل المشرف على مدينة اصوان من الجهة الشرقية وكان الطريق وعرا منشورا بالاحجار وقطع الصخور ثم تلا هذه الزيارة زيارة ديوان المحافظة ومنزل ضابطان البوليس العسكرى وقد تشرف باستقبال الجناب

العالى بحضرة الاميرالاى محمد بك ماهر ثم زيارة نزل اصوان العسكرى وقام بأداء رسوم الاستقبال بها حضرة القائمقام دريج وفى ختام الساعة العاشرة آب الجناب العالى عائدا الى البخت الخديوى ووراءه ما لا يعد من الجموع والوفود وكلهم لسان واحد فى الدعاء للجناب الرفيع والتهليل والتكبير لرؤيته السعيدة وبعد برهة من ذلك ركبت دولتلو عصمتلو الحرم الخديوى المصون الى محطة السكة الحديديه ومن ثمت فى قطار مخصوص الى الشلال وقد قام بأداء فروض السلام العسكرى لدولتها فرقة من عساكر الاورطة الثالثة عشرة وتشرف بقيادة القطار حضرة المستر بك مدير السكك الحديديه والبواخر النيلية بمديرية الحدود ومعه حضرة القائمقام شابين بك وكان على كل بضع خطوات من الطريق نفر من عساكر الهجانة يقوم بأداء واجبات الاجلال اذا مر بهم القطار وكذلك فى منتهى الخط كان عدد كبير من عساكر الاورطة السودانيه ومعهم العلم وبوصول القطار الى المحطة قصدت صاحبة الدولة والعصمة بخنها المخصوص

أما الجناب الخديوى المعظم فكان يشارف حينئذ من ظهر البخت الالعاب التى كان يقوم بها عربان العبابدة على الشاطئ اجلالا لمقدمه السعيد فلما كان وقت الظهر تشرف بالجلوس على مائدة الجناب العالى كل من صاحبى السعادة غرنفيل باشا السردار وودهاوس باشا وحضرة الاميرالاى محمد بك ماهر والقائمقامين شابين بك وكتنجهام بك وويفجت بك وفى منتصف الساعة الثالثة ركب الجناب الخديوى وبمعيته سعادة السردار الى محطة الشلال الكائنة على مقربة من المرفأ المعد لبواخر المستر كوك النيلية وقد اصطف على جانبى الطريق بلكن من الاورطة الثالثة عشرة السودانية لاداء رسوم السلام أثناء مرور جنابه المعظم ثم دوت فى الجو طلقات المدافع من طوابى اصوان مؤذنة بمبارحة جنابه الرفيع لها وكانت الجنود الهجانة مصطفة أيضا على جانبى القطار كما كانت وقت قيام صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون وركب بمعية الجناب العالى حضرات أصحاب السعادة غرنفيل باشا وودهاوس باشا ومتل باشا وجناب المستر جون كوك

ولما تحرك القطار الخديوى وأطل الجناب العالى من نافذة العربة متفضلا باشارة السلام قابلته الجموع بما يعجز اليراع عن وصفه من هتاف ودعاء وتهليل وتكبير وقد توالت طلقات البنادق من البدو وزغاريط الفرح من النساء الى آخر نقطة من خط السكة الحديديه

هذا ولم تكن علائم الانس واشائر الحبور بقدوم الجناب العالى فى الجزء الشمالى من اصوان باقل منها فى جنوبها فقد كان على اسوار دار الجند بها ما تعريبه
ان الحضرة الفخيمة الخديوية بعد أن عاينت ما هى عليه الاورطة الثالثة عشرة من حسن الولاء وكمال النظام قد تفضلت فأصدرت أوامرها العلية بقصر عدد من الجزر وتوزيع لحومها على الجند اظهارا لمزيد انشراحها ووافر سرورها من ضباط هذه الاورطة وصف ضباطها وعساكرها فأدم اللهم الجناب الخديوى المعظم ممتعا بالآل والانجال الكرام ورجال حكومته الفخام
ويبلغ طول الخط الحديدى الموصل بين اصوان والشلال بل بين اصوان وجزيرة أنس الوجود من احد عشر كيلومترا الى اثنى عشر كيلومترا وهو يخترق كثيرا من الصخور والهضاب فى طريقه وكان انشاؤه من منذ بضع سنوات لنقل السياح والبضائع من اصوان الى ما وراء الشلال وبالعكس وذلك بسبب تعذر الملاحة بالشلال فى غير زمن الفيضان وينتهى الخط المذكور بعد مجاوزة تلال الشلال الى قرية تسمى باسمه موقعها تجاه أنس الوجود
وكان وصول القطار المقل للجناب العالى نحو الساعة الثالثة وقام بتأدية الرسوم العسكرية لحضرته العلية بلوك الاورطة السودانية الذى احتفل قبيل ذلك باستقبال صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون
وقد عنى منذ زمن الفيضان باعداد اليخت الخديوى (فيروز) لركوب الجناب العالى اثناء السياحة فيما فوق الشلال فبقى من ذلك العهد بمرفأ أنس الوجود وقد ضم اليه الآن ثنتان من بواخر البريد وهما انصور وعكاشة لركوب رجال المعية السنيه
هذا ولا فائدة فى التنويه بوصف شلالات النيل تحت أنس الوجود وذكر تلك الجزيرة ذات الطل والشجر والهامن حسن الموقع وبهاء المنظر وما حوت من آثار البطالسة الاماجد مما هو أجل من أن يوصف وأشهر من أن يعرف زارها الجناب العالى ورجال معيته السنيه وزارتها صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون وحاشيتها وكان جناب الموسيو جريبو دليلا لحضراتهم يوضح تفاصيل تاريخها وينبئ بسالف مجدها وغابر عظمتها

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الاحد ١٨ يناير بارح جزيرة أنس الوجود اليخت الخديوى (فيروز) يتبعه الباخرتان تحوور وعكاشه قاصدة الكلابشة فوصلت اليها فى أوائل الساعة الثالثة بعد الظهر وألقيت بها المراسى

هذا ووادى النيل من ادنو الى اصوان هو أشبه شئ به من اصوان الى الكلابشة فكلاهما عبارة عن سور مزدوج من الصوان والصخر الاسود يكتنف جانبى النهر عن قرب ويندر أن ينفرج الجبلان عنه مسافة معتبرة واغا يرى الناظر بعيدات بين حواشى من الارض بها شئ من الخضرة ومثل الباقات من أشجار الدوم والنخل تظلل اكواخا من الطين ودونها الصحراء جرداء مرداء تضل الناظر وترد الطرف وهو كليل وفى بعض الاحيان يشاهد على الضفة اليسرى أطلال وآثار هيا كل لمن سبقوا من البطالسة والرومان ولكنها قليلة نادرة فمن ذلك بربا الكلابشة وتعد من الآثار المهمة عند علماء العاديات المصرية

وموقع قرية الكلابشة هذه على خط دائرة الانقلاب تماما ولا تشتمل الآن الا على نحو خمسين كوخا صغيرا من الطين غير انها كانت فيما سلف من المدن المعتبرة على ما يظهر من كبر هيكلها وضخامة بنائه وهو أعظم آثار البلاد النوبية لهذا العهد ما عدا هيكل (أبو سنبل)

وعلى مقربة من هذه القرية ينطبق الجبلان على حافتى النيل بحيث لا يبقى بينهما وبينه شئ من اليابسة وتتشعب منهما الصخور فى مسيل النهر فتعترض مجراه ويحدث عن ذلك الشلال الذى ينسب اليها وقد يكون منظره فى بعض الاحيان أشد تأثيرا على النفس من شلال اصوان

وكان وصول اليخت الخديوى الى هذا المكان فى أوائل الساعة الثالثة بعد الظهر فألقى مرساه عرفا صناعى حفر فى الساحل تجاه الهيكل وعليه قوس نصر من أغصان النخل وبعض الأعلام والرايات ولسان الحال يعتذر عن ضيق ذات اليد ويترجم عن حسن نية السكان وتهافتهم على اظهار ما شملهم من السعادة والحبور بقدوم الجناب المعظم حتى ظهرت عواطف الحنو على الجناب العالى لما رأى من بساطة أحوال القوم وما أبدوه من شعائر الاحترام والولاء لذاته العلية وقد خرج للقيا جنابه الرفيع كل سكان القرية ونحو ثلثيهم من النساء مهللين ومكبرين يطلقون البنادق ويهتفون بالدعاء الصالح

أماقلة عدد الرجال فليست قاصرة على هذه القرية بل أعم جميع اقليم النوبة وسببها انه متى بلغ الصبي منهم سن الرجولية هاجر الى القاهرة أو الاسكندرية فلا يعود الى وطنه حتى يكون قد جمع من المال ما يمكنه من امتلاك أرض يقوم ريعها بمعاشه فيها وهو لا يتخلف طول مدة غيابه عن ارسال ما يلزم لنفقة آله فى مواقيت محددة اذ لو تخلف لانسدت فى وجوههم أبواب المعاش وانقطعت بهم أسبابه لقلة الدرهم

هذا وكانت الباخرة المقلة لسعادة السردار والجنرال وودهاوس باشا قد سبقت اليخت الخديوى والباخرتين الاخريين الى الكلابشة وبذلك أمكن لسعادته أن ينتظر قدوم الجناب العالى اليها فلما رسى اليخت كانت عساكر الاورطه الثالثة عشرة مصطفين على جانبى طارقة المرفا اجلالا للجناب العالى ثم بادر سعادة السردار والجنرالان وودهاوس باشا وستيل باشا وحضرة شاهين بك ودريجيك ومكسويل بك بالوقوف بين يدى جنابه الرفيع باليخت وكذلك قرينة حضرة السردار بيخت صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون

وفى منتصف الساعة الخامسة قصد الجناب العالى مشارفة البربا وكان فى معيته السنية حضرة السردار ومن ذكر من الجنرالية والضباط فتلقى جنابه الكريم هنالك حضرة الموسيو جريبو مدير الآثار المصرية القديمة وبعد ذلك بنصف ساعة تشرف أيضا بزيارة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون وبمعيتها قرينة حضرة السردار والحاشية ثم توجه الجناب العالى أيضا ودليله الموسيو جريبو لمشارفة أثر آخر يعرف بيت الوالى منحوت فى قمة الجبل ويصعد اليه بدرج منحوت فى الحجر أنشئ لاجل سياحة الجناب الخديوى

وكان بناء معبد الكلابشة فى عهد الدولة الرومانية بدئ فيه بأمر أوغسطس قيصر واستمرت عمارته فى عهد خلفائه ولم يزل بعض أجزائه غير تام البناء الى الآن وقد علم من الكتابات الهيروغليفيه المنقوشة عليه انه أنشئ فى محل هيكل قديم ينتهى تاريخه الى طوطمس الثالث أحد ملوك العائلة الثامنة عشرة المصرية ويلوح من الخارج انه بناء مربع الشكل ضخم الهيئة مستوى السطوح خال من الزخارف والزينات وقد بقى الى أحد جوانبه

بعض الاكواخ والدور وتهدّم أحد أبراجه من الاعلى غير أن أسفله باقٍ على ما كان من المتانة والصيانة

وفي الساحة التي تلي الابراج قد بلغ علو الردم وأكوام الحجارة مايقرب من ارتفاع الابواب والظاهر أن تلك هي بقايا الحنايا التي قوضتها زلزلة حدثت في غابر الزمان أو هدمتها أيدي التعصب والعدوان في زمن الامبراطور تيودوسيوس ومما يؤيد هذا الظن الاخير وجود أحد الاعمدة قائما في مكانه الى الآن

أما منظر الهيكل من الداخل فني غاية الحسن والجمال لم يذهب الزمن شيأ من طلاوة أصباغه ودقة نقشه وانه لم يكن بناؤه في زمن نهضة العلم المصرى وزهزهة التمدن بوادى النيل

وكانت باخرتنا حضرة السردار وودهاوس باشا من يتين بالانوار والاضواء الى مابعد منتصف الليل وأمضى الجناب الخديوى المعظم هذه الليلة على ظهر اليخت اذ كانت الحرارة شديدة طول النهار الى مابعد الغروب

وفي الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاثنين ١٩ يناير بارح اليخت الخديوى والبواخر التي في معيته بحر الكلابشة قاصدة المسير الى جهة الجنوب وهنا كانت آثار القدماء وبواقى التمدن المصرى القديم تصادف العين من خطوة الى أخرى فأول ذلك معبد بندور الكائن على بضع خطوات من الشاطئ ثم على مسافة قريبة منه هيكل جرف حسين وكان بناؤه في عهد الملك رعمسيس الثانى ثم آثار ابطالسه ثم أطلال خف رويته وبعد ذلك لايرى الناظر سوى حواش صغيرة من الخضرة يليها الجبلان أجردين قاحلين ويستمر ذلك المنظر الى القرية المعروفة بالسيالة وهى التي رسى عليها اليخت الخديوى في نحو منتصف الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم وكان فرسان البدو كالجراد المنتشر على ساحل النيل يهللون فرحين مستبشرين بحلول الركاب العالى تجاه قريتهم الصغيرة ثم أمر الجناب العالى باقامة الاذكار وتلاوة القرآن فقام بذلك نحو مائتى شخص أسبغ عليهم الجناب الخديوى المعظم وافر انعاماته وأجرى عليهم سيول مبراته

وفى المساء تشرف بالجلوس على مائدة الجناب المعظم كل من أصحاب السعادة غرنفل باشا وستل باشا وودهاوس باشا والشيخ بكر محمد على رئيس قبيلة العبابده والشناتير والشيخ أبو القاسم والشيخ كرار حدانى عمدة السيالة والمضيف

وفى الساعة السابعة من صبيحة يوم الثلاثاء (٢٠ يناير) وجه صاحب الامر الرحلة الى كروسكو فسار اليخت الخديوى سيرا حثيثا يقدمه وابوران بهما جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا ويتلوه على مقربة منه وابوران آخران فوافى فى أوائل الساعة الحادية عشرة قرية السباعية وهى على الجانب الايمن للنيل واليها تنتهى أول منطقة من بلاد النوبة وبها هيكل قد عفت آثاره واندرست أعلامه ولم يجاوزها اليخت حتى تجلت تلك الوديان فى منظر يخالف ما ألفته الباصرة قبل من امتداد بساط المزارع وخصوبة المرعى وهذا وان كان لمن أكبر المؤثرات على مستوطنى تلك النواحى من حيث الامور المعاشية ومن أعظم الموانع لهم عن التظاهر بمظاهر الفرح الظاهرية الا انه لم يك ليقصر همتهم عن ابداء ما انطوت عليه ضمائرهم من شعائر الاخلاص وما أكنته قلوبهم من المحبة الصادقة لامير البلاد فانه لم يلو الركاب العالى على بقعة من البقاع ولم يعطف على جهة من الجهات الا كان محل اكرام واجلال وداعية سرور وابتهال

وفى منتصف الساعة الثالثة أطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الجناب الرفيع الى كروسكو فتهللت الوجوه وابتسمت الثغور وتقاطرت الجموع الى الاسكلة وقد كانت مثال البهجة وعنوان الزخرفه يكتنفها من الجانبين باقات الرياحين تعلوها الاعلام على شكل عجيب وطراز غريب وفى منتهاها اقواس متناهى السمو متصل بطريق موصل الى ساحة المناورات محفوف بيانع الاغصان وندى الافنان تتدلى منها الازهار وتتواصل بينها الرايات

وفى أوائل الساعة الرابعة قدم الى اليخت جناب السردار متحليا بالملابس الرسمية وقدم للجناب العالى رسوم التهانى على سلامة الوصول ثم تلاه الجنرال وودهاوس باشا فالجنرال ستل باشا فالقائمقام على بك حيدر قومندان الفرقة الخامسة فضابطان تلك الفرقة فالعلماء الاعلام فرؤساء القبائل فمشايخ البلاد وسراة الاعيان

وبعد قليل ركب الجناب الفخيم متن سابح كريم وسار قاصدا ساحة المناورات متشحا بكسوة المشيرية الفخيمة محلى صدره بنشان الامتياز العلى الشان وحوله رجال معيته العسكرية

تتلامع في صدورهم وسامات الشرف فلما لاح موكبه الجليل ابتدر لقياه جناب السردار ووقف جنابه الرفيع أمام سرادق أقيم اكراما لمقامه السامي يتلوه من الجهة اليمنى جناب السردار والجنرال ستل باشا ومن الجهة اليسرى الجنرال وودهاوس باشا والجنرال يوسف شهدي باشا وكانت الجنود مصطفة على هيئة الاستعداد للكفاح مؤلفة من كوكبة من فرقة المشاة الخامسة وشرذمة من الاعراب ممتطين صهوات الهجن وكوكبة من المدفعجية حافظين للجناح الايمن فلما تم الاستعراض انتظمت الجنود على شكل ثلاثة اضلاع المربع وهنالك تفضل ولي النعم فاستدعى الى حضرته العلية جماعة الضابطان وألقى عليهم خطابا جليلا ضمنه عبارات الشكر والامتنان على ما عاينه من النظام والاتقان فاجابه جناب السردار بالنيابة عن الجيش ولم يتم مقاله حتى علت الاصوات بالدعوات وعزفت الموسيقى بديع النغمات

وبعد ذلك توجه جنابها الفخيم في مثل ما جاء فيه من الاحتفال يصحبه جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا فزار أماكن الجنود وتفقد ثكنة البوليس وتجول بسوق المدينة ثم عاد الى اليخت في مبتدا الساعة السادسة واذ ذاك مدت موائد الكرم ودعى لتناول طعام العشاء خمسون مدعوا من كبار الموظفين وأكارم الاهلين تشرف بالجلوس منهم على مائدة الجناب الخديوي المعظم كل من حضرات السردار والجنرال وودهاوس باشا والجنرال ستل باشا والقائمقام على بك حيدر وقاضي المحكمة الشرعية والشيخ صالح بك خليفه

أما قرية كروسكو فهي على الجانب الايمن للنيل بينها وبين اصوان مسيرة ١٨٠ كيلومترا ولا يكاد يراها المقبل عليها لاستتارها خلال خمائل الاشجار واختفائها وراء باسق النخيل المحيط بها من جميع جهاتها الماطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر وليس فيها ما يحمل ذكره غير موقعها الحصين وهو مشرف على طريق القوافل مطل على السبيل الذاهبة بين فجاج الصخور وأيما ولى الناظر وجهه فلا يرى سوى بعض اكواخ متفرقة في ذلك الوادي الواصل بين الجبل والنهر أما سوقها فهو وان كان حافلا بحاجات الاهلين يجدون فيه ما يشتهون الا انه أشبه شيء بعذا خوا لحبوب

ولما نصب الليل شراعه وأقام لواءه تدفقت على الشاطئ سيول الانوار ولا تدفق الانهار واختالت القرية فى ثوب من البهجة والزهو يجل عن النظير و يعلو على المثيل وانتظمت جنود الفرقة الخامسة يحمل البعض رماحا تعلوها الشموع والبعض بأيديهم المصابيح تتلوها ألوف من الجموع وساروا فى موكب جليل يؤمون مرسى اليخت الخديوى تقدمهم الموسيقى العسكرية تعزف بالالحان الشجية حتى اذا وافوه أخذوا يتلون آيات الدعاء ويرددون عبارات الثناء وكلما أتوا شطرا أخذته الموسيقى فتكرره على الحضور فيهيمون سرورا ويهللون حبورا

ولقد تعود الجناب الرفيع أدامه الله أن لا تنقضى ساعة ولا تمر لحظة الا و يكون له فيها آثار تشهد بجليل عنايته وعظيم اهتمامه بما يعود بالبلاد و ينهض بالعباد الى كمال الرفاهية وزيادة العمارية فانه وفقه الله لما يرضاه تبرع بخمسين جنيها مصريا لتضاف الى ما جمعه الجنرال وودهاوس باشا بشأن تشييد مسجد بكروسكو وتفضل على خدمة الزاويتين الموجودتين بها فأفاض عليهم العطاء وطوقهم المنن وأمر باقامة الاذكار وتلاوة آى القرآن المجيد واتصل بعلمه الشريف أن حضرة السيد افندى نصر البكباشى بالفرقة الخامسة ألم به انحراف اثر الاستعراض فتكرم عليه وتابع اليه رجال معيته السنية المرة بعد المرة يستفسر عن حالته ويستعلم عن صحته شأنه حفظه الله فى كل حال وفطرته التى فطره الله عليها

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الاربعاء (٢١ يناير) أطلقت المدافع ايذانا ببارحة صاحب البلاد فهرعت الخلائق من كل جانب يؤدون واجب الوداع وترنمت الموسيقى بالنشيد الخديوى وسار اليخت تحدوه السلامة وتطالعه الكرامة قاصدا الرحلة الى توسكى فمر فى طريقه اليها على اطلال هيكل الدير وقرية جماده وهى على الجانب الايسر للنيل وقد كانت منذ خمسة آلاف سنة آخر حدود الاقطار المصرية أيام حكم العائلة الثانية عشرة

وفى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر شرف الركاب العالى قرية توسكى وهو كفر صغير ليس من الاهمية فى شئ ولولا الواقعة التى وسمت باسمه ورفعت من قدره لبقى مدى الدهر مهملا فى زوايا النسيان لا تقوم له قائمة ولا يذكر بلسان أما عدد ساكنيه فهم قليلون جدا

يعدون على الانامل ويأوون الى خصاص يتخذونها من الشجر والطين وبهم خصاصة وفقر مدقع لعدم توفر أسباب المعاش لديهم فان الجزء الصالح للزراعة لا يكاد يتجاوز زمائة متر وما عدا ذلك فأرض قاحلة مرملة

ولما رمى البخت بادر جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا وابتدرا لقاء الجناب العالى وبعد قليل امتطى جنابه الفخيم متن سابح كريم يحف به رجال معيته العسكرية وفرقة من الهجانة وسار بين أسوار من الخلائق وحصون من النفوس وفدوا من البلاد المجاورة قاصدا ميدان الواقعة وهو على مسيرة ست كيلومترات من القرية فى جنوبها الغربى وبينهما صحراء كثيرة الرمال وعرة المسالك كانت معسكر الجيش المصرى فلما بلغه الجناب الرفيع ركض بجواده فى جميع أرباضه ثم ترجل وتسنم الاكمة المرفوع عليها التمثال الذى أقيم ذكرى لتلك الواقعة وهنالك أخذ جناب السردار يشرح لحضرته العلية كيف كان تنازل الجمعين واقتتال الفريقين فقال ما معناه

وفدت الطلائع تنبئ بان فئة غير قليلة من الدراويش تحث المسير فى الجهة الغربية تريد بيام نخفا اذ ذاك السردار ونهض يبغى تحقيق الخبر يصحبه الفوارس المصرية والفرسان الانكليزية وأخذ يجوب الوديان ويقطع السهول ويجتاز الفدافد فلم يعثر على شئ وبينما هو يريد التحول الى وجهة أخرى لمح الدراويش بين فجاج جبلين يتأهبون للتقدم فلما وقع نظرهم عليه زحفوا على الفوارس المصرية وأطلقوا عليهم العيارات النارية فلم ير السردار بدا لتلقاء هذه الكثرة البالغة من أن يعود القهقرى فالتجأ فى بداية الامر الى ربوة ليتقى نيران العدو ولكنها كانت تتزايد من حين الى حين نفارقها الى موضع آخر وهكذا أخذ يتنقل من ملجأ الى ملجأ حتى صار على مسيرة ثلاثة كيلومترات من القرية فاستصرخ الجنود المصرية وكانت اذ ذاك الساعة الثامنة صباحا فاقبلت الفرسان ثم تلاها الرماة ثم أعقبهم المشاة وانتظموا فى حومة الوغى على شكل نصف دائرة فلما رآهم القوم أضربوا عن القتال وولوا الوجهة نحو الشمال فأدرك السردار مقصدهم وبعث بفرقة الهجانة وجماعة الفرسان فتفرعوا الآكام وتسنموا الآجام ليقطعوا عليهم الطريق ويمنعوهم المسير ثم رجع القوم بخفى حنين

وفي نحو الساعة العاشرة أرادت الفرقة التاسعة أن تصعد تلا لتعلم موقع الاعداء واذا بهم قد انقضوا عليها كالجراد المنتشر حتى خيف سوء العقبى ولكن جنودنا قابلتهم باقدام وبأس شديد أطاش سهامهم وزلزل أقدامهم وردتهم على أعقابهم خاسرين وقد كانت هذه الهزيمة فاتحة النصر فأمر السردار المشاة باعمال المرهفات ونادى فى الرماة بموالاة الطلقات وهنالك أبلت الفرقة الثالثة عشرة السودانية بلاء حسنا فزحزحت الاعداء عن مواقعهم وفرقتهم شذر مذر وملأت الفضاء برمم القتلى وانجلت الهزيمة عن أربعة آلاف أسير وألف وخمسمائة قتيل أما خسائر الجنود المظفرة المصرية فقد بلغت مائة وعشرين ما بين قتيل وجريح اه

ولما أتم جناب السردار حديثه أقبل عليه الجناب الخديوى المعظم فأسدى اليه جليل شكرانه ووافر امتنانه وانتهز هذه الفرصة فهنأه مرة أخرى على هذا النصر المبين والفوز العظيم ثم عاد الى اليخت قبيل الاصيل فدعا لتناول طعام العشاء على مائدة جنابه الكريم عمدة تلك الناحية

أما التمثال فهو من الحجر الصلد قائم على الربوة التى كانت مركز السردار أثناء الواقعة منقوش الطرفين بالعبارة الآتية (أقيم هذا الاثر تذكارا لواقعة توسكى التى حصلت فى اليوم الثالث من شهر اغسطس سنة ١٨٨٩ بين الجنود المصريه تحت قيادة الجنرال السير غرانفيل باشا و بين جماعة الثائرين الذين كانوا يريدون شن الغارة على مصر تحت قيادة ولد النجومى فباؤا بالخذلان ورضوا من الغنيمة بالاياب)

وفى أوائل الساعة السابعة من صبيحة يوم الخميس (٢٢ يناير) بارح الجناب الخديوى المعظم مدينة توسكى قاصدا الرحلة الى أبو سنبل فوافاها فى مبتدا الساعة العاشرة ولم تشرق أنوار طلعته على تلك البقاع حتى انهالت جموع الاهلين يطيرون فرحا ويتهافتون ويتصافون مسرة وانشراحا ثم أقبل جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا وجناب المسيو غريبو وتلقوا صاحب البلاد عند النزول من اليخت وساروا بين يدى حضرته العلية لمشاهدة الهيكل الطائر الصيت وهو فى جنوب هيكل آخر يقل عنه سعة وينقص رفعة الا انه يدانيه جمالا ويوازيه كمالا وهما من أعظم الآثار نقشا وأعجبها صنعا وألطفها شكلا وأجلها خطرا وأبهرها منظرا

أما الهيكل الكبير فهو مستوى السطح منحوت في الصخر على شكل عمودي يبلغ ارتفاعه أربعين متراً وعمقه ثلاثين ولم فارقه لدى علماء الآثار شهرة تبلغ عنان السماء فانها ذات حسن فائق ونظام رائق مؤلفة من اثنين وعشرين تمثالا من القردة موشاة بعجيب النقوش يقارب ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار ولا يسع المتأمل في بديع صنعها وبارع وضعها أن يذعن بأنها من عمل الانسان فقد بلغت أقصى درجات الاحسان وجاوزت حد الامكان أما واجهة الاثر فهي ضخمة الهيئة وبها أربعة تماثيل يناهز علوها عشرين متراً وهي منحوتة كذلك في الصخر متقنة النقش محكمة التناسب بحيث ينبهم على الصانع الحاذق مهما أعمل الفكرة وأجهد النفس ادراك حقيقة الذوات التي أراد مجسموها تمثيلها

وقد كان داخل الهيكل مفعما بالرمال فلما عزم الجناب الرفيع على زيارته في هذه الرحلة الجزيلة الفائدة الجليلة العائدة بادر جناب السردار فبذل جهده وأفرغ وسعه واستحضر جماعة من الجنود مكثوا شهراً كاملا يستنفدون تلك الطوارئ حتى استخلصوه منها وصلح لتشريف جنابه الفخيم أما صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون فقد شارفت الاثرين معا يصحبها حضرة لادى غرانفيل

وفي أوائل الساعة الحادية عشرة سار اليخت الى وادي حلفا فبلغها بعد منتصف الساعة الخامسة بقليل وهي على الجانب الايمن للنيل وكانت قبل حوادث السودان خاملة الذكر وضيعة القدر لا يطرقها سوى النزر اليسير من الرحالة ولا يقطنها غير فئة قليلة لا تتجاوز المئين من النفوس فلما صارت مركزا لمديرية الحدود ومقاما للحامية شدت اليها الرحال وقصدت بالآمال فاتسع نطاق دائرتها واتسع مدى ساحتها وبلغ عدد سكانها مبلغا جسيما يكاد يفوق عقود الاعداد وهي منقسمة الى ثلاثة أقسام قسم تسكنه الطبقة السافلة من القوم وبه كثير من النخيل وهو مركز المدينة القديم وقسم مستحدث يدعى باسم التوفيق والقسم الثالث به مصالح الحكومة وثكنات الجنود ومستودع الميرة والذخائر الحربية

ولما جاء البشير باقبال اليخت هاجت الاشواق ونفر الاهلون من كل جانب يتزاحمون ويتسابقون حتى ملؤا ضفة النيل يخالهم الناظر اليهم أمواجا تتلاطم وسيولا تتراكم لولا ثغور تبتسم وأيد تبتهل وألسنة تنطلق بصالح الدعوات

وداموا كذلك لا يغشاهم ملال ولا يعتريهم كلال حتى رسى اليخت على الاسكلة وكانت تمثل للناظر من عجيب المناظر وغريب المظاهر ما يغني عن ربات المزاهر ويزري بالرياض النواضر فقد كانت جنود الحامية من فرسان ومشاة وهجانة ورماة منتظمين بلبات الماء انتظام القلائد على الغادة الجيداء يواصلون الدعاء ويتبادلون الصفاء وأمامهم موسيقاهم تتلو عليهم سور المسرات وتعزف بديع النغمات

وبعد قليل أقبل جناب السردار فمثل بين يدي صاحب البلاد وهنأه بسلامة الوصول ثم بارح اليخت جنابه الفخيم يصحبه الجنرال وودهاوس باشا ورجال معيته العسكرية فمر أمام الفرقة الثالثة ثم عاد الى مقره المنيف بين هتاف الجنود وتهليل الوفود وهنالك تشرف قواد الحامية بمقابلة جنابه العالي ثم تكرم حفظه الله فدعى سعادة عبد الرحمن رشدي باشا وكلفه بابلاغ تحيات حضرته العلية الى صاحب المقام السامي ولي عهد الحكومة السويدية وفي أوائل الساعة السادسة تقاطرت وفود المهنئين فقدم جناب السردار لسدته السنية ضباط الفوارس فالمدفعجية فالمشاة ثم استقبل جنابه الرفيع الامير السويدي فالعلماء الاعلام فوظفي الحكومة الملكيين فعظماء الاهلين فمشايخ البلاد فكبار المهاجرين ولقوا جميعا من كرم الوفادة ولين الجانب وسهل الخطاب ما أطلق ألسنتهم بالشكر الجزيل والثناء الجميل

ولقد أقيم على مقربة من الاسكلة تجاه دار المحافظة سرادقان رفيعا العماد زركشا بأنواع الزخارف ورصعا من اليمنة واليسرة بأكر النور الارضية تتدلى فوقها المصابيح على اشكال الباقات الريحانية جعل الاول قاعة للمائدة والثاني حجرة للاستقبال غشيت أرضه بفاخر الابسطة وزين من الجانبين بوثير الارائك وبديع النمارق

وفي منتصف الساعة السابعة مد الخوان فدعا الجناب الكريم ١٣٦ مدعوا تشرف بالجلوس منهم على مائدة جنابه الفخيم كل من حضرات السردار والجنرال وودهاوس باشا والجنرال ستل باشا والكولونل هنتربك وقواد الجيش ومكثت الموسيقى العسكرية تصدح بالانغام الشجية حتى فرغ المدعوون من الطعام فقام ولي النعم وتلاه أضيافه الى صيوان الاستقبال ومنتدى الانس فشربوا قهوة السرور وهنالك تجدد عهد الصفو

أما الهيكل الكبير فهو مستوى السطح منحوت فى الصخر على شكل م ودى يبلغ ارتفاعه أربعين مترا وعمقه ثلاثين ولم فارقه لدى علماء الآثار شهرة تبلغ عنان السماء فانه ذات حسن فائق ونظام رائق مؤلف من اثنين وعشرين تمثالا من القرد تمو ثاه بعجيب النقوش يقارب ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار ولا يسع المتأمل فى بديع صنعها وبارع وضعها أن يذعن بأنها من عمل الانسان فقد بلغت أقصى درجات الاحسان وجاوزت حد الامكان أما واجهة الاثر فهى ضخمة الهيئة وبها أربعة تماثيل يناهز علوها عشرين مترا وهى منحوتة كذلك فى الصخر متقنة النقش محكمة التناسب بحيث ينبهم على الصانع الحاذق مهما أعمل الفكرة وأجهد النفس ادراك حقيقة الذوات التى أراد بجمعها تمثيلها

وقد كان داخل الهيكل مفعما بالرمال فلما عزم الجناب الرفيع على زيارته فى هذه الرحلة الجزيلة الفائدة الجليلة العائدة بادر جناب السردار فبذل جهده وأفرغ وسعه واستحضر جماعة من الجنود مكثوا شهرا كاملا يستنفدون تلك الطوارئ حتى استخلصوه منها لوصل لتشريف جنابه الفخيم أما صاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون فقد شارفت الاثرين معا يصحبها حضرة لادى غرانفيل

وفى أوائل الساعة الحادية عشرة سار البخت الى وادى حلفا فبلغها بعد منتصف الساعة الخامسة بقليل وهى على الجانب الايمن للنيل وكانت قبل حوادث السودان خاملة الذكر وضيعة القدر لا يطرقها سوى النزر اليسير من الرحالة ولا يقطنها غير فئة قليلة لا تتجاوز المئين من النفوس فلما صارت مركزا لمديرية الحدود ومقاما للحامية شدت اليها الرحال وقصدت بالآمال فاتسع نطاق دائرتها واتسع مدى ساحتها وبلغ عدد سكانها مبلغا جسيما يكاد يفوق عقود الاعداد وهى منقسمة الى ثلاثة أقسام قسم تسكنه الطبقة السافلة من القوم وبه كثير من النخيل وهو مركز المدينة القديم وقسم مستحدث نودى باسم التوفيق والقسم الثالث به مصالح الحكومة وثكنات الجنود ومستودع الميرة والذخائر الحربية

ولما جاء البشير باقبال البخت هاجت الاشواق وتقاطر الاهلون من كل جانب يتزاحمون ويتسابقون حتى ملؤا ضفة النيل يخالهم الناظر اليهم أمواجا تتلاطم وسيولا تتراكم لولا ثغور تبتسم وأيد تبتهل وألسنة تنطق بصالح الدعوات

وداموا كذلك لا يغشاهم ملال ولا يعتريهم كلال حتى رسى اليخت على الاسكلة وكانت تمثل للناظر من عجيب المناظر وغريب المظاهر ما يغني عن زنات المزاهر ويزري بالرياض النواضر فقد كانت جنود الحامية من فرسان ومشاة وهجانة ورماة منتظمين بلبات الماء انتظام القلائد على الغادة الجيداء يواصلون الدعاء ويتبادلون الصفاء وأمامهم موسيقاهم تتلو عليهم سور المسرات وتعزف ببديع النغمات

وبعد قليل أقبل جناب السردار فمثل بين يدي صاحب البلاد وهنأه بسلامة الوصول ثم بارح اليخت جنابه الفخيم يصحبه الجنرال وودهاوس باشا ورجال معيته العسكرية فمر أمام الفرقة الثالثة ثم عاد الى مقره المنيف بين هتاف الجنود وتهليل الوفود وهنالك تشرف قواد الحامية بمقابلة جنابه العالي ثم تكرم حفظه الله فبعث بسعادة عبد الرحمن رشدي باشا وكلفه بابلاغ تحيات حضرته العلية الى صاحب المقام السامي ولي عهد الحكومة السويدية وفي أوائل الساعة السادسة تقاطرت وفود المهنئين فقدم جناب السردار لسدته السنية ضباط الفوارس فالمدفعية فالمشاة ثم استقبل جنابه الرفيع الامير السويدي فالعلماء الاعلام فموظفي الحكومة الملكيين فعظماء الاهلين فمشايخ البلاد فكبار المهاجرين ولقوا جميعا من كرم الوفادة ولين الجانب وسهل الخطاب ما أطلق ألسنتهم بالشكر الجزيل والثناء الجميل

ولقد أقيم على مقربة من الاسكلة تجاه دار المحافظة سرادقان رفيعا العماد زركشا بأنواع الزخارف ورصعا من البيئة والنسرة بأكر النور الارضية تتدلى فوقها المصابيح على اشكال الباقات الريحانية جعل الاول قاعة للمائدة والثاني حجرة للاستقبال غشيت أرضه بفاخر الابسطة وزين من الجانبين بوثير الارائك وبديع النمارق

وفي منتصف الساعة السابعة مد الخوان فدعا الجناب الكريم ١٣٦ مدعوا تشرف بالجلوس منهم على مائدة جنابه الفخيم كل من حضرات السردار والجنرال وودهاوس باشا والجنرال ستل باشا والكولونل هنتر بك وقواد الجيش ومكثت الموسيقى العسكرية تصدح بألحانها الشجية حتى فرغ المدعوون من الطعام فقام ولي النعم وتلاه أضيافه الى صيوان الاستقبال ومنتدى الانس فشربوا قهوة السرور وهنالك تجدد عهد الصفو

وانبسط بساط البشر واتسع مجال الكلام وتفضل صاحب الامر على جميع الضباط بجاذبهم الحديث وأنالهم من لطيف المؤانسة وعظيم المجاملة ما شرح صدورهم وأقر عيونهم وكمل حبورهم وفى كمال الساعة العاشرة عاد جنابه الرفيع الى اليخت فنفذت اشارته الكريمة باقامة الذكر الحميد وتلاوة آى القرآن المجيد وتكرم على خدمة مسجد سيدنا الامام الحسين رضى الله عنه وخدمة مسجد الحامية فأجزل اليهم الصلات واسبغ عليهم الهبات

أما ما صادفه الجناب العلى الشان من مظاهر الاجلال ومجالى الاستقبال فقد كان من أكبر الادلة وأقوى البراهين على ما لجنابه العالى لدى الجنود والاهلين على اختلاف معتقداتهم وتباين جنسياتهم من المكانة العالية والمنزلة الغالية على انه ليست هذه باول مرة تظهر فيها الى الوجود مكنون طوياتهم وتحقق لجنابه الرفيع ما عقدوا عليه نياتهم فانه حفظه الله من يوم مبارحته العاصمة الى يوم تشريفه هذه المدينة والجميع سواء فى اظهار علائم الولاء متحدون فى ترديد آى الدعاء كل يستنفد وسعه ويستفرغ جهده ويبذل وجده

وفى أوائل الساعة التاسعة من صبيحة يوم الجمعة (٢٣ يناير) بارح جنابه الفخيم اليخت ممتطيا صهوة جواده متشحا بكسوة المشير الفخيمة محلى صدره بنشان الامتياز العلى الشان قاصدا ساحة المناورات يتقدمه شرذمة من رجال الحرس ويتبعه جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا والى يمين حضرته العلية صاحب المقام السامى ولى عهد الحكومة السويديه متحلا فى صدره النشان العثمانى ويتلوه سعادة يوسف شهدى باشا رئيس الياوران الكرام يقدمهم رجال المعية العسكريه فالجنرال ستل باشا وسار الموكب يخترق صفوف الخلائق ما بين واقف يعلوه الوقار ومزدحم بغاية السكينة والاعتبار فوقف أمير البلاد بجانب العلم المصرى وهناك رفع اجلالا وتحية لجنابه الفخيم ثم تقدم أدامه الله وحوله من ذكرنا فمر أمام الجنود وكانت مصطفة على شكل الأهبة للكفاح مؤلفة من أربع فرق من المشاة وكتيبتين من الفرسان وكوكبة من الركبان وجماعة من الرماة ثم بدئ فى الاستعراض وأخذت الجنود تسير الهوينا ثم الهرولة ثم الايفاض ثم العدو

على ألحان الموسيق ثم عادت الى نظامها الاول وزحفت الى الامام فانتظمت على شكل ثلاثة أضلاع المربع واصطفت الفرسان والركبان بالجناح الأيمن والمشاة السودانية بالجناح الايسر والمشاة المصرية والرماة فى القلب ووقف جناب السردار والجنرال وودهاوس باشا أمام الصفوف واقترب الجناب الرفيع بصحبه صاحب المقام السامى ولى عهد الحكومة السويدية ورجال معيته العسكرية فاستدعى الى حضرته العلية جميع الضابطان وألقى عليهم خطابا أودعه عبارات الشكران وجل الامتنان فتهللت بالفرح وجوههم وانطلقت بالثناء ألسنتهم وأجابه جناب السردار بالنيابة عن الجيش فقدم لجنابه الفخيم خالص الشكر على وافر عنايته وجليل رعايته ثم قال ان الجيش المصرى وان كان لايزال فى السن الا انه اذا قدر الله فوقف مرة أخرى أمام الأعداء فانى واثق كل الوثوق بقدرته على تمزيق شملهم وتخييب آمالهم وبعد ذلك هتفت الجنود بصالح الدعوات وترنمت الموسيق ببديع النغمات وكان اذ ذاك منتصف الساعة العاشرة فبارح الموكب الخديوى ساحة المناورات ووجه المسير الى القلاع والمعاقل فشارفها الجناب العالى ثم عاد الى البخت فى نحو الساعة الحادية عشرة بين رجال تتوافد وصبية تتسابق ونسوة تتلاحق

ولما حان وقت الصلاة ركب جنابه الفخيم زورقا بخاريا بصحبه سرتشريفاتى حضرته العلية والدكتور سالم باشا وقصد مسجد الخاصة فرسى الزورق على آسكلة أعدت لذلك فرشت بفاخر الطنافس وأحيطت من الجانبين بجنود الفرقة العاشرة يعلوها العلم وتقدمها الموسيق وبعد أداء الصلاة عاد وفقه الله الى مقره المنيف فدعا صاحب المقام السامى ولى عهد الحكومة السويدية لتناول طعام الغداء على مائدة جنابه الكريم

ثم ركب الجناب الخديوى المعظم الباخرة الحربية (أبو كلى) والى جانبه الرفيع حضرة صاحب المقام السامى البرنس السويدى ثم سعادة السردار والجنرال وودهاوس باشا وصاحبا السعادة عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى والجنرال ستل باشا وجناب البارون ده بليكسن

وفى أواخر الساعة الثالثة تحركت الباخرة الى المسير فارست فى الرابعة على الشاطئ الأيسر وقد شدت به الركائب للجناب الخديوى المعظم ورجال معيته الفخام ثم أرست باخرة سعادة

السردار تقل حضرة صاحبة المقام السامى قرينة ولى عهد الدولة السويديه وجناب الكونتس لاغاردى وقرينة سعادة السردار وحضرة الامير آلاى هنتربك

وكان أربعون من هجانة البدو واقفين بالمرسى منتظرون مقدم الجناب العالى للسير بين يديه الى صخرة أبوصير فترجل الجناب الرفيع وتلاه حضرة البرنس السويدى ثم شرعا فى ارتقائها وهى صخرة شماء قائمة على ضفة النيل تشرف على الشلالات يستطيع منها الناظر بعض المسافة التى تشغلها الا كلها اذ لا ينقص ذلك عن اثنى عشر الى ثلاثة عشر كيلومترا

وكان المنظر حيث موقف الجناب العالى وحضرة ضيفه الملوكى بتلك الذروة الشاهقة مما لا تقوى البراعة على وصفه

وبعد ان استراح الجناب العالى هنيهة فى سرادق مخصوص أقيم بوهدة الجبل اجلالا لمقدمه السعيد ركب أيده الله جواداً مطهما الى الباخرة الخديويه وما أتت الساعة السادسة حتى أقبلت يقدمها اليمن والاقبال على مرفأ وادى حلفا فأرست على نغمات النشيد الخديوى تترنم بها الموسيقى العسكرية على الشاطئ

أما حضرة البرنسيس قرينة جناب الامير السويدى وجناب لادى غرنفل والكونتس لاغاردى فطلعن حال وصول باخرتهن الى البر وركبن الهجن ودليلهن حضرة الكولونيل هنتربك قاصدات ترويح النفوس وترييض الخاطر بمشارفة أكمة الشيخ عبد القادر الواقعة على مسافة كيلومترين من أبوصير

وكان الجناب الخديوى المعظم حفظه الله قد تفضل على جميع موظفى الحكومة والاعيان بالدعوة الى موائد كرمه فى ذلك المساء وقد تشرف بمثل ذلك فى الليلة التى قبلها حضرات أركان حرب الحامية وضباطها جميعاً فبسطت صحاف الالوان وفاخر الاطعمة على ستة اخونة جلس اليها اثنان وأربعون مدعوا تشرف منهم بالجلوس الى جانبى الحضرة الفخيمة الخديوية سعادة السردار والجنرال وودهاوس باشا وستل باشا وحضرة قاضى وادى حلفا وعمدتها وسر تجارها وعمدة سرس

وفى الساعة الثامنة مساء أجريت الالعاب النارية وقد أخرت البارحة بأمر الجناب العالى فكانت شهبها تتصاعد وتتساقط بجزيرة صغيرة واقعة تجاه الضفة الخديوى الى الجانب الايسر للنيل والموسيقى العسكرية تعزف طول الليل بألحانها الشجية ونغماتها المطربة

وقد أتت الزينات بما أمل أصحابها من حسن الرونق وجمال الهيئة وان لم تبلغ الشأو الذى بلغته فى كروسكو فتم ازينة وابورات السردار و ودهاوس باشا وستل باشا وزينة دار المحافظة والرصيف وخصوصا تلك الاحرف النورانية الجميلة المركب منها جملة (فليعش الجناب الخديوى)

وبعد العشاء ركب الجناب الخديوى المعظم زورقا و بين يديه سعادة السردار و ودهاوس باشا وستل باشا فتجول برهة فى النيل لمشارفة الالعاب النارية والزينات وفى الساعة الثامنة عاد الى اليخت ثم بارحه ثانية فى الساعة التاسعة لرؤية الالعاب السودانية التى قام بها نفر من الاورطة التاسعة أمام سراى الجنرال و ودهاوس باشا

وقلما يجدى الكلام فى وصف تلك الالعاب لما حوته من غرابة الشكل والحركات وحسبك دليلا على ذلك ما يشاهد بعض الاحيان بأطارف القاهرة من رقص أهالى دارفور وأغانيهم وهيئة ملابسهم وعوائدهم فى أفراحهم وولائمهم

وكان حضرة صاحب المقام الاسمى ولى عهد الدولة السويدية وحضرة البرنسيس قرينته قد سبقا الجناب الخديوى المعظم الى ذلك المهرجان السودانى فلما تشرفه الجناب العالى تفضل فدعى حضرة البرنسيس الى جانبه الرفيع وطال الجلوس بعد ذلك مسافة نصف ساعة كانت تلوح فى خلالها أمارات البشر ودلائل السرور على ذاته الكريمة ووجوه حضرات البرنسات الفخام

ولما كانت الساعة العاشرة بارح الجناب الخديوى المعظم ساحة المهرجان آخذا بيد حضرة البرنسيس السويدية قاصدا تشريف سعادة الجنرال و ودهاوس باشا بتناول الشاى فى منزله

ولا يختلف دار سعادة الجنرال محافظ الحدود المصرية اختلافا يذكر عن بقية مبانى وادى حلفا وهى مؤلفة من دور سفلى فقط خال من الجص والكلس منعا لاشتداد الحرارة فى أيام الصيف وينقسم الى قسمين محل السكنى ومحل الشغل والاستقبال ويفصل بينهما دهليز كبير يرى فيه الداخل كثيرا من سلب السودانيين وأسلحتهم ومن ذلك العلم والدرع والخوذة التى كانت لولد النجومى رئيس العصاة من السودانيين يوم واقعة توسكى

وفى منتصف الساعة الحادية عشرة بارح الجناب الخديوى منزل حضرة الجنرال قاصدا اليخت الخديوى (فيروز) وحينئذ ودع جنابه العالى كلا من حضرة البرنسيس السويدية وحضرة قرينها ولى العهد

وفى منتصف الساعة الثامنة من صبيحة يوم السبت ٢٤ يناير تحرك ركاب الجناب العالى من وادى حلفا وبه سعادة السردار وودهاوس باشا وستل باشا وأركان حربهم والاميرآلاى هنتربك وكثير من موظفى المعية المدنيين والعسكريين قاصدين التوجه بالسكة الحديدية الى مكان الاورطة الثانية من المشاة وهى التى لم يكن استعرضها الجناب العالى الى الآن من الجنود القائمة بحماية الحدود فوصل اليها القطار الخديوى فى منتصف الساعة التاسعة وكان رجال الاورطة مصطفين بهيئة الاهبة للنزال فامتطى الجناب الخديوى جوادا من الخيل وتفقد نظام الاورطة ثم أخذ رجالها يمرون أمام جنابه الرفيع خطوة فخطوة ثم هرولة ثم عدوا حتى كمل الاستعراض فامر الجناب العالى بالضباط فوقفوا حلقة أمام رجال الاورطة فتنازل وخاطبهم ببلاغة رائعة معربا عن سروره من حسن نظام الجند وعظيم ثقته بزيادة تقدمه واصلاحه فى المستقبل بعون الله عز وجل فأجاب سعادة السردار بما وجب من عبارات الشكر والثناء ردا على خطبة الجناب الخديوى المعظم وقد قابلها الجند بالنشيد الخديوى وهتافهم ثلاثا (افندمز چوق يشا)

ثم ان الجناب العالى بقى برهة من الزمن على ظهر جواده يتجول بانحاء عبقة وعاد فشرف صيوانا مما أمر باحضاره من وادى حلفا ثم دخل فجلس بين يديه سعادة السردار والجنرالان ستل باشا وودهاوس باشا والكولونل هنتربك وضباط الاركان حرب والقائمقام شكسبير حكمدار الاورطة الثانية وبقية رجال المعية السنية الملكيين والعسكريين

ومن بعد ذلك الى وقت الفطور كان رجال الاورطة الثانية يقومون تجاه الصيوان الخديوى بتمرينات رياضية ويجرون ألعابا بديعة بحراب البنادق سر منها الجناب العالى كثيرا وفى منتصف الساعة الثانية عشرة مدت الموائد الخديوية ودعى اليها أربعون ضابطا منهم ضباط الاورطة الثانية بأجمعهم فجلسوا الى خمس موائد وتشرف بالجلوس على مائدة

الجناب الخديوى حضرات أصحاب السعادة السردار غرنفيل باشا وودهاوس باشا وستل باشا وجناب الامير آلاى هنتربك والقائمقام شكسبير

ولما رفعت المائدة تشرف حضرات الضباط بالمثول واحدا فواحدا لدى الجناب الخديوى العلى الشان فتعطف جنابه وكلم كلا منهم بما شف عن رضاء جنابه الرفيع فقابله جميعهم بجزيل الشكران ومزيد الامتنان وكذلك تفضل حفظه الله بأن تحدث مليا مع بعض مهاجرى الاقطار السودانية وجاويش مصرى قدم من دنقله حديثا

وفى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر عاد الجناب الخديوى المعظم الى حلفا وبعد بضع دقائق صعد الى مخدعه الخصوص فلما كانت الساعة الثالثة ركب فى زورق بحرى وبمعيته سعادة السردار شريف باشا قاصدا زيارة حضرة صاحب المقام السامى ولى عهد الدولة السويدية فى ذهبيته قبل قيامه من وادى حلفا وبعد نحو ساعة من الزمن تحرك ركاب حضرة البرنس الى الجهات البحرية وبمروره أمام اليخت الخديوى ترنمت موسيقى الحرس بأنغام السلام السويدى وداعا لحضرة ولى العهد الافخم

وبعد ان أشار الجناب العالى من اليخت الخديوى مودعا حضرة البرنس وقرينته ركب أعزه الله زورقا آخر وبمعيته السنية سعادة السردار وسرياورانه وودهاوس باشا قاصدا زيارة مسجد سيدنا الحسين بجنوبى وادى حلفا ومن ثمت شرف محلة التوفيقية وامتطى جوادا مطهما تفقد به دور الجند ومتعلقاته كما هو دأب جنابه الرفيع فى كل الاوقات ثم شرف المستشفى العسكرى وماوالاه وعاد الى اليخت آخر النهار

وفى أوائل الساعة الثامنة كان على مائدة الجناب الخديوى المعظم نحو العشرين ذاتا من قواد الجيش ورؤساء الجند وضابطان الاركان حرب فلاقوا من كرم ولى النعم ماقرت به أعينهم وانشرحت له صدورهم ولم يأذن لهم الجناب الرفيع بالانصراف حتى كرر عليهم عبارات التهانى على حسن ولائهم وغيرتهم التى عنوانها حسن انتظام الجنود الذين تحت امرتهم وماهم عليه من الطاعة للاوامر والامتثال لولاة الامور فخرج الضباط وكلهم ألسنة شكر وثناء على ما لاقوا من جزيل احسان الجناب الخديوى وجليل تعطفاته عليهم

وفى تلك الليلة أقيمت الاذكار بأمر الجناب العالى واشتغل نحو مائتى فقيه بتلاوة آى القرآن الشريف على نفقة الحضرة الفخيمة الخديوية

وفى منتصف الساعة السابعة من صباح يوم الاحد ٢٥ يناير بارح الركاب العالى مدينة وادى حلفا فى مثل ماجاء به من الاحتفاء والاحتفال فأطلقت المدافع من طوابى الاستحكامات واستمر هتاف الوفود والمودعين حتى اختفت من الافق أكواخ البلدة وراء حجاب من خمائل النخل والشجر وكان الجناب العالى كلما مر اليخت الخديوى بقسم من أقسامها الثلاثة يتفضل باشارة السلام على صفوف الجنود بالساحل وفى مقدمتها الموسيقى العسكرية تعزف بألحان النشيد الخديوى ولم يمر بعد ذلك بقرية مّا صغيرة كانت أو كبيرة الا أجابت صدا ذلك الهتاف وردّدت عبارة تلك الدعوات الطيبات مخبرة أمير البلاد بماله من المحبة والمعزة والاكرام والاجلال بأفئدة رعيته الامينة التى وان اختلفت عباراتها بين طلق بندقية ونقر دف ورقص سودانى وغناء نوبى وزغاريط وانشاد وغير ذلك مما لا حصر له الآن مؤداها واحد ألا وهو الثناء والولاء لحضرته العلية ما كرّ الجديدان وأشرق النيران

وفى منتصف الساعة السادسة من المساء رسى اليخت الخديوى (فيروز) يتقدمه باخرة الجنرال ورد هاوس باشا ويتبعه تجور وعكاشة عند قرية سيوما الواقعة على الضفة اليمنى للنيل بين اطلال مدينة قديمة

أما سعادة السردار فبقى بوادى حلفا وقت قيام الركاب العالى لضرورة المصلحة غير انه لم تتم الساعة التاسعة حتى أقبلت باخرته تشق عباب اليم فأرست على مسافة من اليخت الخديوى أمام باخرة الجنرال وودهاوس باشا

هذا ولم تعد الحال سكان القرية مّا كتفوا بالاشارة بما وصلت اليه أيديهم لاظهار حبورهم وولائهم بمقدم الجناب الرفيع فكانت زينتهم الصغيرة أجمل عنوان للسرور والحبور وما أفصح زينة الفقير ترجمانا وأقواها برهانا

وفى الساعة السادسة من صبيحة يوم الاثنين ٢٦ يناير تحرك اليخت الخديوى (فيروز) يتقدمه الباخرتان عكاشه وتجور قاصدا جزيرة أنس الوجود فوافاها فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر ولما ألقى بها مراساه بادر حضرة صاحب المقام الاسمى ولى عهد دولة السويد والنرويج ومعه حضرة قرينته وكانا قد حضرا منذ ساعة من وادى حلفا بالصعود الى اليخت لتهنئة الجناب العالى ودولة الحرم المصون بسلامة الوصول وكان بمعية البرنس

جناب الكونت لاغاردى والبارون ده بليكسن وعمية البرنسيس قرينة حضرة الكونت وحرم سعادة السردار

وانتهت زيارة حضرات البرنسات الكرام فى أواخر الساعة الثالثة وعندها تفضلت حضرة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون فأخذت بيد حضرة البرنسيس السويدية صاعدة نحو القطار المخصوص المعد لتوصيل دولتها الى اصوان وكان موقفه بأقصى الدرج الراسى اليه اليخت الخديوى وبعد ذلك بربع ساعة تهيأ لمبارحة اليخت أيضا الجناب الخديوى المعظم والى يمناه حضرة البرنس السويدى وتلاه كبار الموظفين من الملكيين والعسكريين قاصدا سالون القطار فبادر سعادة السردار والجنرالان وودهاوس باشا وستل باشا وأركان حربهم وصاحب العزة محمد بك ماهر وكيل محافظة الحدود بتلقى الجناب الرفيع من اليخت وقامت بتأدية رسوم السلام الى حضرته العلية على نغمات النشيد الخديوى رجال بلوك من الاورطة الثالثة عشرة بالموسيقى والعلم تحت قيادة القائمقام كنجهام وبعد أن استأذن حضرة البرنس السويدى من الجناب العالى وحضرة البرنسيس من دولة الحرم الخديوى المصون (إذ هما ينويان اطالة المقام بأنس الوجود) تحرك القطار المخصوص قاصدا جزيرة اصوان وهى قريبة على مسافة ميلين منها ويؤلف هذا القطار من أربع عربات تقل أولاها حضرة صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون والثانية الجناب الخديوى المعظم وسعادة السردار وودهاوس باشا وأصحاب السعادة السر تشرينفانى والسر باوران والدكتور الهباشا ومحمد بك ماهر أما العربتان الاخريان فركب فيهما بقية رجال المعية السنية

ويقع فرع سكة الجزيرة الحديدية على مسافة نحو أربعة أميال من اصوان وهو آخر خط الشلال و ينتهى نحو مثل ثلث المسافة الى شمال الجزيرة وعندها تلك النقطة يتغير منظر الارض فتحل الخضرة والزروع محل الجنادل والحصى و يبسق النخيل بدلا من الآكام والصخور وكما أنشئ الخط الاول لتسهيل نقل السياح والبضائع من اصوان الى أنس الوجود تخفيفا للمؤنة بالجواز بالشلال كذلك أنشئ فرع الجزيرة منعا لتجشمهم الدخول الى اصوان بحرا لتعذر الملاحة فى نيلها بسبب كثرة الصخور والاحجار فيه

وكان كل من فيض ظفر وهويا وفيض ربانى ينتظر مقدم الجناب العالى بالجزيرة وقد كان الثالث مقرا لحضرات البرنسيسات الكريمات فى اصوان مدة سياحة الجناب الخديوى بوادى حلفا

وأدى رسوم السلام العسكرى للجناب العالى ساعة وصول القطار بلوك من الاورطه الثالثة عشر مصطفة رجاله من المحطة الى اليخت وكان قد سبقت اليه صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون وتبع الجناب العالى اليه سعادة السردار والجنرال ونجت والجنرال وودهاوس باشا وستل باشا وماهر بك مستأذنين فى العودة الى مقر وظائفهم

ولقد كان تشرف الجنرال وودهاوس باشا بمقابلة الجناب العالى مقرونا بفوز عظيم وخير جسيم وذلك أنه بعد أن تفضل فاعرب له برقيق العبارة وجميل الاشارة عن سروره مما رأى أثناء سياحته بمديرية الحدود أنعم حفظه الله على الجنرال بسيف مرصع علامة على حسن الرضا من لدن حضرته العلية وهو فضلا عن كونه لا يقوم بثمن عند صاحبه لاستلامه من يد الحضرة الفخيمة الخديوية فانه فى ذاته ذو قيمة عظيمة أيضا نصابه من العاج ومقبضه من الذهب الخالص أما فرنده فعجيبة من العجائب بل معجزة مما أتى به صياقلة دمشق فى القرون الوسطى على ان هذا السيف لا يمتاز ببديع صناعته وغلاء قيمته فقط بل هو أيضا أثر تاريخى ثمين وحسبك فى ذلك أنه سيف السلطان نور الدين الذى كان تقاتل به مع أهل أوروبا مدة الغزوات الصليبيه وهو معقوف قليلا ومغطى بالنقوش والكتابات وبينها أوائل الحروف من اسم الجناب الخديوى المعظم مكتوبة بالذهب

وفى منتصف الساعة السادسة من المساء تحركت فيض ظفر لمبارحة الجزيرة بين تهليل رجالها وزغاريط نسائها قاصدا المبيت بجزيرة الى شمال اصوان على مسافة ثمانية كيلومترات منها

ويجمل قبل مبارحة مديرية الحدود ذكر شىء عن نظامها المدنى وهو لهذا العهد فى قبضة القوة العسكرية كما لا يخفى ومن ثم يخالف نظام باقى المديريات

يدير هذا الاقليم محافظ هو الآن الجنرال وودهاوس باشا ومقامه بوادى حلفا ينوب عنه وكيل هو الاميرالاى ماهر بك ومقره اصوان وينلط هذا بالاشغال المدنية عمومها

ويحت أمره أربعة من المأمورين بعرا كرادفو واصوان وكروسكو ووادى حلفا ثم البوليس ومعاونو التحصيل ورؤساء المصالح الاداريه وهو الذى يتولى القضاء فى مواد المخالفات والجنح الخفيفه أما الجنايات فتنظر بمحكمة قنا

ويقوم بأمر حفظ الامن ٧٥ رجلا موزعين على المراكز والقرى من برارى الى سلطوات وهم ممن تخرج بالجيش وكذلك ضباطهم انتخبوا من أفاضل القادة ولهم جملة امتيازات خاصة بهم دون سواهم منها ان خدمتهم بالبوليس تعتبر كالخدمة بالجيش العامل بالنظر الى الترقى وانهم يعطون فوق راتب الوظيفة التى تلى وظيفتهم فى الجيش جنيها مصريا كل شهر ويصرف اليهم شئ كثير من المؤنة والزاد غير ماذكر

ويناط البوليس العسكرى أيضا بمساعدة المأمورين على تحصيل الخراج وجباية الاموال وتورد النقود المتحصلة الى خزينة المحافظه فيؤخذ منها النفقات اللازمة للجيش وادارة الاقليم

أما الامن فعلى مايرام بمديرية الحدود وماحصل من الجنايات والتعدى مدة الثلاث السنوات الاخيرة فلم يك الاعلى سبيل القلة والندور

وكانت المسافة من اصوان الى اسنا وهو المكان المعين لمبيت الركاب العالى أطول سفر متواصل أتمه فيض ظفر من يوم مبارحته للقاهرة فقام من اصوان بل من الجزيرة الواقعة على ٨ كيلومترات منها فى صباح يوم الثلاثاء ٢٧ يناير ولم يصل اسنا الا فى الساعة الثامنة مساء بعد أن تأخر مدة عن الميعاد المقرر لحضوره وكان سبب هذا التأخر بطئ الجفت فى سيره خوفا من الاصطدام بما فى قاع النهر من آكام الرمال

وقد حدث فى الاوبة من اصوان ماحدث فى الذهاب اليها وكذلك فى كل مرحلة من مديرية الحدود بما يخشى معه ارتكاب التكرار الممل لوالتزم اليراع وصف الاحتفالات التى لاعدلها والتهليلات والتكبيرات والدعوات التى قوبل بها الجناب العالى سواء فى المدن الكبيرة أوالقرى الصغيرة وسواء فى خباء البدوى أوكوخ الفقير وكما ينقل صدى الجبل هزيم الرعد من واد الى واد كذلك كانت مظاهر الاجلال والاحترام للجناب العالى تسرى بأقرب من لمح البصر من بلد الى آخر فاذا ابتعدت قرية من ساحل النهر رأيت أهلها رجالا

ونساء قد أتوا فوقفوا على ضفة النيل منتظرين مرّ اليخت الخديوى رافعين الاكف بالدعوات الصالحات لولى نعمتهم وعزيز مصرهم ومصدر خيرهم ورفاهتهم حتى انه لم يندر مرور مسافة كيلومتر واحد من دراو الى اسنا بدون أن يصل صوت التهليل والتكبير من احدى ضفتى النيل الى اليخت الخديوى والجناب العالى واقف بظهره يتعطف على الرعايا باشارة السلام فيزدادون فى الهتاف والتكبير والتهليل

وكان منظر اسنا من أبدع ما رأت العين حسنا وبهاء مشرقا بالوف من الانوار على مسافة تزيد عن الميل وقد أقبل اليخت الخديوى عليها فألقى مرساه الى رصيف بساحل النيل تجاه قصر رفيع العماد شاهق الذرى ابتناه هنالك المرحوم محمد على باشا الكبير

وكان خلف الصفوف المصطفة على الشاطئ من فرسان البوليس ومشاته وتلامذة المدرسة الاميرية جمع من الاهالى لا يحصى لهم عدد وقد ألفوا من أصوات تهليلهم ودوى طلقات المدافع ما اهتزت له الارضون ترحيبا واستبشارا بقدم الجناب الخديوى ولى النعم الافخم

فلما وقف اليخت بادر بالصعود اليه حضرات صاحبى السعادة حسن باشا ذهنى مدير قنا وجونسون باشا مفتش عموم الضبط والربط بالوجه القبلى وأبو السعود بك مفتش رى القسم الخامس فتشرفوا بالمثول بين يدى الجناب العالى لاداء رسوم التهانى بسلامة الوصول

وكان وصول هيبا وقيض ر بانى بعد اليخت الخديوى ببرهة وجيزة ثم ابتدأت التشريفات على حسب الترتيب المعتاد وفى منتصف الساعة التاسعة مساء مدت موائد الطعام على العادة التركية وتشرف بالدعوة اليها أربعون ذاتا جلس منهم على مائدة الجناب الخديوى سعادة المدير وجونسون باشا ومحمد افندى مصطفى رئيس محكمة قنا وعز الدين بك أحد أعيان اسنا وجرجس بك صالح من أعيان مهاجرى السودان وحضرة القاضى والاسقف وكانت الموسيقى تعزف بشجى ألحانها مدة الطعام حسب العادة المألوفة

وهذه قصيدة غراء من انشاء حضرة العالم الفاضل الشيخ أحمد محمد جدواى الاسوانى القاضى الشرعى لمديرية اسنا قدمها حضرته للجناب الخديوى المعظم لما حل ركابه المنيف ببندر اسنا وهى من غرر الصناعة فقد جاء عدد أبياتها عشرين تضمن كل شطر منها تاريخا هجريا

لتشريف الجناب العالي تلك البلدة الطيبة وهي شطر تاريخ ومعناه تبيع
مسبوقة بخطبة من فرحتي الخ

نحمدك يا من شرحت صدورنا بنور توفيقك الاعظم ونثني عليك اذ شرعت الشرع الشريف
الاقوم ونصلي ونسلم على رسولك صادق الوعد سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين صلى
الله عليه وعلى آله الهادين وصحبه الأئمة المهتدين اما بعد فهذا يوم من الايام السعيدة السرور
توفرت فيه أنواع المسرة والحبور بتشريف حضرة الاجل الاعظم والهمام
البدر الافخم ... على ... وتعدد ... عادة
اغتنص الفرصة مريدا التقدم لاهل الوطن والرعية وجرى هكذا ان تكون الملوك الخلفاء
وفي ذلك غلبت في المتنافسون فصار من الواجب علينا مقابلة نعمه الوافرة بالشكر والتعظيم
قياما ببعض ما لجنابه العلي الكريم ... من الصفات العلية الرحمانية
والسجايا الكريمة الحميدة التوفيقية المزرية بحسنها نفائس الدرر لا يستطيع حصرها
البشر لكن بقدر الامكان أقدم صحيفة الثناء وأنشر ألوية الهنا مع ما سمح به الخاطر من
هذه القصيدة الفائقة والابيات العذبة الرائقة لاختصاصها برفيع جنابه وتعلقها
بشريف ركابه المتضمن كل شطر منها تاريخ مقدمه السعيد وبهجة طالعه الاسنى
بالصعيد فأقول مخاطبا لعلياه وما توفيقي الا بالله

سنة			سنة
	قدومك مبرور لك الحمد والشكر	وسعيك اسعاد حلى به الذكر	
١٣٠٨	٨١٠ ٤٤٨ ٥٠ ٨٣ ٥٥٧	١٦٦ ١٣٦ ٤٨ ٧ ٩٥١	١٣٠٨
	وما أنت الا نور مصر لك السنا	وكوكب ارشاد به ابتسم الدهر	
١٣٠٨	٤٧ ٤٥١ ٣٣ ٢٥٦ ٣٣٠ ٥٠ ١٤٣	٥٤ ٥٠٦ ٧ ٥٠١ ٢٤٠	١٣٠٨
	صبوت الى العلياء بالجد والتقى	وحالفك الاخلاص والسعد والبر	
١٣٠٨	٤٩٨ ٤١ ١٤٣ ٨٠ ٥٤٧	١٤٥ ٧٥٣ ١٧١ ٢٣٩	١٣٠٨
	واخالك عرفان وعم بك العلى	وناسبك الاجلال واللطف والفخر	
١٣٠٨	٦٢٨ ٤٠١ ١١٦ ٢٢ ١٤١	١٣٩ ٩٦ ١٥٦ ٩١٧	١٣٠٨
	فصرت أميرا ياموفق أمجدا	له السيرة الحسنا يفوح بها العطر	
١٣٠٨	٧٧٠ ٢٥٣ ٢٣٧ ٤٩	٣٥ ٧٠١ ١٥٠ ١٠٤ ٨ ٣١٠	١٣٠٨

سنة	
	قائم بتوفيق الامير ووصفه
١٣٠٨	٢٤١ ٥٩٨ ٢٨٣ ١٨٧
	ومن كأبي العباس بالطف نخره
١٣٠٨	٩٦ ٣٣ ١٦٤ ١٣٠ ٨٨٥
	له هم من الثريا مقرّها
١٣٠٨	٣٥ ٨٥ ١٠٠ ٧٤٣ ٣٤٦
	وخلق كأنفاس الصبا نفح فوزه
١٣٠٨	٧٣٦ ٢١٢ ١٢٤ ١٣٦ ٩٨
	هو الماجد البر الذى دام قصده
١٣٠٨	١١ ٧٩ ٢٣٣ ٧٤١ ٤٥ ١٩٩
	تسلسل من آل بدور أجلة
١٣٠٨	٥٤١ ٩٠ ٣١ ٢١٢ ٤٣٤
	أيا واحدا كالشمس حكما ورفعة
١٣٠٨	١٢ ٢٠ ٤٥١ ٦٩ ٧٥٦
	ويا واليا عدلا توليت أمرنا
١٣٠٨	١٧ ٤٨ ١٠٥ ٨٤٦ ٢٩٢
	دواما لك العلياء تخدم بازدها
١٣٠٨	٥٢ ٥٠ ١٤٢ ١٤٤٠ ٢٠
	ومتعت بالانجال فى العز سابيا
١٣٠٨	٩١٦ ١١٨ ٩٠ ١٠٨ ٧٦
	ركابك مذ حل الصعيد يزينه
١٣٠٨	٢٤٣ ٧٤٠ ٣٨ ٢٠٥ ٨٣
	وراق بها وافاه فافتر باسما
١٣٠٨	٣٠٧ ٤٣ ٩٣ ٧٦١ ١٠٤
	وهاك عقودا عز طيب نظامها
١٣٠٨	٣٢ ١٨١ ٧٧ ٢١ ٩٩٧
	بها كل شطر راع كالدر صنعه
١٣٠٨	٨ ٥٠ ٥٠٩ ٢٧١ ٢٥٥ ٢١٥
	ولازلت مسرورا يقول لك المنى
١٣٠٨	٤٧٤ ٥٠٧ ١٤٦ ٥٠ ١٣١

سنة	
	وياحبذا بدر به سهل الامر
١٣٠٨	٧٢٨ ٢٠٦ ٧ ٩٥ ٢٧٣
	مكارمه عليا به انشرح الصدر
١٣٠٨	٣٠٦ ١١١ ٧ ٥٥١ ٣٣٥
	وفى حدها ماجاه بيض ولاسمر
١٣٠٨	٩٦ ١٨ ٤٥ ٨١٨ ٣٣٧
	وخلق بهى الحسن منه ازدرى البدر
١٣٠٨	٧٣٦ ١٧ ١٤٩ ٩٥ ٧٤ ٢٣٧
	ولكن له فيض وأيد هى البحر
١٣٠٨	١٠٦ ٣٥ ٨٩٠ ٢١ ١٥ ٢٤١
	ولكنه فى عقد افرادهم تبر
١٣٠٨	١١١ ٩٠ ١٧٤ ٢٢١ ٦٠٢
	مآثره فى المجد ليس لها حصر
١٣٠٨	٧٤٦ ٩٠ ٣٨ ١٠٠ ٣٦ ٢٩٨
	فأوليتنا حلما به ابتهج البر
١٣٠٨	٥٧٨ ٧٩ ٧ ٤١١ ٢٣٣
	وجاملك التأييد والصفو والبشر
١٣٠٨	١٠٠ ٤٥٦ ٢١٣ ٥٣٩
	لك الشرف الابقى يؤالفه النصر
١٣٠٨	٥٠ ٦١١ ١٤٤ ١٣٣ ٣٧١
	تزين بالبشرى وحل به الطهر
١٣٠٨	٤٦٧ ٥٤٥ ٤٤ ٧ ٢٤٥
	بوجه به قد أشرق النور والنور
١٣٠٨	١٦ ٧ ١٠٤ ٦٠١ ٢٨٧ ٢٩٣
	بأنوارك السمحاء نار لها الشعر
١٣٠٨	٢٨٠ ١٤٠ ٢٥١ ٣٦ ٦٠١
	وأرخ عاما جاء طالعه يسر
١٣٠٨	٨٠٧ ١١٣ ٤ ١١٥ ٢٧٠
	قدومك مبرور لك الحمد والشكر
١٣٠٨	١٧٠ ٤٤٨ ٥٠ ٨٣ ٥٥٧

وفى منتصف الساعة الحادية عشرة ركب الجناب الخديوى المعظم عربته وبمعيته سعادة المدير قاصدا التجول بانحاء المدينة لمشاركة الزينات وفى نهاية ذلك تفضل صاحب الامر بزيارة ضريح الاستاذ الشيخ حسن الضو وكان الموكب الخديوى مؤلفا من كوكبة من فرسان البوليس فى المقدمة وصاحبى السعادة يوسف باشا شهدى وجونسون باشا على ميمنة الجناب العالى وميسرته ثم سرية أخرى من فرسان البوليس فى المؤخرة وسار الركاب العالى فيما لا يوصف من الاجلال والاكرام الى أن عاد الى اليخت فى أواخر الساعه الحادية عشرة هذا ومن أحسن الزينات التى احتفل بها الاهلون فى اسنا زينة كل من مصطفى افندى ومحمد افندى عبد الفتاح وحسن افندى واصف واحمد افندى محمد ومحمد الصادق وجرجس بك ميخائيل وعبد المسيح افندى جرجس والشيخ عثمان عبد المنعم والخواجات بطرس بولس وعبد مريم وعمر حسن حزين وصالح افندى نظيف واحمد افندى سليمان وعثمان زكى الدين

وما تبسم صباح اليوم التالى حتى أشرقت طلعة الجناب العالى فى سماء المصالح الاميرية يجعل لكل واحدة منهن نصيبها من التعهد وحظها من التفقد وصرف سحابة اليوم بل وهجعة من الليل بين مساءلة واستعلام وفحص واختبار فلو أمعن الناس النظر وأعملوا الفكر وسبروا بمعيار الحكمة ما يقوم به أدامه الله من جلائل الاعمال وما يفرضه على ذاته الشريفة فى كل لحظة وآونة لتاهوا فى بيداء الحيرة وكانوا غير ملومين ولظفقوا يتساءلون كيف تأتى لجنابه الفخيم تجشم هذه المتاعب ومقاومة تلك المصاعب فى سبيل اعلاء شأن البلاد وسعادة أهلها والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وفى الساعة السابعة ركب جنابه الرفيع عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير وقصد مشارفة الهيكل حتى اذا انتهى اليه خف لملقاه جناب المسيو غريبو مدير المتحف المصرى فأخذ جنابه العالى يفاوضه الحديث عن أمر هذا الهيكل ويستنبئه عما ينبغى اتخاذه من الوسائل لوقايته من عاديات الازمان وطوارئ الحدثان اذ لم يكن مسيره اليه حفظه الله لمجرد سماع الاثر وبعد صيته واغا هو لغاية أرفع وأسنى ومقصد أعلى وأسمى أصبح أشهر من أن يشهر وأجل من أن يذكر

شهار حه جنابه السامى الى المحكمة الشرعية فالمأمورية القضائية فصلحة الهندسة فالضبط فشكنة البوليس وفى جميعها كان أدامه الله يستقصى العمال ويستطلع الاعمال ويسبر الاحوال سبر حكيم مفضال فلم يدع نقيرا الا علمه ولا قتيلا الا أدركه ولا موكولا اليه أمر من الامور الا سأله ولا مجدا مقبلا على عمله الا شكره ولا متوانيا محجما الا استنشطه وبعد ذلك وجه المسير الى المدرسة الاميرية وقد كانت تلامذتها قياما على اقدام الانتظام يغازل الفرح صدورهم ويستبق التبسم ثغورهم فلاح لهم الموكب العالى حتى تنافست الاصداء فى ترديد دعائهم وحسدت الشمس اشراق وجوههم ثم أخذ ولى الامر ينتقل فى مواطن التدريس مختبرا باحماس مستعملا لايدلى بالفحص الى غير ذاته الشريفة ولا يعهد أمر الاختبار الا لجنابه العالى شأنه حفظه الله فى تعرف الحقائق واستكشاف كنه الاحوال

وفى الساعة العاشرة اطلقت المدافع ايذانا ببارحة الجناب الرفيع فتقاطرت أفواج الاهلين يقبلون زرافات ووحدانا وانهالت عشائر الاعراب ينثالون فرسانا وركبانا وأحدقوا بالبخت من الجانبين يتمايلون تارة ويتخترون أخرى مدلين بصاحبة أمير البلاد تحسبهم وقد غشاهم نقع الجياد سحبا سائرة أو أمواجا متكاثرة وكلما مروا على قرية تابعهم أهلوها فرحين مهللين حتى وصل البخت فى منتصف الساعة الثانية الى الاقصر وما أدراك ما الاقصر هى عنوان الفخر ومثال المجد وحجة السبق وهى فيصل المفاضلة وحكم المطاولة وموئل المفاخرة تسلسلت القرون وتتابعت السنون وهى تمرح فى ميدان المجاراة وتجول فى حومة المباراة وتختال فى سوق المغالاة فلا افترقنا ولا صادفت خدنا حتى اذا أدرك الدهر أن ريحه لاقتناء عصارا بادره ورجع باللائمة على نفسه واستدرك ما جنته يداه فأخذت تغذ السير الى استعادة بهجتها واستتمام ها التهافل بعض كبير زمن حتى اتسع نطاقها وعلا سعدها وانصرفت نحوها الوجوه وتخطت اليها الرحالة من أقصى البلاد واتخذوها لهم سكنا ومقاما يقضون فيه رحلة الشتاء فضارعت مدينة نيس بعد ان كانت يبابا اليس بها أنيس وسحبت على مدن الوجه القبلى ذيل النسيان حتى صح تشبيهها بتلك البقعة بقعة حلوان وما جاورها من القرى والبلدان

وقد كانت الاسكلة حافلة بصنوف المخلوقات مزدانة بألوية المسرات تكتنفها جماعات من رجال البوليس رجالة ومشاة فلما شرفها الجناب الفخيم هرعت وفود المهنئين من عالية أعلام وذوات كرام ووكلاء الدول العظام ثم ركب حفظه الله عربته المخصوصة والى جانبه حضرة مديرنا وسار يؤم هيكل الكرنك فى موكب جليل محفوفا برجال معيته العسكرية يقدمه كتيبة من الفرسان و يتلوه مثلها فبلغه فى منتصف الساعة الرابعة وهو أفخر آثار مصر وأفسحها مدى وأبعدها شهرة شارفه الجناب الرفيع بصحبه جناب المسيو غريبو ثم بارحه الى نزل الشركة التوفيقية فلما شرفه نحرت الذبائح شكرا لله على منة التوفيق باجتلاء أنوار حضرته العلية وأخذ أدامه الله يطوف بحجرات المحل فراقه براعة وضعه وشاقه رشاقة صنعه وأقبل على مديره فهنأه على ما أتاه من الهمة وصرفه من العناية ثم وجه المسير تطالعه السلامة الى المستشفى فلما وافاه ابتدر لقياه جناب المسيو كوك والدكتور سليم زيدان وسارا بين يدى حضرته العلية فى جميع الاماكن يجيبان على كل سؤال يلقيه الجناب العلى الشان

أما هذا المستشفى فهو فى نهاية الاحكام ضخم البناء رحيب الساحة متناه فى السمو وبه حديقة أخذت زخرفها شيده جناب المسيو كوك على نفقته الخاصة وجعله ملاذا للعوزين من الاهلين وانه لعمل خيرى يخلد له حسن الاحدوثة وطيب الذكر

وبعد ان أتم الجناب الرفيع مشارفته جلس فى بهرة الحديقة ومن حوله أماجد القوم وأعاظم النزلاء حتى اذا اطمأن بهم الجلوس أقبل جناب المسيو كوك فمثل بين يدى الجناب العالى وألقى الخطاب الآتى

﴿ مولاى ﴾

ان هذا المستشفى الذى تطلع فيه الآن أنوار جنابكم السامى قد كان بناؤه على نفقتى وموازرة جماعة من الرحالة على أنى لم أنتهج منهاجه وما أدرت سياجه الا لأن يكون حمى لذوى الاقلال من وطنيى هذا المركز يعالجون فيه ابتغاء مرضاة الله وانه ليسرنى ان أبذل النفس والنفيس فى هذا السبيل وأستنهض اليه همم غيرى من ذوى البر والاحسان كما كان ذلك منى منذ ست عشرة سنة خلت اذ كنت أبعث بالاطباء الى هذه النواحى

فيتوارد عليهم الاهلون توارد الصادى الى الماء النمير وهذا ما حدانى الى سد ذلك العوز فشيدت هذا المستشفى وكانت مثوبتى عند الله ان جعل افتتاحه على يد جنابكم العالى فتفضلوا باسداء هذه الامنية دام جنابكم الرفيع موفقاً لما فيه صلاح الرعية

فأجابه الجناب الخديوى المعظم بهذا الخطاب

لقد وقع ملتمسك لدينا آنس موقع وأخص مكان وانى لارتاح الى أن أكون واسطة ذلك العمل الخيرى الذى ساقك الله اليه وأقدرك عليه اغاثة لهؤلاء المعدمين سكان هذه الناحية الحافلة بالآثار الدالة على ما كان لها فى الاعصر الخالية من رفعة القدر وعظيم الخطر

على انه اذا كانت هذه الآثار الفاخرة تشهد لذويها بفخامة الشأن وجلالة المنزلة فان هذا البناء الوضيع الذى شيدت بالبر أركانه وثبت بالاحسان قواعده سيكون أكبر شاهد وأقوى برهان على شفقتك ورأفة قلبك وهذه الانفس التى سيعود عليها بالخير سعيك وبالسلامة من الضر صنعك ستعطر الاندية بشكرك وتشنف الاسماع بذكرك هدانا الله واياك سواء السبيل وهو أرحم الراحمين انتهى

فهنالك علت الاصوات بالدعوات وتهللت الوجوه بالفرح وأقبل الجناب الرفيع على صاحب ذلك الصنيع الحسن فهنأه مرة أخرى ثم بارحه الى فندق الاقصر فشارف جميع مواطنه وبعد ذلك عاد الى اليخت فدعا لتناول الطعام ثلاثة وعشرين مدعواً تشرف منهم بالجلوس على مائدة جنابه الكريم حضرات مديرقنا والقاضى وأبو السعود بك وعلى باشا وهبى

وفى نحو الساعة التاسعة طاف جنابه الفخيم جهات المدينة لمشارفة ما فيها من الزينة والاضواء ثم عاد الى اليخت فى كمال الساعة العاشرة وكانت تلك الليلة من أحسن ليالى الدهر سارت الركبان باحاديث صفوها وعقمت حبالى الليالى عن انتاج مثلها فهى بكر الزمان وأعجوبة الامكان

وفى صبيحة يوم الخميس (٢٩ يناير سنة ١٨٩١) عزم أمير البلاد على مشارفة قبور الملوك والاطلال القائمة على الجانب الايمن للنيل فبارح المدينة فى الساعة السابعة على اليخت الخديوى فيض ربانى يصحبه كبار موظفى معيته السنيه وحضرات جونسون باشا ومديرقنا

وأبو السعود بك وسار اليخت يشق عباب الماء وكان البحر رهوا والجو زهوا فرسى على مسيرة كيلومتر من المدينة واذ ذاك امتطى الجناب الفخيم صهوة سابح كريم يحف به رجال معيته العسكرية وجماعات من فرسان البوليس يتلوهم ألوف من ركبان الاعراب قاصدا جدث الملك سيتى فبلغه فى منتصف الساعة العاشرة وهنالك ترجل عن جواده فوافاه فى كمال الساعة العاشرة وهو أبهج آثار تلك الناحية منظرا واجلها خطرا مضى عليه حين من الدهر وهو خفى المنزلة خامل الذكر تتنابه عوامل الدمار وتساوره يد البوار حتى قيض الله رجال المتحف المصرى فرفعوا من رايته وأظهروا من آيته وأنقذوه من تلك الطوارئ واستنفدوا ما كان به من الدخيل وأناروا مشكاته للمستبصرين

وبعد أن استطلع الجناب الرفيع جميع حجراته مدت فى احداهن موائد الكرم وتشرف بالجلوس على مائدة جنابه الكريم كل من حضرات عبد الرحمن باشا رشدى والجنرال يوسف باشا شهدى والكولونل جورست وجونسون باشا والدكتور سالم باشا والمسيو كولك ومديرنا ثم ركب فى أواخر الساعة الثانية عربته المخصوصة والى جانبه سر تشريفاتى جنابه العالى حتى اذا اشرف اليخت أم العودة الى الاقصر فأتاها فى أوائل الساعة الرابعة

أما المدينة وقد ألقى الليل عصاه ونشر أجنحته فكانت منتدى فرح ومجمع ارتياح ومتبوأ مرح ومغنى انشراح طاولت الشمس ضياء والسماء بهاء والنجوم رواء وتحلت دورها ونواحيها بأجمل من القلائد فى نحور الولائد فلا بياض النهار يفوتها ولا شذا الأزهار يعوزها

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الجمعة (٣٠ يناير) بارح صاحب الامر مدينة الاقصر الى ناحية نقاده فوافاها فى نحو الساعة التاسعة ومارسى اليخت حتى ملئ الفضاء بمن لا يحصون عدا من الاهلين يتدفقون كالسيل المنهمر يحدوهم البشر ويقدمهم السرور ويود كل واحد لو يكون السابق فيفوز باجتلاء أنوار أميرها الماعود هم انعامه وأفاض فيهم احسانه وبعد قليل أقبل سراتهم وأولو الامر منهم فمثلوا بين يدى حضرته العلية وتشرفوا بلثم الاذيال الخديوية ثم ركب جنابه العالى زورقا بخاريا يصحبه حضرات عبد الرحمن باشا رشدى والجنرال يوسف باشا شهدى وجونسون باشا ومديرنا والدكتور

سالم باشا وقصد الجانب الايسر للنيل فلما شرفه هرع لملاقاته جناب الوجيه بطرس بشاره وكيل دولة فرنسا بتلك الناحية وسار بين يدى جنابه السامى الى صيوان رفيع العماد أقيم اكراما للذاته الشريفة زخرفت جوانبه بأغلى الطيالس وغشيت أرضه بفاخر الطنافس وأعد فى وسطه ماحلا وطاب من لذيذ المرطبات وسائغ المشروبات فلما انتظم عقد الجلوس تقدم غلام قبطى يقال له ولى النعم بمقال عربى بليغ ثم خف المدير فقدم لحضرته العلية سراة الاعيان وكبار الناحية وبعد ذلك أراد جنابه الرفيع الانصراف فاقترب منه صاحب الصيوان ورفع لسدته العلية قطعة من الحرير صنعت بعمامه وزركشت أطرافها بهذه العبارة (أدام الله بقاء الجناب الخديوى المعظم راقلا فى حلل الاقبال) جعلها تذكارا لزيارة جنابه العالى

ولما حان وقت الصلاة ركب وفقه الله عربته المخصوصة والى جانبه سرتشريفاتى جنابه العالى وسار يؤم مسجد قوص فلم يكن الا كلمح البصر حتى تقاطرت الاقوام وامتنع الاقدام وعز الاحجام واشتد الزحام والتفت الاقدام بالاقدام مابين كبير وصغير ورفيع ووضيع على اختلاف الطبقات وتباين الجنسيات تخالهم وقد أحدقوا بالعربة وحدانا وزرافات وشتى وجماعات نجوما منتشرات أوكواكب سيارات لولا ارتفاع الاصوات بالدعوات ومايبدو من علامات المسرات وكلما تهللت فئة ابتهلت جماعة أو ابتسمت شرذمة صفقت طائفة حتى كأنهم جسم واحد تعددت فيه الارواح أو أنهم غصن ادوحة لعبت بهما الرياح فما أحلاه منظرا لايحصره تعريف ولايحده توصيف ولايقوى على تمثيله يراع اللبيب ولامقول الخطيب وان ذلل له القول ومهد له الصواب وحضر له الخطاب وأوتى من البلاغة والفصاحة ماشاءت قوة العارضة وسرعة البديهة كذلك كان باجمعه استقبال الجناب العلى الشان وكذلك كان فى دشنا ويكون فى غيرها من القرى والبلدان

أما قرية قوص فهى شبيهة بروضة ذات أفنان ونخيل وظل ظليل وفرع بليل الا ان دورها ليست فى شيء من ضخامة البناء وحسن الرواء وبها مسجد كبير القدر شهير الذكر شيده الفاطميون فى أوائل القرن السادس من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة

والسلام وهو وان كان مما تطرف به أندية علماء الآثار اذا ضمها الاحتفال وتمحى فيه الاقوال غير انه لا يجمل ذكره فى مصاف مساجد القاهرة فانها تفضله احكاما وبهجة وتفوقه نظاما ورفعة أما منبره ومحرابه فهما على جانب عظيم من اتقان الصناعة وبراعة النقش

وبعد أداء الصلاة تفضل الجناب الرفيع أدامه الله فأجزل العطاء وطوق المنن وأسبغ النعم وخلع الخلع على من اصطفاهم ورعاهم وأمر باقامة الاذكار وتلاوة آى القرآن المجيد ثم عاد الى البخت والناس فى الصدور كالورود منشرحو الصدور باسمو الثغور يقرؤون سور الثناء من صحائف النفوس ويسطرون آيات الدعاء فى القلوب بديل الطروس

وفى الساعة الخامسة شرف البخت قرية دشنا فكان له من مظاهر الاحتفال ومناظر الاستقبال ما يعرف الكاتب معنى الاجلال ويكشف له الغطاء عن حقيقة الولاء ثم استقبل الجناب العالى وفود المهنئين ودعا لتناول الطعام عشرين عظيما من كبار الموظفين وأكابر الوجوه أهليين وأجنبيين وكانت تلك الليلة من أبهج الليالى بهاء وأجلها رواء وأوفاها صفاء وأزهاها ضياء فيها رفعت أقواس النصر فرحا بصاحب الامر وأقيمت حولها السرادقات تتهادى بها الاهلون بين نور وزهر وسطعت خلالها الانوار من مبتداها الى مطلع الفجر وفيها أفاض ولى النعم سوابغ نعمه وأمر باقامة الذكر الحميد من فيضه وكرمه وعامل الاهلين بما جبلت عليه مكارم شيمه

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم السبت (٣١ يناير) وجه جنابه الفخيم المسير الى ناحية نجع حمادى فوافاها فى أواخر الساعة التاسعة وبعد قليل بارح حفظه الله البخت يصحبه حضرات المدير وجونسون باشا وسار راجلا بين ثغور تبتسم وألسنة تنطلق بالدعاء فزار قلم الضبط فسكنة البوليس فمكتب الصحة فمكتب البوسطة فالمأمورية القضائية

وبعد ذلك ركب الجناب الخديوى المعظم عجلته بين تهليل الجمهور وتكبيره ثم بارحها أيضا قاصدا التشريف فوريقة الموسيو ده لافيت وكان الى جانبى حضرته العلية كل من أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى والدكتور سالم باشا وجونسون باشا ومدير قنا والموسيو الن يوسف

ونحو الساعة العاشرة أرسى الزورق المقل للحضرة الخديوية على فم الترعة الرشوانية فصعد الجناب الرفيع الى مرفأ منصوب بشفير النهر ومنه الى مدرج قد كسي بنفيس البسط وكلل بالاعلام والرايات يكتنف جنابه العالى ويتبعه كل من الموسيو دهلافيت المقاول وجناب جرنتش بك وحضرة الموسيو ستنت المهندس المعين من قبل الحكومة لملاحظة الاعمال الصناعية بمركز فرشوط ثم ركب الجناب الرفيع قطارا مخصوصا فى عربة تفنن الموسيو دهلافيت فى تزيينها بالمخمل الاحمر وبالاعلام المصرية والنقوش والاصباغ البديعة ووليها عربات المعية السنية وسار القطار الخديوى فى وسط نحو الخمسة آلاف نفر من رجال حضرة المقاول وألوف من البدو ممتطين صهوات الجياد يهللون ويهتفون بالدعاء للذات الخديوية مسافة نحو ألف متر ثم اجتاز الركاب العالى قنطرة ترعة الساحل وكان على مسافة منها قنطرة أخرى قد أنشئت حذا سيالة الرشوانية لمرور الجناب الرفيع فاجتازها أيضا وبعد مسير ٣٠ مترا منها توقف القطار وترجل الجناب الخديوى المعظم فشرف كشكا جميل الشكل والوضع استراح فيه برهة من الزمن وتفضل بشرب القهوة بمن يد جناب الموسيو دهلافيت وكان بالجهة المقابلة لمدخل الكشك منظر فى غاية من الغرابة هرم شامخ الذرى مركب من نحو ثلاثمائة ألف معطف من معاطف العملة والى جوانبه واضلاعه الكثير من الاعلام ذات الالوان الزاهية وطاقات الرياحين والازاهير مرتبة على شكل أنيق ووضع بديع مما جعل تلك البقعة سلوة للخواطر ونزهة للنواظر بما جمعت من تأنق المدن وبساطة البدو

ثم بارح الجناب العالى هذا الكشك قاصدا سيالة الرشوانية فتفقدها بما اعتاده من دقة الاعتناء ودقيق النظر وكان البدء بعمل السيالة المذكورة فى شهر دسمبر سنة ١٨٨٩ والفراغ منه فى شهر يوليه الماضى وبلغت نفقاتها ١٠٠٠٠ جنيه على وجه التقريب والغرض منها امرار مياه ترعة الساحل تحت ترعة الرشوانية بواسطة ٣ عيون عرض الواحدة منها ٣ أمتار وقد بنى أيضا فوق السيالة قنطرة موازنة ذات ست عيون وكان حفر جدران هذه السيالة على النور الكهربائى وهى المرة الاولى التى استعمل فيها هذا النور لمثل هذا الغرض بصعيد مصر

ولما انتهت الزيارة عاد الجناب العالى الى الكشك فى مثل ما جاء من الاحتفال ومن ثمت ركب القطار المخصوص ولا تسل ١٤ كان حينئذ من تهافت الجمهور وتسارعهم على اظهار علامات الولاء والطاعة والسرور والحبور لولى النعم الافخم مما لا يقوى على وصفه لسان أو بيان واستمر الحال على هذا المنوال الى ان ركب الجناب العالى الزورق البخارى وسار فى عرض البحر وعين الرعايا بالشوق ترقبه وبالدعاء تتبعه

هذا وقد اغتنم الموسيو دولافيت فرصة هذه الزيارة فتشرف بتقديم قرص من الفضة قطره نحو ٨ سنتيمترات مرسوم على وجهيه بالعربية والفرنساوية ما نصه (تذكار لتشريف الجناب الخديوى المعظم محمد توفيق الاول لمدينة فرشوط) وبأسفلها تاريخ الزياره

ولما كانت الساعة الحادية عشرة عاد الجناب الخديوى الى اليخت وكان راسيا على مسافة كيلومترين من الرشوانية وبعد ذلك ببضع دقائق قام الركاب العالى قاصدا جرجا وعند ذلك استأذن كل من سعادة مديرنا وحضرة أبو السعود بك فى العودة الى مقر وظيفتهما

وبعد أن وقف اليخت الخديوى قليلا تجاه البلينه تخفق عليه الاعلام وتكللها الرايات أرسى فى الساعة الثانية بعد الظهر على مدينة جرجا

وليست جرجا الآن سوى قاعدة مركز أو قسم وقد كانت فى الاصل تخت الصعيد ثم صارت مركز المديرية ومع ذلك لا تزال تعد من المراكز المهمة وان كانت الآن بمراحل من الزمن الذى كان حاكم مصر من المماليك يلقب فيه بوالى القاهرة وجرجا

ولم يلق اليخت مرساه حتى صعد اليه حضرة مدير جرجا مؤديا رسوم الاجلال للحضرة الخديوية وفى منتصف الساعة الثالثة بارح الجناب العالى (فيض ظفر) وبمعيته السنية سعادة عبد الرحمن باشا رشدى قاصدا تفقد أحوال الزراعة وحاجات الرعية بالجهات الواقعة الى شمال جرجا واستمر مسير الركاب العالى فى اتجاه جسر الجرجاويه وهو المعد لمرور عربات السكة الحديديه الى أن شرف بلدة أولاد حمزه فتفضل بتشريف دار أحد أعيانها اسمعيل بك أبو رحاب وكان قد شرفه قبل الجناب الخديوى جد ساكن الجنان المرحوم محمد على باشا الكبير أثناء سياحته فى الوجه القبلى

وفي منتصف الساعة السادسة عاد الجناب العالي من أولاد حمزة على اليخت الخديوي (فيض رباني) الى يخته المخصوص (فيض ظفر) وحينئذ مدت به الموائد فجلس للاكل نحو ثلاثين مدعوا كان منهم على المائدة الخديوية جونسون باشا وحضرات المدير والقاضي والموسيو ألن يوسف وقس القبط

وفي الساعة التاسعة ركب الجناب العالي عربته والى جانبه حضرة مدير المديرية قاصدا التجول في شوارع المدينة لاجتلاء الزينات وجبر خواطر من قاموا بها كما هي شمائل الحضرة الفخيمة الخديوية حفظها الله وقد تفضل أيضا جنابه الرفيع بزيارة جامع الاستاذ الشيخ أبي عمرو وأمر بإقامة الذكر وتلاوة آي القرآن الشريف به جاعلا كل ذلك على نفقته الخاصة

ولما عاد الجناب الرفيع الى اليخت كان سعادة السردار منتظرا الاذن به على حضرته العليه فأذن له وبعد ذلك ابتدأت التشريفات على الترتيب المعتاد وكان حضرة صاحب العزة محمد بك جودت مدير جرجا هو القائم بادخال الوفود الى حضرة الجناب العالي

وفي المساء أجريت الالعاب النارية أمام اليخت وكانت بديعة الرونق والرواء وكذلك كانت الزينات حافلة بهية تفوق ماشوهد في كثير من المدن والاماكن وكان من أكملها انتظاما وأعمها اتقانا زينات حضرات اسمعيل بك أبو رحاب وعبد اللطيف بك والخواجه عبد الملك مقار ومهندس المركز والسيد عبد المجيد الانصاري القاضي وحكمدار البوليس ومحمد افندي حسين المقاول ومأمور المركز وعبد الحميد افندي والخواجه ميخائيل اقلاديوس والخواجات واصف ميخائيل وروفائيل جرجس وجرجس بطرس ومكتب البوسطه الخديويه والاجزخانة وغير ذلك

وفي منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الاحد كانت أهالي جرجا واقفة على شاطئ النيل مودعة ركاب الجناب العالي وقد تحرك للسير وهم يتبعونه بالدعوات الصالحات وهتاف التهليل والتكبير وما غاب منظر اليخت عن أعينهم حتى أشرقت طلعة أمير البلاد على أهالي المنشية فكانوا يسيرون على البر في مقابل اليخت وهم يهللون ويدعون الى أن أقبل الركاب العالي على اخميم ثم عرج على سوهاج فأطلقت من ساحلها المدافع يتخلل دويها أصوات الاهالي مهللين أيضا لمرور ولي النعم الافخم

وفى أوائل الساعة الثانية بعد الظهر ألقى اليخت مرساه بورود طهطا على الشاطئ الايسر للنيل أمام مدينة طهطا فتبعد عن النهر بنحو أربعة كيلومترات وهى قاعدة المركز أو القسم الشمالى لمديرية جرجا ويقابلها من الشرق رأس من الجبل يعرف عند العامة بجبل الهريدى أما قرية الساحل فواقعة على مسافة ثلاثة كيلومترات من النيل و ١٢٠٠ متر من طهطا التى هى فرضتها ويخترقها من طهطا الى النيل طريق منتظم يصلح لمرور العربات وهو الطريق الذى نصب على جانبيه حضرة الموسيو دبيننش ملتزم الجسر الحديدى عمدا بين الواحد والثانى منها مسافة عشرين مترا تخفق فوقها الاعلام المصرية ويصل بينها أمثال الاقواس من الازاهير وأغصان النخل والشجر وفى أولها وآخرها باب نصر سامى الذرى رفيع العماد قد كتب عليه اسم الجناب الخديوى المعظم

ولما كان المنتظر مرور الجناب العالى فارسا من النيل الى المدينة عنى حضرة المقاول بفرش بساط نفيس على الجسر الموصل اليها ثم أنشأ فى منتهاه سرادقا محكم الشكل والوضع لطيف المنظر جميل الرونق زينه عند مجلس الجناب الرفيع بصورة كل من دولة النجلين الفخيمين البرنس عباس وشقيقه البرنس محمد على وزخرف المدخل اليه بأنواع الزهور وأشكال النباتات مما جعله بهجة للنفوس وقرة للعيون

وبعد انتهاء التشريفات باليخت الخديوى ركب الجناب العالى عربته والى جانبه صاحب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى قاصدا مدينة طهطا فتشرف منها بالزيارة ادارة المركز ودار البوليس والمحكمة الشرعية ومنزل حضرة مخلوف بك ثم مسجد سيدى الاستاذ أبى القاسم وهنالك أوسع العطاء للفقراء والبائسين وأجرى المبرات على مستحقيها

ومن ثمت ركب جوادا مطهما قاصدا التشريف بدار حضرة عزتلو السيد على بك رفاعه وكيل نظارة المعارف العمومية سابقا فتلقاه حضرة البيك بما يليق بمقامه السامى من الاجلال وقد سر الجناب العالى كثيرا بما رأى بمنزل حضرته من مجاميع أنواع المحاصيل الزراعية والصناعية التى تشاهد بذلك الاقليم من القطر المصرى وبارح المكان مظهر الصاحبه جليل الالتفات وبعد ان تجول جنابه الرفيع بسوق البلدة ومر بباب النصر الذى أقامه الموسيو دبيننش ركب العربة الخديوية قاصدا بجنته الخصوص وفى مقدمة الموكب سرية من فرسان البوليس والى جانبى الحضرة الخديوية سعادة جونسون باشا ويوسف باشا شهدى

ومدير المديرية يتلوهم الحرس الخديوي الخاص ورجال المعيه المدنيون والعسكريون ثم جم غفير من أهالى طهطا يهتفون بالدعوات والبركات للجناب العالى وقد انضم اليهم فى الطريق أهالى ساحل طهطا وغيرهم من سكان القرى المجاورة واستمر الحال على هذا المنوال الى أن ركب الجناب الخديوى المعظم يخته (فيض ظفر) وأذن لحضرة مدير جرجا فى العودة الى مقر وظيفته ثم تحرك اليخت للسير وقد علا هتاف الناس بالدعاء والجناب الخديوى يتكرم عليهم بأشارة السلام الى ان غاب الساحل عن النظر وتوسط اليخت النهر فبدأ حينئذ للجناب العالى منظر لا يخلو من الغرابة وذلك ان رجالا قصدوا اليخت فى قوارب لهم من الخشب صغيرة يحركونها بقوة المجاذيف حتى اذا اقتربت منه رموا اليه بطاقات أو حزم صغيرة من القصب معقودة فى أواسطها بحبل صغير بطرفه منديل فارغ كناية عن طلب الاحسان من حضرة ولى النعم الافخم فكان حفظه الله يأمر فتوضع الصدقة بالمنديل ويصر عليها ثم يقذف بالبطاقة الى النهر فتتسابق أصحاب القوارب على التقاطها من الماء داعين فى كل حال لولى الاحسان ورب العوارف والعرفان

وفى الساعة السادسة مساء أقبل اليخت الخديوى على بلدة (أبو تيج) فى مرفأ يعلوه باب نصر فخيم وتخفق عليه الرايات وقد لمعت أضواؤه وسطعت أنواره بمثل أقواس السحاب من النور على الجانبين وجميع الزوارق والسفن بالمرفأ تلمع بأنوارها كالدرارى ويقابلها بمثل ذلك البهاء والرواء ما واجهها من الضفة الاخرى للنيل

وكان بالمرفأ فى انتظار الجناب العالى سعادة احمد باشا شكرى مدير اسيوط وجناب الماجور برون مفتش الرى وفرقة من فرسان البوليس ومشاته مصطفين لتأدية رسوم السلام العسكرى فلما ألقيت المراسى بادر سعادة المدير وحضرة المفتش بالصعود اليه لاداء رسوم التهانى للجناب العالى هذا وقد سبق الاقرار بعجز اليراع عن وصف مشاهد احتفال الاهالى باستقبال الجناب الرفيع أينما حل ركابه العالى وهنا لا بد من تكرار ذلك الاعتراف تلقاء ما كان من الاحتفال بملقاه فى أبو تيج

وتبعد هذه المدينة مسافة ٢٤ كيلومترا من اسيوط وهى قاعدة المركز أو القسم الاخير لهذه المديرية من الجنوب

وبعد السلام مدت موائد الطعام وشملت دعوة الجناب الرفيع اليه ٣٥ من أعيان الذوات والموظفين تشرف منهم بالجلوس على المائدة الخديوية سعادة جونسون باشا واحمد باشا شكرى والماجور برون وحضرة القاضى ومحمود بك سليمان ومصطفى بك خليفه ولما كانت الساعة الثامنة ابتدأت التشريفات السنية وبانقضا نهارها ركب الجناب الخديوى المعظم عربته المخصوصة والى جانبه الرفيع سعادة المدير للتجول بشوارع المدينة ومشاهدة زينات الاهلين بها وقد تفضل حفظه الله فى أثناء ذلك بزيارة جامع سيدى الاستاذ الشهير الشيخ القرغلى ثم بتشريف كشك حضرة محمود بك سليمان وكيل مديرية اسيوط سابقا المبنى فى مدة لا تقل عن الستين يوما ولا غرو فهو بالسراى أشبه منه بالكشك وفى أوائل الساعة الحادية عشرة مساء عاد الجناب الرفيع الى اليخت وعند ذلك ابتدأت الالعاب النارية على ضفتى النهر وكانت الموسيقى الخديوية تصدح بنغماتها المطربة وألحانها الشجية

وفى الساعة السابعة من صبيحة يوم الاثنين الثانى من شهر فبراير ركب الجناب الخديوى المعظم زورقا بخاريا وفى معيته السنية أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى والدكتور سالم باشا وجونسون باشا قاصدا تشريف ورشة الخواجات بروارد وأوزبول وشركائهما على مسافة ثلاثة كيلومترات من أبوتيج فوصل اليها الركاب العالى بعد مسير خمس دقائق

ولا يخفى ان المبانى التى عهد بانشائها الى هؤلاء الخواجات هى بعض مما اقتضاه مد السكة الحديدية بالصعيد الاعلى والتزم به التزاما عموميا حضرات الخواجات سوارس وهى عبارة عن قنطرة ذات ثلاث عيون بين كل منها مسافة ٤٠ مترا يغطيها سقف من المعدن تمر عليه السكة الحديدية وموقع هذه القنطرة بالقرب من أبوتيج وهى تستخدم أيضا لصرف مياه حوض بنى حسين الى ترعة قد أزمعت على انشائها نظارة الاشغال العمومية وشرعت فى حفرها فى الصيف الماضى غير انها اضطرت لترك العمل فيها بسبب صعوبة نزح مياه الرشح التى تتجمع بقاعها على الدوام فتوجب تعطيل الاعمال

فوقف الزورق الخديوى على مرسى صناعى يوصل الى أعلى الساحل مفروش بالبسط وعلى جانبيه الاعلام والرايات وتلقى الجناب العالى به حضرة الموسيو أوزبول المقاول المذكور

ومن ثمت ركب الجناب الخديوى المعظم ورجال المعية وحضرة المقاول عربات الخط الحديدى وكانت المركبة الخديوية مزدانة بالاعلام وحلقات الزهور والاغصان وبأقصى الخط باب نصر تخفق عليه كذلك الاعلام وتتصل منه على عمد مرفوعة بجانبى الطريق الى أقصاه أما الجماهير التى ازدحمت بهاتلك البقاع فى ذلك اليوم فلم تكن مؤلفة من وفود أبو تيج فقط بل انضم عليهم الكثير من البلدان والقرى المجاورة فضلا عن العدد الكبير من العملة والصناع القائمين باعمال المقاولة ولذلك كانت جلبة هتافهم وأصوات دعواتهم لا تنقص شيأ عما كان فى احتفال اليوم الماضى

وقام بتلقى الجناب العالى ساعة نزوله من العربة حضرة الماجور برون وأرباب الالتزام والموسيو شبرد أحد مهندسى نظارة الاشغال العمومية والموسيو فروند المهندس المعين من قبل الخواجات سوارس والمهندس فوميل المعين من قبل الموسيو كازتستين المقاول وبعد السلام توجه الجناب الرفيع وبين يديه الماجور برون لمشارفة الاعمال الجارى انشاؤها وقد تبين من الاستعلامات التى استعلمها من جناب الماجور والموسيو أوزبول ان عملية البناء لم يبق على انجازها سوى بضعة أشهر وأن السقف المعدنى يتم تركيبه قبل آخر هذا العام على كل حال

ولما تهيأ الجناب الخديوى لمبارحة الورشة تفضل أعزه الله بالاعراب عن مزيد سروره ووافر انشراحه من حسن قيام الملتزمين باعمالهم فكانوا كلهم ألسنة فى الدعاء للجناب العالى والشكر على ما أولاهم من شرف الزيارة والاهتمام وقد حظى الموسيو أوزبول بالركوب فى معية الحضرة الخديوية فى الاياب كالذهاب وكان الوصول الى اليخت الخديوى نحو الساعة الثامنة

وفى أوائل الساعة التاسعة سار باليمن والاقبال قاصدا بلدة نقاده وبه الموسيقى العسكرية تعزف بانغام السلام الخديوى وتلامذة المدرسة الاميرية وقوف على ضفة النيل والاهلون حولهم يتزودون من النظر الى أميرهم المعظم وولى النعم يتفضل عليهم باشارة السلام فيهتفون داعين شاكرين الى أن بارح اليخت مدينتهم

هذا وقد أمر الجناب الخديوى المعظم باحياء الليلة البارحة بالاذكار والقراءة فى المسجد الفرغلى فاشتغل بذكر الله نحو مائة وعشرين شخصا ونحو الاثنى من القراء بتلاوة

دلائل الخيرات وعشرة بتلاوة آى القرآن المجيد وقد وزعت عليهم جميع الصدقات من لدن الحضرة الفخيمة الخديوية

ولما كانت الساعة الثانية عشرة تقريبا وصل البخت الخديوى بالسلامة الى بلدة أبنوب بعد أن مر بأسيوط وأطلقت منها المدافع اجلالا واكراما أما استقبال أهالى ابنوب لولى النعم المعظم فقد فاقوا به كل بلد مما حتفاء واحتفالا وتعظيما واجلالا فأنشؤا تجاه مرسى البخت الخديوى سلما زينوه بالاعلام وكسوه بالبسط النفيسة وبأعلاه باب نصر بديع الاحكام والاتقان يكتنفه من الجانبين زينة حافلة تمتد مسافة عظيمة مشرفة على ضفة النيل ويليها صفوف الفرسان والجنود وقوفا لتأدية رسوم السلام العسكرى للحضرة الفخيمة الخديوية وخلفهم من كل جانب الجماهير التى لا تحصى من الوفود يهللون ويكبرون لمقدم أمير البلاد وولى النعم فيجاوبهم بالتهليل والتكبير أيضا من الضفة الاخرى فرسان البدو وسكان تلك القرى والاصقاع

وبعد مرسى البخت بقليل من الزمن ركب الجناب العالى زورقا بخاريا والى جانبه الرفيع سعادة المدير قاصدا الضفة المقابلة لمشاهدة الزينة الحافلة التى أعدها اجلالا لمقدم الجناب الخديوى حضرة الخواجه رفائيل فانوس من أعيان القبط بها وقد حذا حذوه الكثير منهم فتنافسوا وتفننوا فى تزيين البلدة حتى أصبحت بهجة وقرة للعين لا يماثلها الا القسم الواقع منها على الجانب الغربى للنيل وهو الذى يسكنه المسلمون وقد شرف الجناب العالى بالزيارة ذهبية الخواجه رفائيل بالجانب الشرقى وتشرف بالمثول بين يدى جنابه العالى أعيان البلدة وكبارها من القبط ثم تفضل فتشرف القسم الآخر منها فعمت محاسنه واحسانه السكان وخصص بشرف الزيارة حضرة عثمان بك غزالى أحد كبار أعيانها ومن ثمت عاد الى البخت الخديوى فى مثل ما جاء من الاكرام والاجلال

ولما كانت الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم أقبل فيض ظفر على بلدة منفلوط بالضفة الشرقية للنيل وقد كانت تعد فى العين على بعد من أجمل وأحسن المدن منظرا غير أنها قد صارت الآن الى قاعدة مركز ليس الا بعد أن كانت تختا لاقليمها ومع ذلك كان

استقبال الجناب العالي بها مما لم يقل نظيره فيما سلف وعلى صفهم من جماهير تهلل وأدمية تتلى وتلامذة تنشد آيات السرور والحبور وجنود تهتف بهتافات التعظيم والتكريم وغير ذلك مما تقصر البراعة عن بيانه

وفي منتصف الساعة السابعة من المساء مدت الموائد بالبخت الخديوي وشملت الدعوة اليها العدد الكثير من الاعيان والذوات وكان ممن تشرف بالجلوس على المائدة الخديوية سعادة مدير اسيوط وحضرات قاضيها ورئيس محكمتها وأسقف منفلوط وسر تجارها وكبير أعيانها حضرة صالح بك جمال الدين وفي منتصف الساعة العاشرة ركب الجناب العالي عربته والى جانبه سعادة المدير للتجول في البلدة ومشارفة الزينات التي احتفل بها الاهلون وقد وقف ركاب الجناب العالي عدة مرار في طريقه فمرة تجاه دار حسن افندي حلمي أحد أعيان المدينة متفضلا عليه بالاعراب عن حسن الرضا وجميل الممنونية وأخرى بدار حضرة صالح بك جمال الدين منعما عليه بشرف الزيارة ثم بدار الاسقفية متفضلا بسماع نشيد في مدح جنابه الرفيع قام بتلاوته أحد تلامذة المدرسة وأخيرا أمام منزل الخواجه جرجس عبد المسيح من أعيان البلدة

ولما كانت الساعة الحادية عشرة عاد الجناب الرفيع الى البخت وقد أجريت الالعاب النارية على شاطئ النيل وأقيمت الاذكار بجامع المدينة واشتغل العدد الكبير من الفقهاء والقراء بتلاوة القرآن المجيد ودلائل الخيرات على نفقة الجناب الرفيع ولما كانت الروضة هي البلدة التي توجهت نية الجناب الخديوي الى تشريفها بعد منفلوط وهي كما لا يخفى تابعة لمديرية المنيا استأذن سعادة مدير أسيوط في العودة الى مقر وظيفته فأذن له

وفي نحو الساعة السادسة من صبيحة يوم الثلاثاء (٢ فبراير) وجه جنابه الفخيم الرحلة الى الروضة فشرفها وقد بلغ النهار أشده وكانت محطتها كاسمها روضة زاهية أو جنة قطوفها دانية تمرح في ثوب من البهاء وسيم وتختال في رداء من الحسن قسيم قد صفت حولها باقات الرياحين على أشكال الاساطين ورفرفت فوقها الرايات تغازل ألوية المسرات وزخرفت جوانبها بمنثور الاقاح تحف بها الجنود شاكي السلاح حتى اذا لاح محيا جنابه الوضاح على تلك البطاح أقبلت الاهالي من جميع النواحي يبسطون راح

الارتياح بحدوهم الانشراح وتستفزهم الافراح بوجوه صباح احي من الارواح وأزهى من الادواح فانتشروا في الطرقات على أحسن الهيئات وملؤا الساحات يواصلون الدعوات وتسنموا الاكمات يوالون الطاقات يعدون اجتلاء الانوار من أمير البلاد أعلى مستفاد وأعلى مراد بل أعظم زاد وأ كمل اسعاد وأجل من كل طارف وتلاد ثم تقدم حضرات فريد باشا والمسيو جيلوالك ويعقوب باشا أرتين ومحمود بك رياض واسكندر فهمي بك فاستقبلوا الجناب الرفيع وساروا بين يديه الى أقلام التفتيش فتفقدها جنابه العالي بما تعوده من العناية والاهتمام وبعد ذلك غادر راجلا مكان المعمل في موكب ترنو اليه الابصار وتمتد نحوه الاعناق فلما وافاه أخذ أدامه الله يستطلع مجاله ويسائل عماله ويستعرف أعماله وفي خلال ذلك قدم جناب المسيو جيلوالك الى حضرته العلية كبير العملة وهو أقدم صناع المعامل بالديار المصرية وأكثرهم تجربة وأتمهم دربة وأوفاهم دراية انتظم في بداية أمره ومستقبل عمره بعمل المغفور له ساكن الجنان ابراهيم باشا وأخذ من ذلك الحين يجهد نفسه ويستغرق وسعه ويبذل طاقته حتى ثقفته التجارب وسبكته الاعمال وانقادت اليه الآمال فأفاد البلاد ونفع العباد وتناقلت حديثه المحافل وتخرج عليه الجم الغفير من رؤساء المعامل

أما ما كان بحجرات المعمل من معدات الزينة وصنوف الزخرفة وأساليب البهجة فقد بلغ من الظرف غاية ليس وراءها مسرح لناظر ولا مطمح لباصر ولا زيادة لمستزيد ولا متناول لمستجيد ومن الاحكام درجة هي محل الاستغراب وموضع الاغراب ومعنى الابداع وحد الامكان ونموذج الاحسان وقالب الاتقان وبعد أن أتم الجناب الفخيم مشارفتها عاد الى المحطة على قطار أعد لجنابه العلي الشان والناس ما بين طروب وداع ومجد وساع ومهنئ وبسام وشيق ومستهام ومهلل ومبتهل والجنود قيام على اقدام الاقدام يحفظون النظام ويبتدرون السلام والطريق من مبتداها الى منتهاها محلاة الجانبين بالازهار أشكالا وصنوفا والدور من حولها موشحة ببديع الاعلام أجناسا وصنوفا فما كان أحلاه منظرا شاقت نضارته وراقت غضارته وأشرقت بهجته وتلالات غرته

وفي منتصف الساعة الاولى عزم صاحب الامر على مبارحة الروضة الى أبو قرقاص وهي على مسيرة عشرين كيلومترا من المنيا فتشرف الركاب العالي بصحبة حضرات عبد الرحمن

باشارشدى والجنرال يوسف باشا شهدى والدكتور سالم باشا وفريد باشا والمسيو جيلوسالك ويعقوب باشا أرتين وجونسون باشا ومحمود بك رياض والماجور برون وما سار القطار حتى أحدق به ألوف من الخلائق هذا يترنم بالدعاء وذاك يهتف بالثناء والآخر يهنئ صاحبه وكلما أخذهم الجناب الرفيع بنظره الشريف أو تفضل عليهم بسلامه المنيف عمهم الفرح وشملهم السرور فيعلو هتافهم ويشتد اقبالهم وداموا كذلك حتى بلغ القطار محطة أبو قرقاص وكان بها فى انتظار جنابه العالى عربتان أعدتا لركوب حضرته العلية فشرفهما يصحبه رجال معيته السنية وقصد مشارفة معمل الناحية فلما وافاه تهللت الوجوه واستبشرت النفوس وهرعت الجموع وبادر جناب المسيو جيليو مدير المعمل فهنأ الجناب الفخيم بسلامة الوصول ثم تقدمت ابنته وهى فتاة فتية السن لا تتجاوز الاثنتى عشرة سنة فمثلت بين يديه وألقت أرجوزة بالفرنساوية ضمنتها جميل التحيات وجليل التهنئات وقدمت لجنابه السامى باقة مؤلفة من يانع الازهار فشكرها جنابه الرفيع ثم سار فى أماكن المعمل واستفسر عن كيفية سير الاعمال كبيرها وصغيرها جليلها وحقيرها وأثنى الثناء المستطاب على ما عاينه من انتظامها وايقافها على المحور اللائق بها ثم عاد الى المحطة فوجه المسير الى المنيا فأتاها فى أواخر الساعة الثانية وهنالك أطلقت المدافع تبشيرا بتشريف أمير البلاد وأقبلت أفواج الاهالى يتقاطرون من كل صوب وينسلون من كل حدب فرحين مهللين منشرحين فاصطفوا بساحة المحطة تتقدمهم الجنود فأكابر الاهلين فكبار الموظفين فتلامذة المدرستين الاميرية والقبطية وبعد قليل بارح جنابه الفخيم القطار قاصدا مشارفة معمل السكر فلما شرفه ابتدر لقياه سعادة فريد باشا وجناب المسيو جيلوسالك وسارا بين يدى حضرته العلية فى جميع المحال فجعل جنابه العالى يتفقد بذاته الشريفة كل أمر ويسبر غور كل عمل شأنه حفظه الله الذى تعوده ومال اليه وطبعه الكريم الذى عرف به وفطر عليه حتى اذا أحاط علما بجميع الاعمال بارح المعمل فركب جواده يقدمه كتيبة من الفرسان مسلولة سيوفهم ويتلوه حضرات يوسف باشا شهدى وجونسون باشا ومحمود بك رياض وأم شطر الجهة الشمالية حيث كان اليخت الخديوى فلما شرفه جنابه الفخيم أطلقت المدافع ايذانا بقيام الركب العالى وابتهلت الاهلون بصالح الدعوات

وفي أوائل الساعة الخامسة رسى اليخت أمام جزيرة صغيرة تصل بينها وبينه أسكلة فسيحة المدى يبلغ طولها ستين مترا تقريبا أنشئت لهذه الغاية وزينت بديع الاعلام ونذى الازهار وفي منتهاها صيوان رفيع العماد أدار سياجه سعادة حسن باشا الشربجي كبير أعيان منفلوط اكراما للجناب العلي الشان فتشرفه حفظه الله يحف به رجال معيته السنية ومن لا يحصون عدا من الجموع وجلس هنيهة من الزمان أفاض فيها على الحضور سجال نعمه وأوردهم موارد كرمه وتفضل على العمد والمشايخ فأخذ يسائلهم عن أحوال رعيته ويفاوضهم الحديث عن شؤونهم ثم عاد الى اليخت فدعا صاحب الصيوان لمصاحبة جنابه العالي وأقلع الركاب العالي قاصدا الرحلة الى مغاغه

وبينما كانت السفينة تشرح صدر النهر وقد جاوز النهار ربعانه وبسط الليل طيلسانه واذا بالافق قد اكتسى ثوبا نضيرا يخاله المتأمل سراجا مستطيرا أو قمرا منيرا وكلما دنا الناظر من تلك المناظر تجلت للنواظر بأبهج من الرياض النواضر فلولا اختلاف المظاهر لايقن الباصر أن الفجر قد لاح وهذه تباشير الصباح بل لولا نجوم تعلق في الفضاء وسهام تخرق كبد السماء واضواء تتولد منها أضواء فتسير على صفحات الماء كالكواكب في اشباه الكواكب لظن الرائي أن في اليخت يوشع وهذه الشمس تطلع على انه لم يمض كبير زمن حتى اسفرت تلك الرؤيا عن حقيقة أعلى ومنظر أجلى فلاحت قرية مغاغه تختال بين نور ونور وتمرح بين طالع وزهر سورتها الاقواس كالهالات تطاول الكواكب العلويات والتفت حولها الرايات كالتفاف الغابات كنت بها المسرات وزينت من الجانبين بمقصورتين بديعتين أعدت ذات اليمين لامير البلاد وذات الشمال لصاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون كل ذلك رقم وشيه ونسج برده ونضد دره ونظم عقده حضرة الوجيه علي بك فهمي أحد كبار الموسرين

وفي أوائل الساعة التاسعة رسى اليخت فعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوي وأخذ الفرح مأخذه من النفوس وهرعت عظماء الاعيان فمثلوا بين يدي الجناب العلي الشان وبعد قليل تكرم حفظه الله فتشرف المقصورة التي شيدت اكراما لحضرته العلية وكانت تلك الليلة من أبهج الليالي وأزهاها وأسناها منظرا وأرقاها ينسى صفوها معنى الحدثان وتجدد اضواؤها ذكرى الفيضان فأين محلتها وأين الفرقدان بل أين بهاؤها وأين النيران فلا تجتليها فصاحة سحبان ولا يدانيها ابداع بديع الزمان

وفى الساعة السابعة من صبيحة اليوم التالى (٤ فبراير) بارح الجناب العالى المدينة الى ببا فوافاها فى أوائل الساعة العاشرة وهنالك ترجل جنابه الفخيم وسار يتبعه المدير قاصدا السكة الزراعية فلما اشرف عليها ركب القطار المعد لحضرته العلية وأم مشارفة معمل السكر يصحبه حضرات عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى وشوقى باشا وجونسون باشا ومحمود بك رياض والمستر برون وما جاء البشير باشراق طلعته البهية حتى نادى فى الناس منادى الارتياح وخالج صدورهم الانشراح فانهالوا من جميع الجهات يترنمون بصالح الدعوات وأحدقوا بالقطار أينما سار حتى اذا بلغ جنابه الرفيع المعمل ابتدر لقياه كل من حضرات احمد فريد باشا والمسيو جيلوسالى وأخذ أدامه الله يتفقد الاعمال ويستكشف الاحوال فلم تصادف عنايته رئيسا الا استعمله ولا مرؤسا الا استفسره وكان اذ ذاك كمال الساعة العاشرة فوجه المسير الى مدينة بنى سويف فلما صار منها على مسيرة ثلاث مراحل حيث تنتهى السكة الزراعية امتطى جنابه الفخيم صهوة سابح كريم وسار يؤم المدينة فى موكب جليل يحدوه الاقبال وتخفق فوقه الآمال وامامه كتيبة من فوارس الجنود تقدمهم ألوف الوفود وحوله العدد العديد من فرسان الاعراب يتمايلون طربا ويتضربون عجبا فشرفها والشمس فى رابعة النهار والناس ينثالون من كل ناحية كأنما هم فى مضمار

وفى الساعة الثالثة وفدت جموع المهنئين فلاقاهم حفظه الله بما عهد فى طبعه الكريم من وداعة الاخلاق ولين الجانب وعظيم الايناس ثم تفضل فدعا ثمانية وأربعين لتناول طعام العشاء جلس منهم على مائدة جنابه الفخيم حضرات فريد باشا ومحمود بك رياض والمدير وقاضى المحكمة الشرعية ومحمود بك صدقى وكيل المصلحة الصحية

وفى منتصف الساعة التاسعة ركب جنابه العالى عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير وشارف ما كان بالمدينة من مجالى السرور ومناظر الزينة والحبور ثم عاد الى البيت فى منتصف الساعة الحادية عشرة

أما ما صادفه جنابه السامى من مظاهر الاجلال ومراقى الاحتفال أثناء طريقه من ببا الى بنى سويف فلا يقوى على وصفه ناثر وان جنب موارد الزلل ولا يدركه شاعر وان صانته اصالة الرأى عن الخطل وما عساه يحكى لسان ويكتب بنان ويحفظ جنان وقد كان

الامر فوق كل بيان بل ماذا يغني مقال ويحصر خيال وهي الافئدة تهلل ولا دليل سوى المحبة القلبية والالسنة تبتهل ولا عامل سوى المودة الغريزية ثم كان استقبال أولئك الاقوام لولي نعمتهم وصاحب أمرهم على قدر طاقتهم ونسبة موجودهم ولكن لم تكن قلة بضاعتهم وضيق ذات يدهم لتحجب مكنون طويتهم وتحول دون مرادهم فهذا ديباجه منديله وذاك سارية نخيله ونعم البديل وذاك رايته رداؤه والآخر ألحانه دعاؤه وحبذا المثيل

وكان المكان الذي أرسى به البخت على مسافة نحو كيلومترين من مدينة بني سويف وقد كان موقع هذه المدينة قبلا على ضفة النهر فاصبحت الآن بعيدة منه بسبب ما غمرت الرمل من فرع النيل الغربي وانحسر عنه من مائه الا في زمن الفيضان فكانت المدينة الآن على درجة من البعد عن النيل بحيث لا يصح اعتبارها من المدن الساحلية وصارت الصلة بين البخت الخديوي وبينها طريق رحب يحف به من الجانبين أقواس من أغصان الشجر يتخللها لوحات تضمها الاعلام المصرية حاملة شعار الجناب الخديوي المعظم وعلى مقربة من البخت ثلاثة سرادقات

فلما كان منتصف الساعة التاسعة من صبيحة يوم الخميس الخامس من شهر فبراير ركب الجناب العالي عربته والى جانبه الرفيع حضرة المدير قاصدا مدينة بني سويف لزيارة دواوين الحكومة بها فوصل في نهاية الساعة التاسعة يتقدمه كوكبة من فرسان البوليس الى ديوان المديرية وقابله بالتهاليل والتكبير والدعاء جم غفير من الاهلين وأرباب المناصب بها ثم سار حضرة المدير بين يدي الجناب الخديوي المعظم من ديوان الى ديوان فشرف حجرات المدير والوكيل وقلم القرعة العسكرية وحكمدارية البوليس والمحكمة الشرعية وأقلام الحسابات والكتاب والهندسة والتنظيم باحثا في أعمال كل منها ممعنا نظره في سير الاشغال واستطلاع كنه الاحوال الى أن قارب منتصف الساعة التاسعة فبارح جنابه العالي سراي المديرية الى المحكمة الاهلية واذ وصلها الركاب العالي نحرت الجزر للفقراء والمحتاجين استبشارا بمقدمه السعيد

أما محكمة بني سويف فهي الآن سراي قديمة للمغفور له سعيد باشا مربعة البناء في طبقة فوق التي تحت الارض ويصعد اليها بسلم ذي اثني عشر مدرجة وقد أجريت بها جملة

اصلاحات وترميمات لاعدادها لاقامة المحكمة بعد أن كانت بها المديرية فصارت بذلك أحسن وأعظم المباني موافقة لمقام القضاء وسهولة تقديم الاجراآت القانونية على أصحاب الدعاوى والاشغال

وقد قام بفروض استقبال الجناب الخديوي المعظم بين تهليل الجمهور وتكبيره حضرات يحيى افندي ابراهيم رئيس المحكمة وقاسم افندي أمين رئيس نيابتها وكانوا واقفين بين يدي جنابها الكريم وهو حفظه الله يتفقد الاعمال والعمال من قلم الى قلم ومن حجرة الى أخرى ولا يخفى ان محكمة بني سويف من أهم المحاكم في القطر المصري وذلك بسبب ما امتازت به من اتساع دائرة اختصاصها باحالة اقليمي المنيا والفيوم عليها وقد كان ذلك من أكبر الاسباب الداعية لرواج حركة الاشغال بتلك المدينة مما لم يرَ مثله قبل

وبعد مبارحة المحكمة قصد الجناب العالي زيارة المستشفى لقربه منها فشرفه في أوائل الساعة الحادية عشرة وبادر بتلقي جنابه الرفيع بها حضرة محمود بك صدقي وكيل مصالح الصحة العمومية ومعه حضرة ابراهيم افندي لبيب مفتش صحة بني سويف والدكتور عبد اللطيف افندي مدير المحل ويشتمل المستشفى على عشرين سريرا موزعة بين أربع حجرات واحدة منها خاصة بالنساء وقد شرف جميعها الجناب الخديوي المعظم وأحسن الى المرضى بما جبلت عليه شمائله الكريمة من حسن الالتفات والتلطف بحالتهم وتفقد الجناب العالي جزاه الله خيرا كل ما يهم المرضى أو يتعلق بهم حتى أماكن الاكل والطبخ والنوم

وتلا زيارة المستشفى تشريف منزل البوليس وعقبه تشريف المدرسة الاميرية وهي كائنة في بناء قائم وسط ساحة رحيبة يحف به صف من الاشجار الكبيرة وكان في الاصل معدا لاصطناع المنسوجات ثم صار الى هذا الغرض وفي نحو منتصف الساعة الحادية عشرة أشرقت طلعة الحضرة الخديوية بها فقابلها التلامذة هاتفين أفندمز چوق يشا ثلاثا وبالنشيد الخديوي وبادر بتلقي الجناب العالي من العربة حضرة ناظر المدرسة ثم سار بين يديه الكريمتين الى قاعات الدرس وأماكن التلامذة

ويبلغ عدد الطلبة في هذه المدرسة ٢٢٢ وهي قسمان تجهيزي وابتدائي ويؤلف الاول من ٥٣ تلميذا وتمتد مدة التعليم الابتدائي الى أربع سنوات والتجهيزي الى اثنتين ومكث الجناب

الخديوى المعظم زمنا غير قليل بكل فرقه وتفضل بالقاء الاسئلة العلمية على بعض تلامذتها وتلا اثنان من الطلبة بالقسم التجهيزى والابتدائى خطابين باللغة الفرنساوية ترحيبا وامتنانا لهذا القدوم المنيف

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة بارح المدرسة الجناب الخديوى المعظم متوجها الى البخت والخلائق خلفه تدعو خالقها بحفظ ذاته الكريمة وتأييده بالظفر والنصر على الدوام

وفى ظهر ذلك اليوم تشرف بالدعوة الى الغداء على مائدة الحضرة الفخيمة الخديوية سعادة جونسون باشا وجناب الماجور برون وغيرهما من الاماثل والكبراء

هذا ويوجد ببنى سويف أيضا مدرسة للطليان انشئت لعهد غير بعيد ومعلوم انها نبغى حظ التشرف بنظر الحضرة الفخيمة الخديوية فلما كانت الساعة الثالثة بعد الظهر اذا بثلاثين من تلامذتها وأمامهم أساتذتهم واقفين بالبخت الخديوى يلتمسون التشرف بالمثول بحضرة الجناب العالى فأجاب حفظه الله ملتمسهم وتلا أحد الطلبة منهم خطابا باللغة الفرنساوية تشكر به الجناب العالى وأثنى عليه بما هو أهله

وفى الساعة الرابعة بارح الجناب الخديوى بخته لمشارفة الالعاب البدوية التى قام بها عربان المديرية بظاهر المدينة وكان بمعية جنابه الرفيع حضرة المدير وسعادة جونسون باشا ورجال المعية المدنيون والعسكريون فسر الجناب العالى كثيرا عما بدا من مهارة هؤلاء البدو ورشاقة حركاتهم وبعد أن جلس برهة شارف تلك الالعاب عاد فى أوائل الساعة السادسة الى البخت وكانت حينئذ الاسهم النارية قد أخذت تخترق طبقات الجو وبهاء الزينات يسطع على دور المدينة كما حصل فى الليلة البارحة واشتغل نحو المائتين وثلاثين رجلا بذكر الله وتلاوة آى القرآن المجيد وتلاوة دلائل الخيرات بالمسجد الجامع وذلك على نفقة الجناب الخديوى المعظم حسب المعتاد

وفى الساعة السابعة من صبيحة يوم الجمعة ٦ فبراير أعلن دوى المدافع أهل المدينة بقيام الركاب العالى منها قاصدا بلدة الواسطه وكان وصوله اليها فى منتصف الساعة العاشرة الافرنجيه

والواسطه لهذا العهد رأس سكة الفيوم الحديدية وهى على بعد ثمانين كيلومترا من القاهرة وآخر بلاد بنى سويف من الشمال

سالم باشا وقصد الجانب الايسر للنيل فلما شرفه هرع لملاقاته جناب الوجيه بطرس بشاره وكيل دولة فرنسا بتلك الناحية وسار بين يدى جنابه السامى الى صيوان رفيع العماد أقيم اكراما لذاته الشريفة زخرفت جوانبه بأغلى الطيالس وغشيت أرضه بفاخر الطنافس وأعد فى وسطه ما حلا وطاب من لذيذ المرطبات وسائغ المشروبات فلما انتظم عقد الجلوس تقدم غلام قبطى فحيا ولى النعم بمقال عربى بليغ ثم خف المدير فقدم لحضرته العلية سراة الاعيان وكبار الناحية وبعد ذلك أراد جنابه الرفيع الانصراف فاقترب منه صاحب الصيوان ورفع لسدته العلية قطعة من الحرير صنعت بمعامله وزركشت أطرافها بهذه العبارة (أدام الله بقاء الجناب الخديوى المعظم راؤلا فى حلل الاقبال) جعلها تذكارا لزيارة جنابه العالى

ولما حان وقت الصلاة ركب وفقه الله عربته المخصوصة والى جانبه سر تشريفاتى جنابه العالى وسار يؤم مسجد قوص فلم يكن الا كلمح البصر حتى تقاطرت الاقوام وامتنع الاقدام وعز الاحجام واشتد الزحام والتفت الاقدام بالاقدام ما بين كبير وصغير ورفيع ووضيع على اختلاف الطبقات وتباين الجنسيات تخالهم وقد أحدقوا بالعربة وحدانا وزرافات وشتى وجماعات نجوما منتشرات أو كواكب سيارات لولا ارتفاع الاصوات بالدعوات وما يبدو من علامات المسرات وكلما تهللت فئة ابتهلت جماعة أو ابتسمت شرذمة صفقت طائفة حتى كأنهم جسم واحد تعددت فيه الارواح أو انهم غصن ادوحة لعبت بهما الرياح فما أحلاه منظرا لا يحصره تعريف ولا يحده توصيف ولا يقوى على تمثيله يراع اللبيب ولا مقول الخطيب وان ذال له القول ومهد له الصواب وحضر له الخطاب وأوتى من البلاغة والفصاحة ما شاءت قوة العارضة وسرعة البديهة كذلك كان بالخيم استقبال الجناب العلى الشان وكذلك كان فى دشنا ويكون فى غيرها من القرى والبلدان

أما قرية قوص فهى شبيهة بروضة ذات أفنان ونخيل وظل ظليل وفرع بايل الان دورها ليست فى شئ من ضخامة البناء وحسن الرواء وبها مسجد كبير القدر شهير الذكر شيده الفاطميون فى أوائل القرن السادس من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة

والسلام وهو وان يكن مما تطرف به أشعة علماء الآثار اذ اضمها الاحتفال وتمنى فيه الاقوان غير انه لا يجمل ذكره في مصاف مساجد القاهرة فانها تضمنه احتراما وبهجة وتفوقه نظاما ورفعة أما منبره ومحرابه فهما على جانب عظيم من اتقان الصناعة وبراعة النقش

وبعد أداء الصلاة تفضل الجناب الرفيع أدامه الله قبول العطاء وطوق المنن وأسبغ النعم وخلع الخلع على من اصطفاهم ورعاهم وأمر باقامة الاذكار وتلاوة آى القرآن المجيد ثم عاد الى اليخت والناس في الصدور كالورود منشرحو الصدور باسمو الثغور يقرؤون سور الثناء من صحائف النفوس ويسطرون آيات الدعاء في القلوب بدليل الطروس

وفي الساعة الخامسة شرف اليخت قرية دشنا فكان له من مظاهر الاحتفال ومناظر الاستقبال ما يعرف الكاتب معنى الاجلال ويكشف له الغطاء عن حقيقة الولاء ثم استقبل الجناب العالى وفود المهنئين ودعا لتناول الطعام عشرين عظيما من كبار الموظفين وأكابر الوجوه أهلين وأجنبيين وكانت تلك الليلة من أبهج الليالى بهاء وأجلاها رواء وأوفاها صفاء وأزهاها ضياء فيها رفعت أقواس النصر فرحا بصاحب الامر وأقيمت حولها السرادقات تتهادى بها الاهلون بين نور وزهر وسطعت خلالها الانوار من مبتداها الى مطلع الفجر وفيها أفاض ولى النعم سوابغ نعمه وأمر باقامة الذكر الحميد من فيضه وكرمه وعامل الاهلين بما جبلت عليه مكارم شيمه

وفي منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم السبت (٣١ يناير) وجه جنابه الفخيم المسير الى ناحية نجع حمادى فوافاها في أواخر الساعة التاسعة وبعد قليل بارح حفظه الله اليخت يصحبه حضرات المدير وجونسون باشا وسار راجلا بين ثغور تبتسم وألسنة تنطلق بالدعاء فزار قلم الضبط فتكنة البوليس فمكتب الصحة فمكتب البوسطة فالمأمورية القضائية

وبعد ذلك ركب الجناب الخديوى المعظم بحنطوره بين تهليل الجمهور وتكبيره ثم بارحه أيضا قاصدا تشريف ورشة الموسيو ده لافيت وكان الى جانبي حضرته العلية كل من أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى والدكتور سعيد باشا وجونسون باشا ومدير قنا والموسيو الن يوسف

وبحو الساعة العاشرة أرسى الزورق المقل للحضرة الخديوية على فم الترعة الرشوانية فصعد الجناب الرفيع الى مرفأ مخصوص بشفير النهر ومنه الى مدرج قد كسى بنفيس البسط وكلل بالاعلام والرايات يكتنف جنابه العالى ويتبعه كل من الموسيو دولافيت المقاول وجناب جرنش بك وحضرة الموسيو ستنت المهندس المعين من قبل الحكومة لملاحظة الاعمال الصناعية بمركز فرشوط ثم ركب الجناب الرفيع قطارا مخصوصا فى عربة تفنن الموسيو دولافيت فى تزيينها بالمخمل الاحمر وبالاعلام المصرية والنقوش والاصباغ البديعة ووليها عربات المعية السنية وسار القطار الخديوى فى وسط نحو الخمسة آلاف نفر من رجال حضرة المقاول وألوف من البدو ممتطين صهوات الجياد يهللون ويهتفون بالدعاء للذات الخديوية مسافة نحو ألف متر ثم اجتاز الركب العالى قنطرة ترعة الساحل وكان على مسافة منها قنطرة أخرى قد أنشئت حذاء سيالة الرشوانية لمرور الجناب الرفيع فاجتازها أيضا وبعد مسير ٣٠ مترا منها وقف القطار وترجل الجناب الخديوى المعظم فشرف كشكا جميل الشكل والوضع استراح فيه برهة من الزمن وتفضل بشرب القهوة به من يد جناب الموسيو دولافيت وكان بالجهة المقابلة لمدخل الكشك منظر فى غاية من الغرابة هرم شامخ الذرى مركب من نحو ثلاثمائة ألف معطف من معاطف العملة والى جوانبه واضلاعه الكثير من الاعلام ذات الالوان الزاهية وطاقات الرياحين والازاهير مرتبة على شكل أنيق ووضع بديع مما جعل تلك البقعة سلوة للخواطر ونزهة للنواظر بما جمعت من تأنق المدن وبساطة البدو

ثم بارح الجناب العالى هذا الكشك قاصدا سيالة الرشوانية فتفقدها بما اعتاده من دقة الاعتناء ودقيق النظر وكان البدء بعمل السيالة المذكورة فى شهر دسمبر سنة ١٨٨٩ والفراغ منه فى شهر يوليه الماضى وبلغت نفقاتها ١٠٠٠٠ جنيه على وجه التقريب والغرض منها امرار مياه ترعة الساحل تحت ترعة الرشوانية بواسطة ٣ عيون عرض الواحدة منها ٣ أمتار وقد بنى أيضا فوق السيالة قنطرة موازنة ذات ست عيون وكان حفر جدران هذه السيالة على النور الكهربائى وهى المرة الاولى التى استعمل فيها هذا النور لمثل هذا الغرض بصعيد مصر

ولما انتهت الزيارة عاد الجناب العالى الى الكشك فى مثل ما جاء من الاحتفال ومن ثمت ركب القطار المخصوص ولا تسل عما كان حينئذ من تهافت الجمهور وتسارعهم على اظهار علامات الولاء والطاعة والسرور والحبور لولى النعم الافخم مما لا يقوى على وصفه لسان أو بيان واستمر الحال على هذا المنوال الى ان ركب الجناب العالى الزورق البخارى وسار فى عرض البحر وعين الرعايا بالشوق ترقبه وبالدعاء تتبعه

هذا وقد اغتنم الموسيو دهلافيت فرصة هذه الزيارة فتشرف بتقديم قرص من الفضة قطره نحو ٨ سنتيمترات مرسوم على وجهيه بالعربية والفرنساوية ما نصه (تذكار لتشريف الجناب الخديوى المعظم محمد توفيق الاول لمدينة فرشوط) وبأسفلها تاريخ الزيارة

ولما كانت الساعة الحادية عشرة عاد الجناب الخديوى الى اليخت وكان راسيا على مسافة كيلومترين من الرشوانية وبعد ذلك ببضع دقائق قام الركاب العالى قاصدا جرجا وعند ذلك استأذن كل من سعادة مدير قنا وحضرة أبو السعود بك فى العودة الى مقر وظيفتيهما

وبعد أن توقف اليخت الخديوى قليلا تجاه البلينه تخفق عليها الاعلام وتكللها الرايات أرسى فى الساعة الثانية بعد الظهر على مدينة جرجا

وليست جرجا الآن سوى قاعدة مركز أو قسم وقد كانت فى الاصل تخت الصعيد ثم صارت مركز المديريتها ومع ذلك لا تزال تعد من المراكز المهمة وان كانت الآن بمراحل من الزمن الذى كان حاكم مصر من المماليك يلقب فيه والى القاهرة وجرجا

ولم يلق اليخت مرساه حتى صعد اليه حضرة مدير جرجا مؤديا رسوم الاجلال للحضرة الخديوية وفى منتصف الساعة الثالثة بارح الجناب العالى (فيض ظفر) وبمعيته السنية سعادة عبد الرحمن باشا رشدى قاصدا تفقد أحوال الزراعة وحاجات الرعية بالجهات الواقعة الى شمال جرجا واستمر مسير الركاب العالى فى اتجاه جسر الجرجاويه وهو المعد لمرور عربات السكة الحديديه الى أن شرف بلدة أولاد حمزه فتفضل بتشريف دار أحد أعيانها اسمعيل بك أبو رحاب وكان قد شرفه قبل الجناب الخديوى جده ساكن الجنان المرحوم محمد على باشا الكبير أثناء سياحته فى الوجه القبلى

وفى منتصف الساعة السادسة عاد الجناب العالى من أولاد حمزة على اليخت الخديوى (فيض ربانى) الى يخته المخصوص (فيض ظفر) وحينئذ مدت به الموائد فجلس للاكل نحو ثلاثين مدعوا كان منهم على المائدة الخديوية جونسون باشا وحضرات المدير والقاضى والموسيو ألن يوسف وقمص القبط

وفى الساعة التاسعة ركب الجناب العالى عربته والى جانبه حضرة مدير المديرية قاصدا التجول فى شوارع المدينة لاجتلاء الزينات وجبر خواطر من قاموا بها كما هى شمائل الحضرة الفخيمة الخديوية حفظها الله وقد تفضل أيضا جنابه الرفيع بزيارة جامع الاستاذ الشيخ أبى عمرو وأمر باقامة الذكر وتلاوة آى القرآن الشريف به جاعلا كل ذلك على نفقته الخاصة

ولما عاد الجناب الرفيع الى اليخت كان سعادة السردار منتظرا الاذن به على حضرته العليه فأذن له وبعد ذلك ابتدأت التشريفات على الترتيب المعتاد وكان حضرة صاحب العزة محمد بك جودت مدير جرجا هو القائم بادخال الوفود الى حضرة الجناب العالى

وفى المساء أجريت الالعاب النارية أمام اليخت وكانت بديعة الرونق والرواء وكذلك كانت الزينات حافلة بهية تفوق ما شوهد فى كثير من المدن والاماكن وكان من أكملها انتظاما وأتمها اتقانا زينات حضرات اسمعيل بك أبو رحاب وعبد اللطيف بك والخواجه عبد الملك مقار ومهندس المركز والسيد عبد المجيد الانصارى القاضى وحكمدار البوليس ومحمد افندى حسين المقاول ومأمور المركز وعبد الحميد افندى والخواجه ميخائيل اقلاديوس والخواجات واصف ميخائيل ورفائيل جرجس وجرجس بطرس ومكتب البوسطه الخديويه والاجزخانة وغير ذلك

وفى منتصف الساعة السابعة من صبيحة يوم الاحد كانت أهالى جرجا واقفة على شاطئ النيل مودعة ركاب الجناب العالى وقد تحرك للسير وهم يشيعونه بالدعوات الصالحات وهتاف التهليل والتكبير وما غاب منظر اليخت عن أعينهم حتى أشرقت طلعة أمير البلاد على أهالى المنشية فكانوا يسيرون على البر فى مقابل اليخت وهم يهللون ويدعون الى أن أقبل الركاب العالى على اخميم ثم عرج على سوهاج فأطلقت من ساحلها المدافع يتخلل دويها أصوات الاهالين مهللين أيضا لمرور ولى النعم الانعم

وفى أوائل الساعة الثانية بعد الظهر التى البخت مرساه بوردته طهطا على الشاطئ الايسر للنيل أمام مدينة طهطا فتبعد عن النهر بنحو أربعة كيلومترات وهى قاعدة المركز أو القسم الشمالى لمديرية جرجا ويقابلها من الشرق رأس من الجبل يعرف عند العامة بجبل الهريدى أما قرية الساحل فواقعة على مسافة ثلاثة كيلومترات من النيل و ١٢٠٠ متر من طهطا التى هى فرضتها ويخترقهما من طهطا الى النيل طريق منتظم يصلح لمرور العربات وهو الطريق الذى نصب على جانبيه حضرة الموسيو دبننش ملتزم الجسر الحديدى عمدا بين الواحد والثانى منها مسافة عشرين مترا تخفق فوقها الاعلام المصرية ويصل بينها مثل الاقواس من الازاهير وأغصان النخل والشجر وفى أولها وآخرها باب نصر سامى الذرى رفيع العماد قد كتب عليه اسم الجناب الخديوى المعظم

ولما كان المنتظر مرور الجناب العالى فارسا من النيل الى المدينة عنى حضرة المقاول بفرش بساط نفيس على الجسر الموصل اليها ثم أنشأ فى منتهاه سرادقا محكم الشكل والوضع لطيف المنظر جميل الرونق زينه عند مجلس الجناب الرفيع بصورة كل من دولة النجلين الفخيمين البرنس عباس وشقيقه البرنس محمد على وزخرف المدخل اليه بأنواع الزهور وأشكال النباتات مما جعله بهجة للنفوس وقرة للعيون

وبعد انتهاء التشريفات بالبخت الخديوى ركب الجناب العالى عربته والى جانبه صاحب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى قاصدا مدينة طهطا فتشرف منها بالزيارة ادارة المركز ودار البوليس والمحكمة الشرعية ومنزل حضرة مخلابك ثم مسجد سيدى الاستاذ أبى القاسم وهنالك أوسع العطاء للفقراء والبائسين وأجرى المبرات على مستحقيها

ومن ثم ركب جوادا مطهما قاصدا تشريف دار حضرة عزتلو السيد على بك رفاعه وكيل نظارة المعارف العمومية سابقا فتلقاه حضرة البك بما يليق بمقامه السامى من الاجلال وقد سر الجناب العالى كثيرا بما رأى بمنزل حضرته من مجاميع أنواع الحاصيل الزراعية والصناعية التى تشاهد بذلك الاقليم من القطر المصرى وبارح المكان مظهر الصاحبه جليل الالتفات وبعد ان تجول جنابه الرفيع بسوق البلدة ومر بباب النصر الذى أقامه الموسيو دبننش ركب العربة الخديوية قاصدا عقبته المخصوص وفى مقدمة الموكب سرية من فرسان البوليس والى جانبى الحضرة الخديوية سعادة جونسون باشا ويوسف باشا شهدى

ومدير المديرية يتلوهم الحرس الخديوى الخاص ورجال المعية المدنيون والعسكريون ثم جم غفير من أهالى ماهطاي يهتفون بالدعوات والبركات للجناب العالى وقد انضم اليهم فى الطريق أهالى ساحل ماهطا وغيرهم من سكان القرى المجاورة واستمر الحال على هذا المنوال الى أن ركب الجناب الخديوى المعظم يخته (فيض ظفر) وأذن لحضرة مدير جرجا فى العودة الى مقر وظيفته ثم تحرك اليخت للسير وقد علا هتاف الناس بالدعاء والجناب الخديوى يتكرم عليهم بأشائر السلام الى ان غاب الساحل عن النظر وتوسط اليخت النهر فبدا أحينئذ للجناب العالى منظر لا يخلو من الغرابة وذلك ان رجالا قصدوا اليخت فى قوارب لهم من الخشب صغيرة يحركونها بقوة المجاذيف حتى اذا اقتربت منه رموا اليه بطاقات أو حزم صغيرة من القصب معقودة فى أواسطها بحبل صغير بطرفه منديل فارغ كناية عن طلب الاحسان من حضرة ولى النعم الافخم فكان حفظه الله يأمر فتوضع الصدقة بالمنديل ويصر عليها ثم يقذف بالبطاقة الى النهر فتتسابق أصحاب القوارب على التقاطها من الماء داعين فى كل حال لولى الاحسان ورب العوارف والعرفان

وفى الساعة السادسة مساء أقبل اليخت الخديوى على بلدة (أبوتيج) فى مرفأ يعلوه باب نصر فخيم وتخفق عليه الرايات وقد لمعت أضواؤه وسطعت أنواره بمثل أقواس السحاب من النور على الجانبين وجميع الزوارق والسفن بالمرفأ تلعج بأنوارها كالدرارى ويقابلها بمثل ذلك البهاء والرواء ما واجهها من الضفة الاخرى للنيل

وكان بالمرفأ فى انتظار الجناب العالى سعادة احمد باشا شكرى مدير اسيوط وجناب الماجور برون مفتش الرى وفرقة من فرسان البوليس ومشاته مصطفين لتأدية رسوم السلام العسكرى فلما ألقيت المراسى بادر سعادة المدير وحضرة المفتش بالصعود اليه لاداء رسوم التهانى للجناب العالى هذا وقد سبق الاقرار بعجز اليراع عن وصف مشاهد احتفال الاهالى باستقبال الجناب الرفيع أينما حل ركابه العالى وهنا لا بد من تكرار ذلك الاعتراف تلقاء ما كان من الاحتفال بلقائه فى أبوتيج

وتبعد هذه المدينة مسافة ٢٤ كيلومترا من اسيوط وهى قاعدة المركز أو القسم الاخير لهذه المديرية من الجنوب

وبعد السلام مدت موائد الطعام وشملت دعوة الجناب الرفيع اليه ٣٥ من أعيان الذوات والموظفين تشرف منهم بالجلوس على المائدة الخديوية سعادة جونسون باشا واحمد باشا شكري والماجور برون وحضرة القاضي ومحمود بك سليمان ومصطفى بك خليفه
ولما كانت الساعة الثامنة ابتدأت التشريفات السنية وبانقضائها ركب الجناب الخديوي المعظم عربته المخصوصة والى جانبه الرفيع سعادة المدير للتجول بشوارع المدينة ومشارفة زينات الاهلين بها وقد تفضل حفظه الله في أثناء ذلك بزيارة جامع سيدي الاستاذ الشهير الشيخ القرعلي ثم بتشريف كشك لحضرة محمود بك سليمان وكيل مديرية اسيوط ساجقا ابتناه في مدة لا تقل عن الستين يوما ولا غرو فهو بالسراي أشبه منه بالكشك
وفي أوائل الساعة الحادية عشرة مساء عاد الجناب الرفيع الى اليخت وعند ذلك ابتدأت الالعاب النارية على ضفتي النهر وكانت الموسيقى الخديوية تصدح بنغماتها المطربة وألحانها الشجية
وفي الساعة السابعة من صبيحة يوم الاثنين الثاني من شهر فبراير ركب الجناب الخديوي المعظم زورقا بخاريا وفي معيته السنية أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدي ويوسف باشا شهدي والدكتور سالم باشا وجونسون باشا قاصدا تشريف ورشة الخواجات بروارد وأوزبول وشركائهما على مسافة ثلاثة كيلومترات من أبوتيج فوصل اليها الركاب العالي بعد مسير خمس دقائق
ولا يخفى ان المباني التي عهد بانشائها الى هؤلاء الخواجات هي بعض عمال قنطرة مد السكة الحديدية بالصعيد الاعلى والتزم به التزاما عموميا حضرات الخواجات سوارس وهي عبارة عن قنطرة ذات ثلاث عيون بين كل منها مسافة ٤٠ مترا يغطيها سقف من المعدن تمر عليه السكة الحديدية وموقع هذه القنطرة بالقرب من أبوتيج وهي تستخدم أيضا لصرف مياه حوض بني حسين الى ترعة قد أزمعت على انشائها نظارة الاشغال العمومية وشرعت في حفرها في الصيف الماضي غير انها لم تطرد العمل فيها بسبب صعوبة نزح مياه الرشح التي تجمع بقاعها على الدوام فتوجب تعطيل الاعمال
فوقف الزورق الخديوي على مرسى صناعي يوصل الى أعلى الساحل مفروش بالبسط وعلى جانبيه الاعلام والرايات وتلقى الجناب العالي به حضرة الموسيو أوزبول المقاول المذكور

ومن ثمّ ركب الجناب الخديوى المعظم ورجال المعيـة وحضرة المقـاول عربات الخط الحديدى وكانت المركبة الخديوية مزدانة بالاعلام وحلقات الزهور والاغصان وبأقصى الخط باب نصر تخفق عليه كذلك الاعلام وتتصل منـه على عمد مرفوعة بجانبي الطريق الى أقصاه أما الجماهير التى ازدحمت بها تلك البقاع فى ذلك اليوم فلم تكن مؤلفة من وفود أبو تيج فقط بل انضم عليها الكثير من البلدان والقرى المجاورة فضلا عن العدد الكبير من العملة والصـناع القائمين باعمال المقاولة ولذلك كانت جلبة هتافهـم وأصوات دعواتهـم لا تنقص شيأ عما كان فى احتفال اليوم الماضى

وقام بتلقى الجناب العـالى ساعة نزوله من العربة حضرة الماجور برون وأرباب الالتزام والموسيو شبرد أحد مهندسى نظارة الاشغال العمومية والموسيو فروند المهندس المعين من قبل الخواجات سوارس والمهندس فوميل المعين من قبل الموسيو كاتز تستين المقاول وبعد الســلام توجه الجناب الرفيع وبين يديه الماجور برون لمشارفة الاعمال الجارى انشاؤها وقد تبين من الاستعلامات التى استعلمها من جناب الماجور والموسـيو أوزبول ان عملية البناء لم يبق على انجازها سوى بضعة أشهر وأن السقف المعدنى يتم تركيبه قبل آخر هـذا العام على كل حال

ولما تهيأ الجناب الخديوى لمبارحة الورشة تفضل أعزه الله بالاعراب عن مزيد سروره ووافر انشراحه من حسن قيام الملتزمين بأعمالهـم فكانوا كلهم ألسـنة فى الدعاء للجناب العالى والشكر على ما أولاهـم من شرف الزيارة والاهتمام وقد حظى الموسيو أوزبول بالركوب فى معيـة الحضرة الخديوية فى الاياب كالذهاب وكان الوصول الى اليخت الخديوى نحو الساعة الثامنة

وفى أوائل الساعة التاسعة سار بالعين والاقبال قاصـدا بلدة ابنوب والموسيقى العسكرية تعزف بانغام السلام الخديوى وتلامذة المدرسة الاميرية وقوف على ضفة النيل والاهلون حوالهم يتزودون من النظر الى أميرهم المعظم وولى النعم يتفضـل عليهـم باشارة السـلام فيهتفون داعين شاكرين الى أن بارح اليخت مدينتهم

هذا وقد أمر الجناب الخديوى المعظم باحياء الليلة البارحة بالاذكار والقراءة فى المسجد الفرغلى فاشـتغل بذكر الله نحو مائة وعشرين شخصا ونحو ثلاثين من القراء بتـلاوة

دلائل الخيرات وعشرة بتلاوة آى القرآن المجيد وقد وزعت عليهم جميعا الصدقات من لدن الحضرة الفخيمة الخديوية

ولما كانت الساعة الثانية عشرة تقريبا وصل اليخت الخديوى بالسلامة الى بلدة أبنوب بعد أن مر باسيوط وأطلقت منها المدافع اجلالا واكراما أما استقبال أهالى ابنوب لولى النعم المعظم فقد فاقوا به كل بلد فا حتفاء واحتفالا وتعظيما واجلالا فانشؤا تجاه مرسى اليخت الخديوى سلما زينوه بالاعلام وكسوه بالبسط النفيسة وبأعلاه باب نصر بديع الاحكام والاتقان يكتنفه من الجانبين زينة حافلة تمتد مسافة عظيمة مشرفة على ضفة النيل ويليها صفوف الفرسان والجنود وقوفا لتأدية رسوم السلام العسكرى للحضرة الفخيمة الخديوية وخلفهم من كل جانب الجماهير التى لا تحصى من الوفود يهللون ويكبرون لمقدم أمير البلاد وولى النعم فيجاوبهم بالتهليل والتكبير أيضا من الضفة الاخرى فرسان البدو وسكان تلك القرى والاصقاع

وبعد مرسى اليخت بقليل من الزمن ركب الجناب العالى زورقا بحريا والى جانبه الرفيع سعادة المدير قاصدا الضفة المقابلة لمشارفة الزينة الحافلة التى أعدها اجلالا لمقدم الجناب الخديوى حضرة الخواجه رفائيل فانوس من أعيان القبط بها وقد حذا حذوه الكثير منهم فتنافسوا وتفننوا فى تزيين البلدة حتى أصبحت بهجة وقرة للعين لا يماثلها الا القسم الواقع منها على الجانب الغربى للنيل وهو الذى يسكنه المسلمون وقد شرف الجناب العالى بالزيارة ذهبية الخواجه رفائيل بالجانب الشرقى وتشرف بالمثول بين يدى جنابه العالى أعيان البلدة وكبارها من القبط ثم تفضل بتشريف القسم الآخر منها فعمت محاسنه واحسانه السكان وخصص بشرف الزيارة حضرة عثمان بك غزالى أحد كبار أعيانها ومن ثمت عاد الى اليخت الخديوى فى مثل ما جاء من الاكرام والاجلال

ولما كانت الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم أقبل فيض ظفر على بلدة منفلوط بالضفة الشرقية للنيل وقد كانت تبدو للعين على بعد من أجمل وأحسن المدن منظرا غير أنها قد صارت الآن الى قاعدة مركز ليس الا بعد أن كانت تختا لاقليمها ومع ذلك كان

استقبال الجناب العالى بها مما يقل نظيره فيما سلف وعصف من جماهير تهلل وأدعية تتلى وتلامذة تنشد آيات السرور والحبور وجنود تهتف بتحيات التعظيم والتكريم وغير ذلك مما تقصر اليراعة عن بيانه

وفى منتصف الساعة السابعة من المساء مدت الموائد بالبخت الخديوى وشملت الدعوة اليها العدد الكثير من الاعيان والذوات وكان ممن تشرف بالجلوس على المائدة الخديوية سعادة مدير اسيوط وحضرات قاضيها ورئيس محكمتها وأسقف منفلوط وسر تجارها وكبير أعيانها حضرة صالح بك جمال الدين وفى منتصف الساعة العاشرة ركب الجناب العالى عربته والى جانبه سعادة المدير للتجول فى البلدة ومشارفة الزينات التى احتفل بها الاهالى وقد وقف ركاب الجناب العالى عدة مرار فى طريقه فمرة تجاه دار حسن افندى حلمى أحد أعيان المدينة متفضلا عليه بالاعراب عن حسن الرضا وجميل الممنونية وأخرى بدار حضرة صالح بك جمال الدين منعما عليه بشرف الزيارة ثم بدار الاسقف متفضلا بسماع نشيد فى مدح جنابه الرفيع قام بتلاوته أحد تلامذة المدرسة وأخيرا أمام منزل الخواجه جرجس عبد المسيح من أعيان البلدة

ولما كانت الساعة الحادية عشرة عاد الجناب الرفيع الى البخت وقد أجريت الالعاب النارية على شاطئ النيل وأقيمت الاذكار بجامع المدينة واشتغل العدد الكبير من الفقهاء والقراء بتلاوة القرآن المجيد ودلائل الخيرات على نفقة الجناب الرفيع ولما كانت الروضة هى البلدة التى توجهت نية الجناب الخديوى الى تشريفها بعد منفلوط وهى كما لا يخفى تابعة لمديرية المنيا استأذن سعادة مدير أسيوط فى العودة الى مقر وظيفته فأذن له

وفى نحو الساعة السادسة من صبيحة يوم الثلاثاء (٣ فبراير) وجه جنابه الفخيم الرحلة الى الروضة فشرفها وقد بلغ النهار أشده وكانت محطتها كاسمها روضة زاهية أو جنة قطوفها دانية تمرح فى ثوب من البهاء وسيم وتختال فى رداء من الحسن قسيم قد صفت حولها باقات الرياحين على أشكال الاساطين ورفرفت فوقها الرايات تغازل ألوية المسرات وزخرفت جوانبها بمنثور الافراح تحف بها الجنود شاكى السلاح حتى اذا لاح محيا جنابه الوضاح على تلك البطاح أقبلت الاهالى من جميع النواحى يسطون راح

الارض بجموعه الشراح وتستقر له الفرح وهو [illegible] حول الروح
وزهور من الموج فتستمر في حركات على حسن الهيئات وهو [illegible]
وأصحب دعوات وتستقر [illegible] ولون مختلفات بحضور [illegible] الوزير [illegible]
ابتداء على مستعد وعلى [illegible] نعم زاد و [illegible] معادن غير من [illegible]
تتقدم حضرات فرسان والمسيو جيبو له وجميع [illegible] وعموم [illegible]
واكسرتهم له فاستقبلوا الجناب الرفيع وساروا بين يديه الى [illegible]
جنابه العالي بما تعوده من انعامه والاحتفال وبعد ذلك قصد رأسا مركز العمل فاحتوى
ترنو اليه الابصار وتمتد نحوه الاعناق فلما وافاه أخذ أمامه [illegible] عماله ويسائل
عماله ويتعرف أعماله وفي خلال ذلك قد جذب المسيو جاويسال الى حضرته العالية
كبير العملة وهو أقدم صناع المعامل بالديار المصرية وأكثرهم تجربة وأقدمهم دربة
وأوفاهم دراية انتظم في بداية أمره ومستقبل عمره بعمل للمغفور له ساكن الجنان
ابراهيم باشا وأخذ من ذلك الحين يجهد نفسه ويستغرق وسعه ويبذل طاقته حتى
ثقفته التجارب وحنكته الاعمال وانقادت اليه الآمال فأفاد البلاد ونفع العباد
وتناقلت حديثه المحافل وتخرج عليه الجم الغفير من رؤساء المعامل

أما ما كان بحجرات المحل من معدات الزينة وصنوف الزخرفة وأساليب البهجة فقد بلغ
من الظرف غاية ليس وراءها مسرح لناظر ولا مطمع لباصر ولا زيادة لمستزيد ولا متناول
لمستفيد ومن الاحكام درجة هي محل الاستغراب وموضع الاعجاب ومعنى الابداع
وحد الامكان ونموذج الاحسان وقالب الاتقان وبعد أن أتم الجناب الفخيم مشاهدتها
عاد الى المحطة على قطار أعد لجنابه العالي الشان والناس ما بين طروب وداع ومجد وساع
ومهنئ وبسام وشيق ومستهام ومهلل ومبتهل والجنود قيام على الاقدام
يحفظون النظام ويتدرون السلام والطريق من مبتداها الى منتهاها محلاة الجانبين
بالازهار أشكالا وصنوفا والورود من حولها موشحة ببديع الاعلام أجناسا وصنوفا
فما كان أحلاه منظرا شائقة نضارته ورائقة غضارته وأثمر [illegible] جنته وللآلئ ثمرته

وفي منتصف الساعة الاولى عزم صاحب الامر على مبارحة الروضة الى أبوقرقاص وهي
على مسيرة عشرين كيلو مترا من المنيا فتشرف الركاب العالي بمحطتها [illegible]

باشارشدى والجنرال يوسف باشا شهدى والدكتور سالم باشا وفريد باشا والمسيو جيلوسالك ويعقوب باشا أرتين وجونسون باشا ومحمود بك رياض والماجور برون وما سار القطار حتى أحدق به ألوف من الخلائق هذا يترنم بالدعاء وذاك يهتف بالثناء والآخر يهنئ صاحبه وكلما أدهم الجناب الرفيع بنظره الشريف أو تفضل عليهم بسلامه المنيف عمهم الفرح وشملهم السرور فعلوهتافهم ويشتد اقبالهم وداموا كذلك حتى بلغ القطار محطة أبوقرقاص وكان بها في انتظار جنابه العالي عربتان أعدتا لركوب حضرته العلية فتشرفهما بصحبه رجال معيته السنية وقصد مشارفة معمل الناحية فلما وافاه تهللت الوجوه واستبشرت النفوس وهرعت الجموع وبادر جناب المسيو جيليو مدير المعمل فهنأ الجناب الفخيم بسلامة الوصول ثم تقدمت ابنته وهي فتاة فتية السن لا تتجاوز الاثنى عشرة سنة فمثلت بين يديه وألقت أرجوزة بالفرنساوية ضمنتها جميل التحيات وجليل التهنئات وقدمت لجنابه السامي باقة مؤلفة من يانع الازهار فشكرها جنابه الرفيع ثم سار في أماكن المعمل واستفسر عن كيفية سير الاعمال كبيرها وصغيرها جليلها وحقيرها وأثنى الثناء المستطاب على ما عاينه من انتظامها وايقافها على المحور اللائق بها ثم عاد الى المحطة فوجه المسير الى المنيا فأتاها في أواخر الساعة الثانية وهنالك أطلقت المدافع تبشيرا بتشريف أمير البلاد وأقبلت أفواج الاهالي يتقاطرون من كل صوب وينسلون من كل حدب فرحين مهللين منشرحين فاصطفوا بساحة المحطة تتقدمهم الجنود فأكابر الاهلين فكبار الموظفين فتلامذة المدرستين الاميرية والقبطية وبعد قليل بارح جنابه الفخيم القطار قاصدا مشارفة معمل السكر فلما شرفه ابتدر لقياه سعادة فريد باشا وجناب المسيو جيلوسالك وسارا بين يدي حضرته العلية في جميع المحال فجعل جنابه العالي يتفقد بذاته الشريفة كل أمر ويسبر غور كل عمل شأنه حفظه الله الذي تعوده ومال اليه وطبعه الكريم الذي عرف به وفطر عليه حتى اذا أحاط علما بجميع الاعمال بارح المعمل فركب جواده يقدمه كتيبة من الفرسان مسلولة سيوفهم ويتلوه حضرات يوسف باشا شهدى وجونسون باشا ومحمود بك رياض وأم شطر الجهة الشمالية حيث كان البخت الخديوى فلما شرفه جنابه الفخيم أطلقت المدافع ايذانا بقيام الركب العالي وابتهلت الاهلون بصالح الدعوات

وفي أوائل الساعة الخامسة رسى اليخت أمام جزيرة صغيرة تصل بينها وبينه أسكلة فسيحة المدى يبلغ طولها ستين مترا تقريبا أنشئت لهذه الغاية وزينت ببديع الاعلام وندى الازهار وفي منتهاها صيوان رفيع العماد أدار سياجه سعادة حسن باشا الشربجي كبير أعيان سمالوط اكراما للجناب العلي الشان فشرفه حفظه الله يحف به رجال معيته السنية ومن لا يحصون عدا من الجموع وجلس هنيهة من الزمان أفاض فيها على الحضور سجال نعمه وأوردهم موارد كرمه وتفضل على العمد والمشايخ فأخذ يسائلهم عن أحوال رعيته ويفاوضهم الحديث عن شؤونهم ثم عاد الى اليخت فدعا صاحب الصيوان لمصاحبة جنابه العالي وأقلع الركاب العالي قاصدا الرحلة الى مغاغه

وبينما كانت السفينة تشرح صدر النهر وقد جاوز النهار ريعانه وبسط الليل طيلسانه واذا بالافق قد اكتسى ثوبا نضيرا يخاله المتأمل سراجا مستطيرا أو قمرا منيرا وكلما دنا الناظر من تلك المناظر تجلت للنواظر بأبهج من الرياض النواضر فلولا اختلاف المظاهر لايقن الباصر أن الفجر قد لاح وهذه تباشير الصباح بل لولا نجوم تعلق في الفضاء وسهام تخرق كبد السماء واضواء تتولد منها أضواء فتسير على صفحات الماء كالكواكب في أشباه الكواكب لظن الرائي أن في اليخت يوشع وهذه الشمس تطلع على انه لم يمض كبير زمن حتى اسفرت تلك الرؤيا عن حقيقة أعلى ومنظر أجلى فلاحت قرية مغاغه تختال بين نور ونور وتمرح بين طلع وزهر سورتها الاقواس كالهالات تطاول الكواكب العلويات والتفت حولها الرايات كالتفاف الغابات كتب بها المسرات وزينت من الجانبين بمقصورتين بديعتين أعدت ذات اليمين لامير البلاد وذات الشمال لصاحبة الدولة والعصمة الحرم المصون كل ذلك رقم وشيه ونسج برده ونضد دره ونظم عقده حضرة الوجيه علي بك فهمي أحد كبار الموسرين

وفي أوائل الساعة التاسعة رسى اليخت فعزفت الموسيقى بالنشيد الخديوي وأخذ الفرح مأخذه من النفوس وهرعت عظماء الاعيان فمثلوا بين يدي الجناب العلي الشان وبعد قليل تكرم حفظه الله فشرف المقصورة التي شيدت اكراما لحضرته العلية وكانت تلك الليلة من أبهج الليالي وأزهاها وأسناها منظرا وأرقاها ينسى صفوها معنى الحدثان وتجدد اضواؤها ذكرى الفيضان فأين محلتها وأين الفرقدان بل أين بهاؤها وأين النيران فلا تجتليها فصاحة سحبان ولا يدانيها ابداع بديع الزمان

وفى الساعة السابعة من صبيحة اليوم التالى (٤ فبراير) بارح الجناب العالى المدينة الى ببا فوافاها فى أوائل الساعة العاشرة وهنالك ترجل جنابه الفخيم وسار يتبعه المدير قاصدا السكة الزراعية فلما شرفها ركب القطار المعد لحضرته العلية وأم مشارفة معمل السكر يصحبه حضرات عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى وشوقى باشا وجونسون باشا ومحمود بك رياض والمستر برون وما جاء البشير باشراق طلعته البهية حتى نادى فى الناس منادى الارتياح وخالج صدورهم الانشراح فانهالوا من جميع الجهات يترنمون بصالح الدعوات وأحدقوا بالقطار أينما سار حتى اذا بلغ جنابه الرفيع المعمل ابتدر لقياه كل من حضرات احمد فريد باشا والمسيو جيلوسالك وأخذ أدامه الله يتفقد الاعمال ويتكشف الاحوال فلم تصادف عنايته رئيسا الا استعلمه ولا مرؤسا الا استفسره وكان اذ ذاك كمال الساعة العاشرة فوجه المسير الى مدينة بنى سويف فلما سار منها على مسيرة ثلاث مراحل حيث تنتهى السكة الزراعية امتطى جنابه الفخيم صهوة سابح كريم وسار يؤم المدينة فى موكب جليل يحدوه الاقبال وتخفق فوقه الآمال وامامه كتيبة من فوارس الجنود تقدمهم ألوف الوفود وحوله العدد العديد من فرسان الاعراب يتمايلون طربا ويتبخترون عجبا فشرفها والشمس فى رابعة النهار والناس يتألون من كل ناحية كأنهم فى مضمار

وفى الساعة الثالثة وفدت جموع المهنئين فلاقاهم حفظه الله بما عهد فى طبعه الكريم من وداعة الاخلاق ولين الجانب وعظيم الايناس ثم تفضل فدعا ثمانية وأربعين لتناول طعام العشاء جلس منهم على مائدة جنابه الفخيم حضرات فريد باشا ومحمود بك رياض والمدير وقاضى المحكمة الشرعية ومحمود بك صدقى وكيل المصلحة الصحية

وفى منتصف الساعة التاسعة ركب جنابه العالى عربته المخصوصة والى جانبه حضرة المدير وشارف ماكان بالمدينة من مجالى السرور ومناظر الزينة والحبور ثم عاد الى اليخت فى منتصف الساعة الحادية عشرة

أما ما صادفه جنابه السامى من مظاهر الاجلال ومراقى الاحتفال أثناء طريقه من ببا الى بنى سويف فلا يقوى على وصفه ناثر وان جنب موارد الزلل ولا يدركه شاعر وان صانته اصالة الرأى عن الخطل وما عساه يعى لسان ويكتب بنان ويحفظ جنان وقد كان

الامر فوق كل بيان بل ماذا يغنى مقال ويحصر خيال وهى الافئدة تهلل ولا دليل سوى المحبة القلبية والالسنة تبتهل ولا عامل سوى المودة الغريزية ثم كان استقبال أولئك الاقوام لولى نعمتهم وصاحب أمرهم على قدر طاقتهم ونسبة موجودهم ولكن لم تكن قلة بضاعتهم وضيق ذات يدهم لتحجب مكنون طويتهم وتحول دون مرادهم فهذا ديباجه منديله وذاك سارية تخيله ونعم البديل وذلك رايته رداؤه والآخر ألحانه دعاؤه وحبذا المثيل

وكان المكان الذى أرسى به البخت على مسافة نحو كيلومترين من مدينة بنى سويف وقد كان موقع هذه المدينة قبلا على ضفة النهر فاصبحت الآن بعيدة منه بسبب ما غمرت الرمل من فرع النيل الغربى وانحسر عنه من مائه الا فى زمن الفيضان فكانت المدينة الآن على درجة من البعد عن النيل بحيث لا يصح اعتبارها من المدن الساحلية وصارت الصلة بين البخت الخديوى وبينها طريق رحب يحف به من الجانبين أقواس من أغصان الشجر يظللها لوحات تضمها الاعلام المصرية حاملة شعار الجناب الخديوى المعظم وعلى مقربة من البخت ثلاثة سرادقات

فلما كان منتصف الساعة التاسعة من صبيحة يوم الخميس الخامس من شهر فبراير ركب الجناب العالى عربته والى جانبه الرفيع حضرة المدير قاصدا مدينة بنى سويف لزيارة دواوين الحكومة بها فوصل فى نهاية الساعة التاسعة يتقدمه كوكبة من فرسان البوليس الى ديوان المديرية وقابله بالتهليل والتكبير والدعاء جم غفير من الاهالى وأرباب المناصب بها ثم سار حضرة المدير بين يدى الجناب الخديوى المعظم من ديوان الى ديوان فشرف حجرات المدير والوكيل وقلم القرعة العسكرية وحكمدارية البوليس والمحكمة الشرعية وأقلام الحسابات والكتاب والهندسة والتنظيم باحثا فى أعمال كل منها ممعنا نظره فى سير الاشغال واستطلاع كنه الاحوال الى أن قارب منتصف الساعة التاسعة فبارح جنابه العالى سراى المديرية الى المحكمة الاهلية واذ وصلها الركاب العالى تحرت الجزر للفقراء والمحتاجين استبشارا بمقدمه السعيد

أما محكمة بنى سويف فهى الآن بسراى قديمة للمغفور له سعيد باشا مربعة البناء فى طبقة فوق التى تحت الارض ويصعد اليها بسلم ذى اثنتى عشرة درجة وقد أجريت بها جملة

اصلاحات وترميمات لاعدادها لاقامة المحكمة بعد أن كانت بها المديرية فصارت بذلك أحسن وأعظم المباني موافقة لمقام القضاء وسهولة تقديم الاجراآت القانونية على أصحاب الدعاوى والاشغال

وقد قام بفروض استقبال الجناب الخديوى المعظم بين تهليل الجمهور وتكبيره حضرات يحيى افندى ابراهيم رئيس المحكمة وقاسم افندى أمين رئيس نيابتها وكانا واقفين بين يدى جنابه الكريم وهو حفظه الله يتفقد الاعمال والعمال من قلم الى قلم ومن حجرة الى أخرى ولا يخفى ان محكمة بنى سويف من أهم المحاكم فى القطر المصرى وذلك بسبب ما امتازت به من اتساع دائرة اختصاصها باحالة اقليمى المنيا والفيوم عليها وقد كان ذلك من أكبر الاسباب الداعية لرواج حركة الاشغال بتلك المدينة بما لم يرمثله قبل

وبعد مبارحة المحكمة قصد الجناب العالى زيارة المستشفى لقربه منها فشرفه فى أوائل الساعة الحادية عشرة وبادر بتلقى جنابه الرفيع بها حضرة محمود بك صدقى وكيل مصالح الصحة العمومية ومعه حضرة ابراهيم افندى لبيب مفتش صحة بنى سويف والدكتور عبد اللطيف افندى مدير المحل ويشتمل المستشفى على عشرين سريرا موزعة بين أربع حجرات واحدة منها خاصة بالنساء وقد شرف جميعها الجناب الخديوى المعظم وأحسن الى المرضى بعاجلات عليه شمائله الكريمة من حسن الالتفات والتلطف بحالتهم وتفقد الجناب العالى جزاه الله خيرا كل ما يهم المرضى أو يتعلق بهم حتى أماكن الاكل والطبخ والنوم

وتلا زيارة المستشفى تشريف منزل البوليس وعقبه تشريف المدرسة الاميرية وهى كائنة فى بناء قائم وسط ساحة رحيبة يحف به صف من الاشجار الكبيرة وكان فى الاصل معدا لاصطناع المنسوجات ثم صار الى هذا الفرض وفى نحو منتصف الساعة الحادية عشرة أشرقت طلعة الحضرة الخديوية بمقابلها التلامذة هاتفين أفندمز جوق يشا ثلاثا وبالنشيد الخديوى وبادر بتلقى الجناب العالى من العربة حضرة ناظر المدرسة ثم سار بين يديه الكريمتين الى قاعات الدرس وأماكن التلامذة

ويبلغ عدد الطلبة فى هذه المدرسة ٢٢٢ وهى قسمان تجهيزى وابتدائى ويؤلف الاول من ٥٣ تلميذا وتمتد مدة التعليم الابتدائى الى أربع سنوات والتجهيزى الى اثنتين ومكث الجناب

الخديوى المعظم زمنا غير قليل بكل فرقه وتفضـل بالقاء الاسئلة العلمية على بعض تلامذتها وتلا اثنان من الطلبـة بالقسم التجهـيزى والابتدائى خطابين باللغـة الفرنساوية ترحيبا وامتنانا لهذا القدوم المنيف

وفى منتصف الساعة الثانيـة عشر فبارح المدرسـة الجناب الخديوى المعظم متوجها الى البخت والخلائق خلفه تدعو خالقها بحفظ ذاته الكريمة وتأييده بالظفر والنصر على الدوام

وفى ظهر ذلك اليوم تشرف بالدعوة الى الغداء على مائدة الحضرة الفخيمة الخـديوية سعادة جونسون باشا وجناب الماجور برون وغيرهما من الاماثل والكبراء

هذا ويوجد ببنى سويف أيضا مدرسة للطليان انشئت لعهد غير بعيد ومعلوم انها سبقى حظ التشرف بنظر الحضرة الفخيمة الخديوية فلما كانت الساعة الثالثة بعد الظهر اذا بثلاثين من تلامذتها وأمامهـم أساتذتهم واقفين بالبخت الخـديوى يلتمسون التشرف بالمثول بحضرة الجناب العالى فأجاب حفظـه الله ملتمسهم وتلا أحد الطلبة منهم خطابا باللغـة الفرنساوية شكر به الجناب العالى وأثنى عليه بما هو أهله

وفى الساعة الرابعـة بارح الجناب الخديوى بخته لمشارفة الالعاب البـدوية التى قام بها عربان المديرية بظاهر المدينة وكان بمعية جنابه الرفيع حضرة المدير وسـعادة جونسون باشا ورجال المعية المدنيون والعسكريون فسر الجناب العالى كثيرا ابدا من مهارة هؤلاء البـدو ورشاقة حركاتهم وبعـد أن جلس برهة شارف تلك الالعاب عاد فى أوائل الساعة السادسـة الى البخت وكانت حينئذ الاسهم النارية قد أخذت تخترق طبقات الجو وبهاء الزينات يسطع على دور المدينة كما حصل فى الليلة البارحة واشتغل نحو المائتين وثلاثين رجلا بذكر الله وتلاوة آى القرآن المجيد وتلاوة دلائل الخيرات بالمسجد الجامع وذلك على نفقة الجناب الخديوى المعظم حسب المعتاد

وفى الساعة السابعـة من صبيحة يوم الجمعة ٦ فبراير أعلن دوى المدافع أهل المدينة بقيام الركاب العالى منها قاصـدا بلدة الواسطه وكان وصوله اليها فى منتصف الساعة العاشرة الافرنجيه

والواسطه لهذا العهد رأس سكة الفيوم الحديدية وهى على بعد ثمانين كيلومترا من القاهرة وآخر بلاد بنى سويف من الشمال

وقام بتلقى الجناب العالى بها حضرات أصحاب السعادة يعقوب باشا أرتين وجونسون باشا ومدير الفيوم ووكيلها وقاضيها وذلك بالمرفأ الذى أنشئ لمرسى اليخت وكان مزيناً مكللاً بالاعلام والرايات يتوصل منه الى محطة السكة الحديدية التى فيها القطار الخديوى المخصوص وكان قد انتشر حوالى مرسى اليخت ما لا يحصى من الخلائق ووقفت صفوف الجنود كالسور على جانبى الطريق الممد لمرور ولى النعم فلما كانت الساعة العاشرة بارح الجناب العالى يخته الى القطار بين تهليل الناس وتكبيرهم وأنغام السلام الخديوى وقد كانت سبقت اليه أيضاً صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون

وقبل مبارحة اليخت أذن الجناب الخديوى المعظم لكل من سعادة شوقى باشا ناظر الدائرة الخاصة وحضرة مدير بنى سويف فى العودة الى مركز أعمالهما

ثم سار القطار الخديوى باسم الله والناس بين مهلل ومكبر وفى الليل أيضاً سارت على عجل بواخر حضرات البرنسيسات الفخام عائدات بالسلامة الى القاهرة

وتشرف بمعية الجناب الخديوى المعظم حضرات أصحاب السعادة عبد الرحمن باشا رشدى ويوسف باشا شهدى والدكتور سالم باشا ويعقوب باشا أرتين وجونسون باشا والماجور برون وعلى بك رضا وكان سير القطار أولا الى الجهة الخلفية ليتوصل منها الى فرع الفيوم ثم اجتاز محطة الواسطة بما حوت من جميل الزينة وبديع الزخرف والجناب العالى يسلم بيده من القطار والجماهير تضج بالدعاء وتهتف بعبارات الشكر والولاء

وتمر طريق الفيوم الحديدية بثلاث مناطق مختلفة أولها القسم الزراعى ويحده يميناً أطراف الصحراء البيضاء وشمالاً مروج خضراء والثانية المنطقة الجبلية الفاصلة بين وادى النيل وواحة الفيوم وبها آثار ترعة قديمة كانت تأتى بماء النيل اليها أما الثالثة فذات الرياض الناضرة والبساتين الزاهرة والكروم اليانعة والقطوف الدانية فهى الفيوم جنة مصر ونزهة وادى النيل

واجتاز القطار محطة العدوة مبطئاً السير لكن بدون أن يقف جبراً لخواطر من حضر للتشرف بمرآى الحضرة الخديوية وقد كانوا ألوفاً ومئين وفى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر أقبل باليمن والاسعاد الى مدينة الفيوم

هذا ولا واصف وان أسهب أو مادح وان أطنب يستطيع الوفاء ببيان احتفال الفيوم يوم استقبال الحضرة الفخيمة الخديوية ولا الفوتوغراف يستطيع رسم شيء من هيئة تلك الخلائق والامم التي لا تعد لها وقد بلغ منهم السرور الى ما كاد يخرج بهم عن حد التصور أما الكاتب فقد يسطر أحيانا مثل هذا المنظر ويبقى له من الاثر في المخيلة ما لا يمحوه كرور الايام لكن متى حاول وصفه كان محالا وعلى كل حال فلم يكن عدد المهللين والمكبرين لمرآى طلعة الذات الخديوية بأقل من مائة ألف نسمة منهم نحو الثلاثين ألفا من مدينة الفيوم وحدها ولعمر الحق لم يظهر ولاء أمة لاميرها في مظهر أشد وضوحا وأعظم جلاء مما بدا من رعايا الحضرة الفخيمة الخديوية في جميع الاماكن التي شرفها وخصوصا يوم حلول الركاب العالي بمدينة الفيوم

دوت طلقات المدافع بين تهليل الجماهير مؤذنة بسلامة وصول الحضرة الفخيمة الخديوية وكان اذ ذاك صدر المحطة محلى بحضرات أصحاب السعادة فريد باشا ناظر الدائرة السنية ومحمد باشا شكيب وعثمان باشا ماهر والموسيو جنسون بادارة الاملاك الاميرية ومحمود بك صبري مدير الفيوم ومحمود بك صدقي وكيل المصالح الصحية ثم العلماء الاعلام ووكلاء القناصل وأعيان الاقليم من الوطنيين والاجانب ودونهم شرذمة من الجند ما بين مشاة وفرسان ثم تلامذة المدرسة الاميرية ثم غيرهم من صنوف الاهلين والرعايا فحيوا الجناب العالي تحية الخاشع الوامق وحياهم تحية السيد البر الرؤف الصادق ثم ركب الى سراى الحكومة على بعد نحو ١٥٠ مترا من المحطة سائرا بموكبه الحافل بين صفين من العمد تخفق عليهم الاعلام وتصل بينها أقواس من أغصان الشجر تزهو بما علق بها من باقات الزهور والرياحين الى أن شرفها في أوائل الساعة الثانية عشرة ثم وافى بعد ذلك موكب صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوي المصون

وكان على جانبي الطريق سرادقان يتنافس أحدهما الآخر نظاما واتقانا وزخرفا وبهاء أولهما لحضرة خالد بك والثاني لجماعة الاعيان ويليهما ثالث للحضرة الفخيمة الخديوية على مقربة من مدخل السراى أما السراى فمؤلفة من بناء مربع مشرف على حديقة كبيرة يتوصل منها الى القصر وكان بناؤها بأمر المغفور له محمد على باشا الكبير غير أنها رممت

واصلت فى عهد جناب الخديوى السابق وقت انشاء الخط الحديدى من الواسطه الى الفيوم وكان ساكن الجنان المرحوم محمد على رأس العائلة الكريمة الخديوية يميل الى سكنى الفيوم بعض الاحيان فيركب لها النيل من مصر الى الواسطه ومن ثم الى المدينة على ظهور الابل ولا يزال من بقى من الشيوخ بالمدينة حافظا لذكرى تلك الزيارات وقلما توجد مناسبة لذكرها الا ذكروها فى حديثهم

و بعد الاستراحة ركب الجناب الخديوى المعظم عربته والى جانبه حضرة المدير قاصدا جامع سيدى الاستاذ الروبى لاداء صلاة الجمعة

ولا بدع ان قصر اليراع مرة أخرى عن وصف ما سار فيه موكب الجناب العالى من مظاهر التعظيم وظواهر التبجيل والتكريم فان له معذرة لدى من شهدوا ذلك المنظر البهج وما راءه كمن سمع

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ابتدأت التشريفات على الترتيب المعتاد بالسرادق المضروب عند مدخل القصر وكان بين من تشرفوا بالمثول لدى الحضرة الفخيمة الخديوية العدد العديد من مشايخ البدو وأعيانهم

وفى أوائل الساعة الخامسة ركب الجناب الرفيع فى ذلك الموكب الحافل قاصدا دواوين الحكومة ومصالحها فشرف المحكمة الشرعية أولا لقربها من القصر ثم المحكمة الجزئية الاهلية وهى فرع من محكمة بنى سويف فأمعن النظر فى أحوال القضاء ودقق البحث فى الاحكام ومن ثم شرف ديوان المديرية وهو أيضا بجوار السراى وباحدى زواياه ديوان الهندسة فاستقبل الجناب الرفيع به حضرة محمود بك صبرى مدير الفيوم ثم سار بين يديه الكريمتين متنقلا من حجرة الى حجرات وكيل المديرية وكتاب الادارة والمالية وقلم الضبط والربط وكان الجناب الخديوى المعظم يسائل عمال كل قلم وديوان مستطلعا سير الاعمال مستعلما حقيقة الاحوال مما يدعو اليه وافر عنايته بخير الرعية ومصلحة البلاد

وتبع هذه الزيارة تشريف الركاب العالى ساحة المستشفى الاميرى فهرع لتلقى الجناب الرفيع به صاحب العزة محمود بك صدقى والدكتور احمد افندى حسين مفتش الصحة ومحمود افندى رشدى طبيب المحل وقد أطال الجناب الرفيع حفظه الله نظره السامى فيما من شأنه أن يؤول الى راحة المرضى و زيادة العناية بهم جزاهم الله ماه وأهله من الخير العميم

والاجر العظيم ثم أشرقت طلعته البهية على المدرسة الاميرية فقام بفروض الاستقبال لحضرته العلية جناب ناظرها وتلاء التلامذة هاتفين أفندم جوق يشا والظاهر أن حالة العلم فى الفيوم أحسن منها فى غيره من الاقاليم المصرية يؤيد ذلك ان بها الآن أربع مدارس كلها حافلة بالتلامذة والمتعلمين من كل جنس وملة وقد بلغ عدد هؤلاء فى المدرسة الاميرية وحدها بيفا ومائتى تلميذ وقف منهم بحضرة الجناب العالى غلام دون البلوغ فتكلم شاكرا للجناب الرفيع منة التشريف ذاكرا سعود ذلك المقدم المنيف بلسان يفتن الالباب بفصاحته ويطرب الاسماع ببلاغته حتى بدت من الجناب العالى علائم الرضا والسرور فصفق الحضور استحسانا واعجابا

ولما كان آخر الساعة الخامسة بارح أمير البلاد محل المدرسة قاصدا زيارة قلم الهندسة وهو أيضا بالقرب من السراى الخديوية فتشرف وقام برسوم الاستقبال حضرة باشمهندس المديرية وكان يجيب على أسئلة الجناب العالى فيما يختص بمصلحة الرى والتنظيم بما أوجب مزيد السرور وجزيل الحبور ونحو منتصف الساعة السادسة يمم الركاب العالى جهة تفتيش الصحة وفى طريقه وقف الموكب الخديوى بمكتب البوستة الخديوية فتشرف بانظار الجناب الرفيع وقام له باداء فروض الولاء والشكر حضرة حنين افندى شنوده مدير المحل وقد تكرم الجناب العالى أثناء العودة من ديوان التفتيش الصحى فشرف أيضا بالزيارة منزل البوليس وادارة تفتيش الاملاك الاميرية ومحطة السكة الحديدية وتفتيش الدائرة السنية وقام رؤساء كل من هاته المصالح بما وجب للحضرة الفخيمة الخديوية من رسوم الاستقبال وفرائض التعظيم والاجلال

وفى الساعة السابعة مدت موائد الطعام بالصيوان الخديوى ودعى اليها خمسة وأربعون من كبار الموظفين وأعيان الاهلين وتشرف بالجلوس على المائدة الخديوية حضرات أصحاب السعادة فريد باشا ويعقوب أرتين باشا ومحمد شكيب باشا وجونسون باشا وجناب الملجور برون والمستر جبسون وفى الساعة التاسعة خرج الجناب الخديوى فى موكبه الحافل لمشاهدة زينة المدينة وبعودته أجريت الالعاب النارية أمام الصيوان وصدرت أوامره السنية باقامة الاذكار والادعية بجامع المدينة فقام بذلك نحو الاربعمائة من القراء والفقهاء ومحورهم الجناب العالى بسيل احسانه وفيض بره وانعامه

أما منظر المدينة على ما بها من الجمال الطبيعي فكان أبهى وأحسن في الليل منه بالنهار وكانت الزينات من الكثرة والاتقان بحيث يعتري الناظر كل خطوة دهشة وكان البحر اليوسفي والدور على ضفتيه تسطع بالاضواء والانوار بديع الاشكال وجميل الرسوم وظلها يقع على صفحاته العسجدية ناثرا عليها من أمثال الدرر وأشباه الجواهر ما يمثل للرائي المجاز حقيقة والخيال عيانا

وقد تعود الجناب الرفيع أدامه الله أن لا تمر ساعة ولا تنقضي لحظة الا ويكون فيها لجنابه الفخيم مأثرة بيضاء ومحمدة غراء ومسعى مشكور وجميل مأثور وعمل خيري يذكره الذاكرون ويشكره الشاكرون فانه ما تبسم صبح اليوم التالي حتى قام القطار الخديوي يقل جنابه العالي قاصدا التجول بانحاء بركة قارون ليتيلها حظها من التفقد ونصيبها من التعهد يصحبه حضرات عبد الرحمن باشا رشدي والجنرال يوسف باشا شهدي والدكتور سالم باشا ويعقوب أرتين باشا وجونسون باشا والماجور برون ومدير الفيوم وحواليه من الجموع المتشعبة المذاهب والاجناس ما لا يدخل تحت قيد ولا يرتبط بقياس بحيث كان القطار كسفينة تمرح وسط أمواج من الناس فمر أمام محطة ابشواي وكانت مجللة بديع الاعلام مجللة بندى الازهار حافلة بصنوف المخلوقات ما بين باسم ومبتهل ومصفق ومهلل فاجتازها الى قرية أبوكساه حتى اذا شرفها أمير البلاد ابتدر لقياه حضرات شكيب باشا وعثمان ماهر باشا والمستر جبسن ثم علا جنابه الفخيم متن سابح كريم يتقدمه ثلة من الاعراب يتبخترون على صهوات الجياد تتبعهم كوكبة من الهجانة قدموا من العاصمة لهذه الغاية تتلوهم كتيبة من فرسان البوليس ثم جنابه الرفيع على مسيرة ٥٠ كيلومترا يحف بحضرته العلية حضرات المدير جنسون باشا فالدكتور سالم باشا فمحمد شكيب باشا فعثمان ماهر باشا فشريد باشا فالماجور برون فرجال المعية السنيه ملكيين وعسكريين فشرذمة من الاعراب وسار الموكب الهوينا حتى بلغ وجهته في كمال الساعة العاشرة وهنالك ترجل صاحب الامر فشرف الصيوان الذي رفع اكراما لجنابه العلي الشان واستراح فيه برهة من الزمان وكان في انتظار جنابه السامي على مقربة من الاسكلة سفينة زخرفت جوانبها بأغلى الطيالس وغشيت أرضها بديع الطنافس وزينت نواحيها بعجيب الارائك وغريب النمارق يحدق بها خمس زوارق

أعدت لرجال المعية السنية فشرفها حفظه الله يصحبه حضرات يوسف باشا شهدى وفريد باشا وجونسون باشا والماجور برون ومدير الفيوم وعثمان ماهر باشا وسارت السفينة بسم الله مجراها تشق عباب الماء الى الشاطئ المقابل بين اختلاف المناظر وائتلاف المظاهر فمن روضة غناء الى محلة جرداء ومن دوحة فيحاء الى رمل وحصباء ومن ايكة خضراء الى صخرة حمراء ثم عاودت الاسكلة فبارحها الجناب الرفيع وسار راجلا الى الصيوان بين حصون من النفوس وأسوار من الخلائق تفوق الحصر عددا وتندفع كالسيل اقداما وشدا وكان اذ ذاك أوائل الساعة الاولى غب الزوال ودعا الجناب الفخيم الى تناول طعام الغداء كبار موظفى المديرية وعظماء مشايخ القبائل فجلسوا على أربع موائد كان فى صدر الاولى الجناب الخديوى المعظم وفى الثانية سعادة يوسف باشا شهدى وفى الثالثة الدكتور سالم باشا وفى الرابعة محمد زكى بك وتشرف بالجلوس على مائدة جنابه الكريم كل من حضرات فريد باشا ومحمد شكيب باشا وعثمان ماهر باشا وجونسون باشا والماجور برون ومدير الفيوم وبعد الفراغ من تناول الطعام مثل حضرة المدير بين يدى جنابه العالى وقدم لمقامه السامى مشايخ القبائل ثم وقف كل عظيم قبيلة فى مقدمة عشيرته وساروا أمام حضرته العلية تتبعهم جماعات من أرباب الطرق والاشارات يترنمون بصالح الدعوات وبعد ذلك جاءت شرذمة من الاعراب فأبدت من غريب الالعاب وعجيب الاغراب ما أنعش القلوب وأدهش الالباب

وفى الساعة الثانية عاد ولى الامر فى مثل ما جاء فيه من الاحتفال الى محطة أبوكساة ووافاها فى أواخر الساعة الثالثة ثم بارحها تحدوه السلامة وتطالعه الكرامة الى مدينة الفيوم فشرفها فى مبتدأ الساعة الخامسة وكانت كالليلة السابقة مزدانة بالاعلام موشاة بالازهار ساطعة بالانوار من مبتداها الى مطلع النهار

وفى الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاحد (٨ فبراير) أطلقت المدافع ايذانا ببارحة الجناب الرفيع فهرعت الى المحطة جموع المودعين وسراة الاهلين تتقدمهم رجال البوليس فتلامذة المدرسة الاميرية فالموسيقى العسكرية تعزف بالنغمات الشجية وما أخذ الركاب العالى يطوى الفدافد ويجتاز السباسب حتى انهالت جماعات الاهلين يقبلون زرافات ووحدانا

واثنالت عشائر الاعراب يتمايلون فرسانا وركبانا وأحدقوا بالقطار الخديوى بغازل الفرح وجوههم ويختلج السرور صدورهم حتى شرف الجناب الفخيم محطة الواسطة فى كمال الساعة التاسعة وكان بها فى انتظار حضرته العلية حضرات مدير الجيزة ومدير بنى سويف ووكيله وقاضى المحكمة الشرعية فدعا أمير البلاد مدير الجيزة لمصاحبة جنابه العالى وهنالك استأذن مدير الفيوم والمستر برون فى العودة الى مراكزأعمالهما وسار القطار على بركة الله قاصدا تشريف العاصمة فوقف بعد قليل أمام المتانيه حيث مقام الاستاذ الجليل والشاعر المجيد حضرة الشيخ على الليثى ثم استمر فى سيره فعاج بعد هنيهة بمحطة المزغونة وكانت بهجة للخاطر وقرة للناظر لا ينقضى منها عجب الباصر وحولها من لا يحصون عدا من الاهالى يتجاذبون أطراف السرور ويتبادلون أسباب الحبور فحين أشرقت عليهم طلعة جنابه الفخيم تهللوا بصالح الدعوات وتوالت الطلقات من جميع الجهات ثم تقدم حضرة حسن بك مصطفى ناظر الجبخانات المصرية فمثل بين يدى حضرته العلية وهنأه بسلامة الوصول وبعد ذلك قام القطار تظالمه البشرى ويتقدمه الاعزاز فشرف محطة بولاق الدكرور فى أواخر الساعة الحادية عشرة وهذا نبأ ما كان للجناب الرفيع بها من عظيم الاستقبال وجليل الاحتفال

(تشريف ولى النعم المعظم عاصمة البلاد)

بدا طالع التوفيق فى مصر فازدهت بمقدمه العالى يحف به المجد
تنقل بدرا فى منازل ملكه يتابعه عز ويخدمه سعد

كان يوم الاحد ٨ فبراير سنة ٩١ فى عاصمة مصر يوم عيد سعيد ومغنم موسم جليل فيه استعدت مصر وأهلوها وساكنوها لتلقى ولى النعمة ومولى البر ومؤملهم أجمع وتهنئته بسلامة وصوله وشكر الله على منه وطوله فتوافدوا الى محطة بولاق الدكرور تباعا على عجل سراعا يتقدمهم البشر بلقاء ولى الامر ويحدوهم السرور على التقدم الى مشاهدة ذلك النور

ووافدوا اليها من كل الطبقات منتشرين فى جميع الطرقات حتى كان الجمع اليها فوق ما تسعه من الوفود وقد أحاطتها الجنود المصرية والانكليزية رجالة وعلى الخيل معهم الموسيقات العسكرية وأعلام الآلايات تخفق على الرؤس

ولما جاء الوقت المعين لوصول القطار الخديوى اصطف المنتظرون فى أماكنهم بحسب مراتبهم ووصل القطار فهم مع البر وتلألأ البشر وطلع البدر على الناس فكانوا حوله أنجما زاهرة وكواكب منيرة وتقدم الى لثم الراحة الكريمة كل أمير من العائلة المحمدية وحضرات النظار الفخام ودولة رئيسهم المقدام والعلماء الاعلام وغيرهم من الذوات الفخام وقناصل الدول العظام والاعيان من الاجنبيين والموظفين الكرام ملكيين وعسكريين فلاقوا جميعا من لدن الذات الفخيمة ما زاد سرورهم وأكمل حبورهم وأطلق ألسنتهم بالدعوات الصالحات وهنالك أطلقت المدافع ايذانا بسلامة الوصول وصدحت الموسيقات بالسلام الخديوى المخصوص وارتفعت أصوات العساكر بالدعاء المقبول بطول بقاء حاكم البلاد ومصلح أحوال العباد

بعد أن تشرف الوافدون بمشاهدة الذات العلية وقدموا فرائض السلام والتحية ونالوا من لطيف التعطف وجليل الرعاية وكامل العناية ركب الجناب المعظم والى جانب مقامه السامى دولتلو رئيس النظار وسار موكبه الحافل الى سراى عابدين العامرة باليمن والاقبال وقد كان الطريق على الجانبين الى مقره الميمون مزدحما بمن لم يتمكنوا من الدخول الى رحاب المحطة وبغيرهم من أهل العاصمة ووجوه البلاد وكلما مرت العربة على فريق تهللت وجوههم فرحا واستبشارا وتهللوا بالدعاء لجنابه الكريم وما زال الحال كذلك الى ان تشرف السراى العامرة قبل الظهر بقليل

أما صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون فكان لاستقبالها فى المحطة من علائم الاكبار وشارات الاجلال ما يأخذ بمجامع القلوب استحسانا واعجابا وقد وصلت دولتها الى السراى عقب تشريف الجناب العالى بيسير

ومن ذلك الوقت أخذ أهل العاصمة وسكانها فى اكمال ما كانوا أعدوه من الزينة اظهارا لما فى قلوبهم لجنابه الكريم من المكانة العالية والمنزلة الرفيعة واعلاء لكلمة الاخلاص والولاء القلبى واعلانا بما كان لهم من السرور بسلامة الوصول وشكرا لولى النعم على الاهتمام بمصالحهم والنظر فى شؤنهم بعين العناية والسداد

لم تغب شمس النهار حتى استعاضتها العاصمة بالانوار ساطعة والاضواء اللامعة بين الاعلام المرتفعة على الاشكال المختلفة وسط الرياحين المؤتلفة فكانت العاصمة كلها نورا على نور وسرورا فى سرور حتى كأنها أرادت أن تجمع فى صعيد كل ما تفرق من الزينات فى الصعيد فكان لها ما ابتغت وقامت زيناتها تفاخر كل ما سبقها من مثلها وناهيك بزينة جسر قصر النيل وما والاه من سراى دولتلو البرنس حسين كامل باشا وسرايات العائلة الكريمة الخديوية والذوات الذين فى قسم الاسماعيلية والشركات الاجنبية والبيوتات التجارية فى قسم عابدين والموسكى والازبكية والجمالية ومصالح الحكومة السنية ومحافظة مصر نذكر من ذلك زينة دولتلو البرنس حسين باشا وحضرات محمد بك شريف وسلطان باشا والبرنسيس زينب هانم والبرنسيس برلنته هانم ويوسف باشا شهدى والمسيو سينادينو واخوان سوارس ونزل كونتى نانتال والمسيو هلر ومحمود باشا طاهر والشركة التوفيقية المصرية وفى عابدين زينة حضرة سعد افندى زغلول المحامى (هى التى كتب على أبوابها البيتان اللذان صدرنا بهما هذه الجملة) وزينة الدائرة السنية وحضرة محمد بك راتب وسعادة على باشا شريف والدكتور سالم باشا سالم وفى الازبكية زينة مصلحة الدومين وصندوق الدين ونيواوتيل ونزل شبارد وشركة كوك ومحل تجارة زيجاداه والمسيو كورتيزى ويعقوب باشا أرتين وتيجران باشا

ولاجل أن لا يفوتنا شىء من ذكر من ازدانت أماكنهم نقول ان شارع الموسكى كله وشارع الغورية كله وشارع النحاسين وغيرها من الشوارع المهمة كانت فيها زينات فاخرة وأقواس نصر باهرة أقامها فى الموسكى حضرة حسن بك مدكور وفى السكة الجديدة حضرة السيد محمد سكر وعلى مدخل بيت سعادة سيوفى باشا وغيرهم من أعيان التجار ومشاهير الاغنياء والوجوه والاعيان والمعتبرين

وقد اقتضت رأفة الجناب العالى وشغفه بادخال السرور على جميع رعاياه أن يشرف بموكبه الحافل أماكن كل هذه الزينات فركب حفظه الله عربته المخصوصة ومر على جميعها مشارفا مشاهدا ما أظهروه من علائم الاخلاص وشعائر المحبة والولاء وكانت شارات البشر تلوح على محيا جنابه الكريم يشاهدها من أقاموها فيتلقونها نعمة جليلة من لدن

جنابه الفخيم وكذلك ركبت صاحبة الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون وحضرات البرنسيسات كريمات الحضرة الفخيمة الخديوية وشرفن هذه الشوارع وطفن كل تلك الاماكن وقد استكمل الجناب العالى هذه الزيارة المباركة فى نحو الساعتين وعاد الى مقره المنيف فى منتصف الساعة الحادية عشرة بالعز والاجلال والمهابة والاكبار

وفى صبيحة هذا اليوم توافد على سراى عابدين العامرة كل من ذكرناهم قبل عند ذكر الاستقبال فى المحطة وغيرهم من أعيان الوجه البحرى والقبلى والوجوه والاماثل والمعتبرين فابتدأت التشريفات من منتصف الساعة التاسعة وبقيت بغاية النظام والاحكام الى قريب الظهر وكان الجناب العالى حفظه الله يوليهم من كرمه المعهود وبره الموروث وأنسه المشهود مالا يدخل تحت المعدود فيخرجون باسطى أكف الضراعة والابتهال بحفظ ذاته الكريمة وحضرات الآل وكرام الانجال

اللهم احفظ لمصر والمصريين هذا الامير الموفق عالى الجناب واسع الرحاب موفقا للخيرات وعمل الصالحات واسداء المبرات وأدم توفيقه لمرضاتك وابقه عونا لعبادك وغوثا للبلادك واحفظ لحضرته العلية أنجاب الانجال وأقيال الآل ما طلع النيران وتوالى الجديدان آمين

ومما ينبغي أن يلحق بهذه الرحلة المباركة ما قدّم للسدّة الخديوية من قصائد التهاني للجناب العالي بسلامة الوصول الى مصر وهي كثيرة نختار منها ما نشرناه في الوقائع المصرية فأولاه من قلم حضرة الشيخ الجليل العالم الكبير الاستاذ الفاضل الشيخ على الليثي وها هي ببلاغة معناها وطلاوة مبناها قال حفظه الله

(الدر النظيم في العود الكريم)

خل السلافة مشمولا بها القدح ... وخذ بنا في حديث كله ملح

حديث رحلة مولانا العزيز أبي العباس من دأبه الاحسان والمنح

فيالها رحلة قد ضمنت حكما ... وكم أقيم لها في قطرنا صدح

عمّ الرعايا سناها واستبان لهم ... من السياسة إقبال بها انشرحوا

كانوا عطاشا الى ورد الهنا فغنا ... عليهم الجود سحا وانتفى الترح

كم من أسير رأى مالا يؤمله ... وكم فقير غدا بالفيض يمتدح

سياحة للدنا والدين قد جمعت ... وحسنها أنها بالدين تفتتح

سل المساجد كم قامت شعائرها ... بنور ذكر وباب الخير منفتح

فالبر عم وقد تم الاريج به ... وفاز بالحمد عالى المرتقى السمح

كأن السعود سعودا في رعيته ... والعود أحمد والآمال تقترح

فازت بنعمى ركاب الداورى سبل ... لولا الحدود لغنى غيرها الفرح

يا حسن عود به الاعياد قد غبطت ... فالعيد يوم ويوم العود منفسح

فما انقضت زينة الا وأعقبها ... من زينة العود ما يسمو به الوضح

كأنما الناس من حسن الولاء غدوا ... يدار مثل النشاوى فيهم القدح

لهم من الحمد في معناه مغتبق ... لدى المثول ومن نعماه مصطبح

لا نعجبن فتوفيق بسيرته ... قد استرق الرعايا وهو ممتدح

ومن يسوس رعاياه سياسته ... حلما وعفوا له الاخلاص يتضح

جوزيتموا آل مصر عن عزيزكمو ... حمدا ينال به الاقبال والفلح

ولا برحتم على نهج الوفاء له ... ساعين في كسب مجد ليس ينتزح

لقد أقامت منار الشكر زينتكم … وكل قوس أقمتم دونه قزح

وحزتم الفخر والاقبال حين بدا … بدر المعالى لكم والصدر منشرح

وسار عنكم وقد ضمت سرائره … لكم صفاء جزاء للأولى نصحوا

يا راغب المجد فى أيام دولته … أخلص له الود تنجح مثل من نجحوا

ونزه السمع عن واش وذى حسد … فللحسود فؤاد كله قرح

هذى ليال صفت فى عصر خير فتى … له الفتوة روح صانها الشبح

أما ترى مصر لما بالقدوم حلت … قد هز أعطافها من شرها المرح

وازينت فى جلابيب الحبور وقد … أحيت ليالى أنس صفوها صرح

وكيف لا والخديوى دام عادلها … والجسم ان لم تنزه الروح مطرح

يا حسن موكبه والجند صف له … كالروض طاب بمرأى نوره الفيح

كل يقول الخديوى عاش من فرح … حتى الحما وبنود العز ترتجح

فالله يبقيه والأنجال فى دعة … وشمس دارته من زانها الصبح

لتستفيد به الدنيا محاسنها … كما استفادت حلى أوصافه المدح

خذ يا أخا السمع تقصيرى وغن به … فالقدر عال وقولى دون ما شرحوا

ماذا أقول وأهل القطر كلهم … على مدائح توفيق قد اصطلحوا

فكل ينادى بمعنى ما أؤرخه … عاد الخديوى فعاد النجح والفرح

سنة ١٣٠٨ … ٧٥ ٦٦١ ١٥٥ ٩٢ ٣٢٥

وهاتان قصيدتان جليلتان من قلم حضرة العلامة الفاضل الشيخ محمد البسيونى البيانى امام الحضرة الفخيمة الخديوية أولاهما كلها تواريخ لهذا العام المبارك والثانية على السنن المعتاد وهذا نصهما الرائق ومعناهما الشائق وما فيهما من جليل الصناعة قال حفظه الله

(الاولى التى كلها تواريخ)

١٣٠٨	عود الخديو بما يهواه مسرورا	حلى لوا النصر فى الاقبال منشورا	١٣٠٨
١٣٠٨	باهى سرورا بمصر بدء عودته	بها ولاح بحفظ زاد موفورا	١٣٠٨
١٣٠٨	قدوم أمن له البشرى تعززه	تبارك الله من قد أوسع النورا	١٣٠٨
١٣٠٨	زان الصعيد فخارا حين كمله	بحله حيث جد السعى مشكورا	١٣٠٨
١٣٠٨	أخلاقه بوداد أحسن جبلات	لها سرى كل عطف دام مأثورا	١٣٠٨
١٣٠٨	سعت مكارمه زار الجميع وقد	فازوا بحا كى الحيا فى الدر منثورا	١٣٠٨
١٣٠٨	ومأدبات وداد بالهنا قرنت	شرح الصدور بها قد أم مسطورا	١٣٠٨
١٣٠٨	حقا بجبلهم طاروا به فرحا	كل بنور اجتلاه بات مسرورا	١٣٠٨
١٣٠٨	أفاض يهدى جداه من مراحمه	لذا ترى جوده بالأيد مأجورا	١٣٠٨
١٣٠٨	به ابتهاجا روى احلى زيارته	له صحيح حديث الحمد مشهورا	١٣٠٨
١٣٠٨	ان الرعايا بعليا نفعه فرحت	ولا يزال حباه الدهر مذكورا	١٣٠٨
١٣٠٨	ان أمه المرتجى يولى بديعته	من حج بيتا حماه صار مبرورا	١٣٠٨
١٣٠٨	عناية الله منه عز تسعده	مستسعدا أحمد الآراء منصورا	١٣٠٨
١٣٠٨	لازال يرقى الى سعد العلى رتبا	فى صفو ملك رفيع القدر محبورا	١٣٠٨

(الثانية الجارية على المعتاد)

عود الخديو بما يهواه مسرورا   أبدى لوا النصر فى الآفاق منشورا

وقد سعى ليوالى الخلق أنعمه   ياحبذا حسن سعى كان مشكورا

أم الصعيد فأحياه وشرفه   وعاد باليمن والاقبال محبورا

والنيل نال أمانيه بطلعته   والأرض أضحت رياضا تزدهى نورا

تاهت وباهت سرورا وازدهت وزهت ... بالآصفى وغت جناتها حورا

كل الجهات به مذ شمسه طلعت ... به استنارت وكانت قبل ديجورا

زيدت فوائده مدت موائده ... لله أكوابها كانت قواريرا

ومذ أجرى عيون المال مبتدرا ... بشاطئ البحر خلت البحر مفحورا

أغاث لهفتهم أودى مجاعتهم ... كم سر مكتئبا كم فك مأسورا

كم فضة فض فوها في يد تربت ... وكم رأى ذهب من قصره دورا

وبمجمل القول كل الناس قد فرحوا ... بحيث لا كسر الا صار مجبورا

حدث عن الداورى والبحر لا حرج ... في المكرمات ودع كسرى وسابورا

فقد تكون من حلم ومن كرم ... ونجدة أصبحت في ملكه سورا

أريج أوصافه في الكون عامره ... يفوق في نشره مسكا وكافورا

شهم كياسته تغني سياسته ... اذا استعاض عن الهيجاء تدبيرا

ذو هيبة مابدا في الناس منفردا ... بالأمن الا وخلت الجيش مذعورا

أخلاقه حسنت كل الورى أسرت ... وسخرتهم له بالحب تسخيرا

طوية ظهرت من أصل خلقتها ... فكل خير عليها صار مقصورا

والناس من طبعها تحنو لحسنها ... كالطفل يحنو الى الآباء مقهورا

بدر بلا كلف بحر بلا صدف ... فلفظه الدر منظوما ومنثورا

لم يجر طرف يراع في مراسلة ... الا يجرى الطرس تبشيرا وتحذيرا

لوأن كل لسان بالثنا لهج ... لم يوف في المدح بالمعشار تقديرا

فيا عزيزا أعز الله دولته ... ومن به الدين حقا صار منصورا

مهما سرى لا يحل الضيم ساحته ... اذ لا يرى لسوى الرحمن تأثيرا

قدمت خير قدوم بالسرور رضى ... بشرى لمصر به كم عمها نورا

قلدتها منة لما به شرفت ... وكم تقلدها درا وا كسيرا

لا زلت مشتملا بالصفو مكتملا ... وكل نجل غدا بالحظ موفورا

ومصر تبقى كما تهوى مؤرخة ... عود الخديو بما يهواه مسرورا

سنة ١٣٠٨

والقطر يشدو وأهلوه بأجمعهم ... أرخ لوا النصر في الآفاق منشورا

سنة ١٣٠٨

وهذان تاريخان من انشاء حضرة الشاعر المجيد الشيخ عثمان الجندى منشى الخاصة الخديوية

(التاريخ الاول)

انهض وهنى يانديمى ذا الحمى   وانظم عقود الدر من منثوره
وانشد بانشاء المعانى مطربا   قد عاد مولانا الخديو بنوره
وتزينت مصر لحسن لقائه   وبدا لها حسن الهنا بحضوره
سعد السعود أتى وقال مؤرخا   عاد الخديوى فائزا بسروره

سنة ١٣٠٨   ٧٥ ٦٦١ ٩٩ ٤٧٣

(التاريخ الثانى)

جاءت معالى الهنا بالبشر وابتهجت   وأقبلت تجتلى فى بهجة وهنا
مذ عاد فينا خديو السعد منشرحا   وعاد فينا هناء الانس بشرنا
واستبشرت مصرنا حقا بعودته   وأصبح السعد فيها باهرا حسنا
وزينة الحسن قد ضاءت تؤرخه   توفيقنا بسرور العز جاء لنا

سنة ١٣٠٨   ٧٤٧ ٤٦٨ ١٠٨ ٤ ٨١

وهذه قصيدة غراء من قلم حضرة الكاتب البليغ المنشى البارع أحمد افندى كامل تلغرافجى المعية السنية وهى بنصها الشائق ومعناها الفائق قال

أقبلت إقبال السحاب المسبل   وأخذت تخترق العلاء وتعتلى
رفعت لطلعتك النواظر تجتلى   شمس المحامد فى صباح المأمل
فى موكب فاق الكواكب اذ بدت   شمس العلى فيه وبدر المحفل
يزهو سنى فى رفعة فكأنه   نهر المجرة لاح للمتأمل
لله من ملك اذا أبصرته   شاهدت منه مفردا فى جحفل
من هيبة تعنو لها أسد الشرى   وتبيت منها فى رداء الافكل
ملك القلوب بعزة فى رأفة   كالمنصل ساط حماسة بتغزل

شملت عواطفه الرعايا فاغتدى   يوفى عليهم كالصباح المنجلى

جازت ركائبه الصعيد وكم شدا   أنى سعيد بالمليك المقبل

مازال يرمقه بعين عناية   حتى تقصاه لأبعد منزل

بعزيمة لمضائها ما اعتاض عن   متوعر الاقطار بالمتسهل

يوليهمو نعما يضوع ثناؤها   بتجمل وتفضل وتطول

والحمد مال للكريم وانه   من غير كسب الحمد لم يتأثل

للنيل أن يزهى بغرتك التى   سطعت به كالبارق المتهلل

أسعدته باليمن حتى انه   لولاك لم ينج الغريق وينشل

فى مركب يعلو البحار ويزدرى   ريح الجنوب اذا سرت والشمأل

حيزومها شق العباب كأنه   جلم يقصص فى رداء مسحل

أو أجدل بسط الجناح وساح فى   جو السماء هديت أية أجدل

مذ سرت من بلد تيمم غيره   صار الاخير محمدا من أول

إن يحسدوا أو يعجبوا أو يطربوا   عذروا وليس بحانث من يأتلى

فتى رأوا بدرا وشمسا جمعا   بمحلة فى صوب غيث مسبل

أوليتهم مننا يضيق بنعتها   فهم البليغ من الرجال المقول

ورفعت فوقهمو سماء عدالة   غراء ساطع بدرها لم يأفل

ماقدر ماشاد الملوك وأحكموا   وتعاظموه فى القديم الأول

من شامخات فى المبانى خلتها   صعدا تطل على السماك الاعزل

كم أبلت الاحقاب وهى جديدة   وتبدلتها وهى لم تتبدل

يدعونها أثرا وأخلق انها   تدعى جديد اليوم للمتأمل

ما أثر الماضى بها فكأنهم   حسبوا لديها الدهر بالمستقبل

كم أودعت تلك المبانى أهلها   خبرا تجيب به وان لم تسأل

تخذت من الفولاذ أى مثقف   قلم عهدت شباته لم تفلل

كتبت به آثارها فى مهرق   صلد أصم من جنادل يذبل

ماكنه من غنى الرقيم وانه   ليمل من أضحى عليه يملل

فكأنهم خافوا على أبنائهم   عادى الزمان فدوّنت فى معقل

أو أنهم قاسوا وقالوا فليكن   بأس الكتابة مثل بأس المقول

تحف بدت للناظرين فحكمة   للمستفيد ونزهة للمجتلى

أقسمت لو قيست بمجدك مرة   لتنزلت حيث المكارم تعتلى

مجد جمعت به لمصر شملها   بددت فيه شمل خطب متقلى

لولاك لم يصف الزمان ولا اغتدت   تحنى عليها الحادثات بكلكل

كم منصل قد كاد يعلو هامها   حتى فللت غرار ذاك المنصل

وبثثت أمنا فى البلاد فأصبحت   والخوف نسى أو كنسى مشكل

ان شيدوا مثل الجبال معاقلا   فلقد رفعت العدل أمنع معقل

ولو انهم علموا بمجدك الذى   ألقى القناع اليه ربات الحلى

ينظرن آية بهجة وجلالة   تستنزل العصم الاوابد من عل

لتأنقوا فى رسمها ولأفرغوا   ذوب النضار على نقوش الجندل

ولو استطاع ملوكهم أن ينهضوا   قاموا على أمشاط تلك الارجل

مصرية تهدى ويفتن دلها   رفلت بساحات المليك المفضل

قد يهر الشعراء نسج حبيرها   وهو الاخير من الطراز الاوّل

بذت جريرا والبعيث وجرولا   وتبينت خطلا بقول الاخطل

لابى عبادة لو تسهل نظمها   لعلت فرائده لدى المتوكل

تركت قوافى الشعر تنشد عندها   ليس الوقوف بكف شوقك فانزل

والفضل فضلك حيثما تلى العلى   أشهى وأعذب من زلال سلسل

ان قيل جاءت آخرا فنبينا   خير الخليقة وهو آخر مرسل

فاسلم أبا العباس موفور الثنا   بعظيم مجد فى الانام مبجل

بالآل والانجال دمت منعما   فى عز ملك بالفخار مجمل

وهذه قصيدة رائقة من قلم حضرة الشاعر المجيد الكاتب البليغ احمد افندى شوقى أحد موظفى السكرتارية الخديوية نزيل باريس الآن وفيها أيضا تهنئة بعود عيد المولد الخديوى الاسنى فى هذا العام السعيد وهى برشاقة مبناها ورقة معناها قال

من له فى الملوك ذاك البناء   يتهادى على ذراه اللواء

خافقا بالهدى على روض فضل   خيمت فيه للندى أفياء

دار دارا أم ذاك ايوان كسرى   أم حمى تبع أم الحمراء

أم مقرّ الاعزة الشم من آ   ل علىّ البناة آل العلاء

والملوك الاولى لهم فى الورى ملك كبير ودولة علياء

فعلى عرش مصر منهم عزيز   أورثته جلالها الآباء

أريحى من جوهر المجد والتو   فيق صيغت لذاته الاسماء

(صاحب الريف والصعيد عن التا   جين أغنتك غرة غراء)

فجعلت الهدى لذاتك تاجا   لبسته من قبلك الخلفاء

هو ذا اليوم لم يزل للرعايا   احتفال بعوده واحتفاء

غربت شمسه فكان بشمس   من محياك للسماء انجلاء

بايعتك القلوب فى صلب ابرا   هيم اذ دلها عليك الرجاء

ورأت مصر ليلة الوضع رؤيا   فسرتها بحكمك الحكماء

رأت الأفق سافرا عن هلال   لمعاليه فى الكمال نماء

صار انسار فى ذرى السعد بدرا   ما لعلياه فى السمو انتهاء

وتجلى من عابدين على كر   سيها نوره فضاء الفضاء

ليلة تجلى القرائح فيها   أين كانت فى صبحها الشعراء

أشرقت أرضها بنورك وانجا   بت به عن سمائها الظلماء

ثم خولت عهدها فاطمأنت   واستعدت لأمرك العقلاء

طلبة للبلاد كانت لأسما   عيل فى نيلها اليد البيضاء

قمت بالامر والحوادث شتى   ولعلياك بالشباب ازدهاء

كنت أشهى وردا من القطر لما   أشربتك القلوب وهى ظماء

فطغى فى البلاد قوم أزيحوا فأزيحت عن جفنها الاقذاء
واذا أيد الاله أميرا تتفادى لسيله الاعداء
أنت بدر النظار فى الامر لاتصدر الا عن ضوئك الاضواء
أنت روح الشورى وهيهات أن تعمل الا بروحها الاعضاء
شدت للعدل فى البلاد قصورا لم تشدها القياصر العظماء
لم شمل الانصاف فى عصرك القا نون فالظلم شمله أجزاء
وأمت الرشى بحزمك كى لا تتولى رجالك الاهواء
(ماقصدت الصعيد حتى أتتنا تسبق البرق فى السرى الانباء)
فكأنى به طليقا عليه من أياديك نضرة وبهاء
خيمت فى سمائه أنجم السعد وحطت بأرضه الانواء
قت فى سدة السفينة يجرى تحت كرسيك الرفيع الماء
وتجليت للرعايا فكانت لك فى كل نظرة نعماء
واذا جاور العزيز بلادا جاور العز أهلها والرخاء
فاستقر السودان بعد اضطراب واستظلت بظلك البطحاء
هكذا حكمة الملوك اذا ما قعد السيف قامت الآراء
أنت شمس الايام بدر الليالى فاليك انتهى السنا والسناء
وروى الفرقدان عنك المعالى والثريا وأختها الجوزاء
فليدم بيتك الرفيع منيعا بسماء ماطاولتها سماء
وابق فى نعمة وعيش رغيد وعناء بجيلك منه هناء
وتحكم محببا ومطاعا فلك النفس والنفيس فداء
